
رواية
رسلي المالكي
ANNUIT COEPTIS



رسلي المالكي

الطبعة الثانية

اسم العمل: الانهيار

تأليف : رسلي المالكي

الطبعة الثانية: تشرين الاول 2015

التجهيزات والطباعة:

الشركة المتحدة للطباعة والنشر وتكنولوچيا المعلومات

info@uppitco.com

الترقيم الدولي:

9781784810177

تصميم الغلاف والكتاب: علي حجازي





88 Chalton Street, London NW1 1HJ
Tel.: +44 (0) 20 7383 4037 Fax: +44 (0) 20 7383 0116
E-Mail: hikma_uk@yahoo.co.uk Website: www.hikma.co.uk

يشكر الكاتب رسلي المـالكي كل من ساعد وساهم في جـعل روايته (الانـهيار) تظهر بالشكل والمضمون الذي هي عليه الان، ويقف ممتنا لاصغر محاولة مساعدة قدمت له اثناء مسيرته لانجاز هذا العمل طوال احد عشر شهرا ..

شكر وتقدير الى :

مصـطفى بهجـت × المهندسة فاتن الربيعي × جنيد عامر حـميد
× علي حـجازي × زيـنب نجم × الدكتور سـامر الاوسـي
× الدكـتور محمد جـلو × تيسير القيسـي × الاستـاذ ثائر المشكور
× المهـندس رعد الخفـاجي × الدكـتور نشـأت فرج حـنـا
× الدكتور نبيل غازي الخـطيب × الدكـتورة حيـاة الجـيبه جي
× نورس رحيمـة × احـمد الحسيني × داني ميـشو × احمد ضياء الدين
× فاديــة بولص × حليم محـمود × عمر المصري × سـعود المـراني
× جمانة البـجاري × حنان العبـيدي × حسـن ثامـر × احمد الصـفار
× نور جمـال عبد الحميد × الدكتـور خالد عبد الكـريم خالد
× الدكتور مهند المعموري × Karin Schaechtele

و الشكر و العرفان و الدعاء بالرحمة و الغفران الى روح البروفيسور الكبير الاستاذ الدكتور(عباس بدر الرياحي) الذي لم يمهله الاجل رؤية (الانهيار) وهي تكتمل.

و الى ..
سـارة ..

استندت هـذه الرواية على كتب ومصادر ومراجع تاريخية رصينـة، وان جميع الاماكـن والمناصب والاوصـاف العلمية والتاريخيـة فيها حقيقية، كما قـد تم اطلاق اسم «البلاك ساند» على شركة امريكية امنية حقيقية خاصة تعمل في عدد مـن البلدان، ولابد من التنويه الى ان شخصية محمد المختار خيالية ولا تمت للواقع بصلة.

الاهداء..

الى الذين سيعانون الانهيار حد الموت..

سيشحذون..

ويتصارعون..

ويموتون..

في كل العالم..

بينما يرتشف الفاعلون نخب ثرائهم الجديد..

رسلي المالكي

ستدركين كم كنت على صواب..
عندما فعلت كل ما فعلت..
من اجل ان نحيا بالعيش الذي نريد..
في وقتٍ ينهار كل شئ حولنا..
بلا هوادة..

الفصل 1

كانت الساعة الواحدة بعد منتصف ليلةٍ من ليالِ يناير الباردة، حينما رن الهاتف النقال بنغمته الافتراضية في غرفة نومه الصغيرة، صحا وقد تفاجأ بصوت الهاتف، فلم يكن قد اعتاد رنينه في هكذا وقتٍ من الليل، تلمس باصابعه سطح الدولاب الملاصق لسريره، تناول منه نظارته الطبية، وضعها و نظر الى شاشة النقال ليزداد حيرة.

رقم خاص.

تردد في الرد للوهلة الاولى، لكن فضوله و تذكره للقضية التي يترافع فيها دفعاه ليزيح بابهامه الزر الاخضر المخصص للرد على شاشة هاتفه الذكي، وفتح الخط..

"السلام عليكم استاذ".. قال صوت ممتلئ على الطرف الثاني من المكالمة..

"عليكم السلام، تفضل".. ناهضا من سريره..

"معك النقيب سلام من القصر"..

"عفواً"؟.. تفاجأ بمصدر المكالمة، القصر !

"هناك سيارة دفع رباعي بانتظارك، من جهة شارع فلسطين".

لملم افكاره ليرد، لكن المتكلم استمر..

"باسرع ما يمكن استاذ، مع السلامة"!.

اغلق النقيب الخط، تاركاً المحامي مهدي العلي في حيرةٍ تامة .

استعد لتحضير نفسه للذهاب حيث تنتظره السيارة حسب الوصف.

الفصل 2

كان منزل المحامي مهدي العلي واقعا في حي زيونة الراقي وسط رصافة بغداد، و تحديداً خلف مبنى دار الازياء العراقية، حيث يبعد منزله نحو 300 متر عن شارع فلسطين، خطاها مهدي بخطواتٍ سريعة في ليلةٍ من اشد ليالي يناير برودةً ليصل الى الشارع العام، لمح سيارة شيفروليه تاهو سوداء مظللة ذات نظام دفعٍ رباعي، وقف على الرصيف و اخذ يراقب السيارة التي تقف على مقربةٍ منه على ارضية الشارع، كان يحاول التاكد من كونها السيارة التي عليه ان يكون فيها ..
و باسرع ما يمكن.

كانت لوحات السيارة تشير الى انها حكومية، اخرج علبة سجائره من جيب سترته الرمادية وهو يسترق النظر الى السيارة التي كانت هوائيات الاتصال على سقفها تتمايل بفعل الريح الباردة التي تهب حيناً و تصمت حينا اخر.

اومض ولاعته ليشعل سيكارة، فأومضت معها المصابيح الامامية لسيارة الشيفروليه، اخذ نفَسَه الاول و نظر اليها، فُتح بابها الامامي و ترجل منها شابٌّ اصلع ذو شاربين كثين وبنيةٍ قوية، كان يرتدي سترة رياضية و بنطالا بجعبتين في جهتيه و هو اشبه ما يكون عسكرياً، وضع يده في جيبه و اشار بالاخرى لمهدي بالاقتراب.

نفث مهدي دخان سيكارته و اقترب من السيارة، نازلا الى ارضية الشارع، رمى السيكارة، واشار له الشاب بالصعود..
"السلام عليكم"، قال مهدي و البخار يخرج من فمه ممزوجاً بدخان سيكارته..
"عليكم السلام، تفضل استاذ".

فتح الضابط الاصلع الباب الخلفي، صعد مهدي الى السيارة و اغلق الباب وراءه.
شعر مهدي العلي باختلاف الجو تماماً، غمره دفء السيارة حين استقلها، حاول الاسترخاء بعد شد عضلاته بسبب البرد خارجاً، لكنه تفاجأ بشد اعصابه هذه المره بسبب السرعة العالية التي بدا السائق يقود بها، كانت الشوارع شبه فارغة من السيارات، و قد اغتنم السائق الفرصة.
كان السائق يقود متجاهلا ورفيقه النداءات المتواصلة الصادرة من جهاز الاتصال المثبت داخل العجلة، نداءات تحمل طابعاً امنيا، بدا مسترخياً وهو يحدث الضابط الى جانبه، لم يفهم مهدي ما يقولانه، فقد كان صوت جهاز الارسال عالياً و متواصلاً و ممزوجا بصفيرٍ متقطع، التفت الضابط الاصلع الى مهدي عارضاً عليه المزيد من التدفئة، رد مهدي بالشكر، و انحرفت السيارة لتسلك الخط السريع متجهةً الى مركز المدينة.

الفصل 3

في مقر الشعبة الخامسة ببغداد، كانت الاجواء مختلفة تماما عن الوضع الاعتيادي اليومي، استنفار امني في محيط المبنى، سيارات دفع رباعي داخل باحة المقر الذي يخضع لاجراءات امنية مشددة.

تعتبر الشعبة الخامسة اهم مقرات الاستخبارات العسكرية العراقية، تحولت بعد عام 2003 الى مقر هام للمخابرات العراقية، وتحتوي على عشرات الزنازين، اضافةً الى غرف لمنصات الاعدام شنقاً، نفذت فيها العديد من عمليات الاعدام في زمن الرئيس المخلوع صدام حسين، قبل ان يُعدم فيها صدام حسين نفسه.

لذلك المبنى رهبة عميقة في نفوس العراقيين، اذ تحوم حولها قصص المئات ممن سجنوا و عذبوا واعدموا فيها متدلين على حبال المشانق.

توقفت سيارة الشيفروليه التي تقل المحامي مهدي العلي في باب مقر الشعبة الخامسة، انزل الضابط الاصلع زجاج نافذته و تحدث للشرطي في باب المبنى، بعد ثوانٍ من الحديث القصير و ابراز الضابط هويته التعريفية للشرطي و تفحص الشرطي نوع السيارة و لوحاتها، فتح الباب و دخلت الشيفروليه الى باحة المبنى.

ترجل الضابط من السيارة بعد ان استقرت في باحة الشعبة الخامسة و فتح الباب لمهدي العلي ليترجل منها، صُدم مهدي بالمكان، فقد كان يترافع عن قضيته الاخيرة في مقر محكمة، و ليس في مقر مخابرات الدولة.

بدا كل شيءٍ مربكاً، نظر مهدي للضباط و افراد المخابرات الذين كانوا منهمكين باجراء الاتصالات و التنقل داخل المبنى بارتباك، امسك الضابط بمرفق مهدي مشيراً له بالتحرك، و اقتاده الى مقر مدير المبنى.

شعر مهدي و كأنه معتقلٌ بيد السلطات، الاتصال الليلي، سيارة الشيفروليه ذات اللوحات الحكومية، مقر مخابرات الدولة، كان كلُّ شيءٍ غامضاً بالنسبة له، سحب انفاسه بصعوبةٍ بالغة، كان الادرينالين يجتاح كل خلايا جسمه، و في كل خطوةٍ يخطوها مع الضابط الاصلع، كانت دقات قلبه تتسارع شيئاً فشيئا، زاد برد الجو من ارتباكه، و بدت صور الاحداث بطيئةً امامه و هو يمشي بجسمٍ يترقب الاتي.

انا في الشعبة الخامسة !

وصل الاثنان الى غرفة مدير المبنى بعد المرور بعدة اروقةٍ وممرات، دخل الضابط الاصلع اولا، ضرب الارض بقدمه مؤدياً التحية، اشار بوصول المحامي حسب ما طلب منه فعله، ثم اومأ لمهدي بالدخول.

دخل مهدي الى غرفة مدير المبنى، كان الرجل بقامةٍ طويلة و بزي امني رسمي، بدله نيلية اللون تبرق على اكتافها شارة الرتبة، ثلاثة نجوم فضية مرتبة هرميا تحت شعار الدولة (الصقر)، كان العميد مدير الشعبة الخامسة تاركاً الجلوس خلف مكتبه و يجوب غرفته بقلق مدخناً سيكارته، نظر مهدي الى الرجل و القى التحية..

"السلام عليكم سيادة العميد"، قالها مستجمعاً قواه..

"عليكم السلام استاذ، تفضل !".

جلس مهدي على اريكةٍ قبالة الجانب الايمن لمكتب العميد، اجتاحه احساس من الراحة النسبية لطريقة كلام المدير، جلس العميد الى جانب مهدي و اطفأ سيكارته في منفضةٍ على منضدةٍ مقابلة للاريكة، واستدار الى مهدي..

"استاذ، اود اعلامكَ باننا قمنا بنقل موكلك الى هذا المبنى مساء الامس، اوامر السلطات العليا بجهاز المخابرات قررت نقل النزيل من سجنه السابق الى هنا"..

شعر مهدي بنوبة غضبٍ و ارتياح في آنٍ واحد، فالموضوع طبيعي ان قامت السلطات بنقل نزيل من مكان الى اخر، لكنه غضبٌ لما مر به من سلسلة احداث في هذه الليلة من قبل السلطات، كان من الممكن ابلاغه هاتفياً بنقل النزيل، او استدعاؤه دون ارسال سيارة امن بلوحات حكومية لإحضاره.

"سيدي، شكراً لابلاغي، بامكاني زيارته في وقت لاحق اذا سمحتم"، قال مهدي متمنيا مغادرة المكان باقرب فرصة.

بدا العميد مرتبكاً اكثر وقد اشعل سيكارة اخرى و سحب منها نفسا عميقا، نظر الى سقف مكتبه كمن يستجمع قواه، و نظر الى مهدي قائلا:

"بل بامكانك رؤيته الان !"..

شعر مهدي بالف علامة استفهام في راسه، نظر الى عيني الضابط التي تملؤها الحيرة، هز راسه بالموافقة، نهض العميد الى مكتبه و ضغط على زر مثبت عليه، دخل رجل امنٍ مسلح ببندقية كلاشنكوف و مسدس ذو التسعة ملميترات، وأدى التحية..

اشار العميد لرجل الامن مرافقة "الاستاذ" الى الزنزانة رقم 12.

مقاوما فضوله المتزايد، نهض مهدي من مكانه، و نظر الى العميد بابتسامةٍ فاترة، هز المدير راسه وعاد ليرتشف سيكارته، مشى مهدي مع رجل الامن خارجا من غرفة المدير، وجد نفسه يسير في اروقةٍ عديدة مع رجل امن مسلح، و بعد ان تاكد من تجاوزهما كافة الممرات التي يطل عليها مكتب المدير، طلب من رجل الامن

استخدام الهاتف النقال، وبعد ان بدا عليه نوع من التردد، هز الرجل راسه موافقاً، و خطا بضع خطواتٍ ليقف على مبعدة من مهدي، لكنه لم يزح عيناه عنه.
اخرج مهدي نقالهُ ووضع نظارته الطبية وبدا بكتابة رسالةٍ نصية، اكمل الكتابة وحدد اسم المستلم (مها الطالبة)، وأتم الارسال.

"انا في الشعبة الخامسة، ان حدث اي طارئ فانت من يعلم بذلك، كوني حذرة".

كان مهدي العلي محاميا و استاذا في كلية القانون بجامعة بغداد، اما مها فقد كانت طالبته في المرحلة الرابعة في الكلية ذاتها، و هي احدى طالباته المميزات، تطورت علاقته بها عندما اشرف على بحث تخرجها، كما كانت نقاشاتهما الطويلة معا في ميدان السياسة و القانون حافزا للتقارب الفكري بينهما، خصوصا النقاشات المتعلقة باحداث البلاد الاخيرة و تسلم الحكم من قبل حكومة جديدة اثارت على سابقتها قضايا فساد، فقد شغل الاعلام بقضايا الفساد تلك التي اثيرت ضد اعضاء الحكومة السابقة و قادتها.

تطورت العلاقة بين مها الطالبة و استاذها الى علاقة من نوع خاص، كشف فيها مهدي لمها عن بعض اسرار و خفايا القضية الاخيرة التي يترافع عنها، فقد كانت مها محط ثقته و اعجابه لما راى فيها من لباقة محامية المستقبل، فقد كان يسميها "حفيدة حمورابي"، الملك صاحب الشريعة الشهيرة.

وضع مهدي نقاله في جيب سترته بعد ان تاكد من تقرير التسليم، اثنى نظاراته و اعادها الى جيبه، اشار للرجل بابتسامة شكر، و اقترب الاخير ليكمل ايصال مهدي الى (الزنزانة 12).
لاح في نهاية الرواق امر غير طبيعي، عدد من افراد الامن و الشرطة يتحدثون بينهم، و اخرون يبدون قد دخلوا الزنزانة فعليا.

اقترب مهدي و رجل الامن ليصلا الى الافراد المقابلين للزنزانة، كان بعضهم يرتدي قفازات بيض، بينما همّ الاخرون باجراء الاتصالات عبر اجهزةٍ خاصة.
اشار ضابط برتبة نقيب يرتدي زيه العسكري لرجل الامن و مرافقه – المحامي – بالتوقف، تحدث رجل الامن الى النقيب ليعلمه بهوية مرافقه، اشار النقيب لمهدي بالاقتراب، بينما ابتعد رجل الامن عائدا الى نهاية الرواق..

"مرحبا، حضرة النقيب".. قال مهدي و هو ينظر الى رتبة الضابط اللامعة على كتفيه.
"اهلا استاذ، ممكنٌ ان تسلمني نقالك الخاص ؟".

استغرب مهدي طلب النقيب، "اه طبعاً، و اتمنى رؤية موكلي لينتهي كابوس هذه الليلة في هذا المبنى الكئيب !"، قالها مبتسما و هو يخرج نقاله من جيبه، تسلم النقيب جهاز النقال ولم يجب على كلام مهدي، امسك يده و مشيا نحو الزنزانة التي لم تعد تبعد عنهما سوى امتارٍ قليلة... قال النقيب:
"استاذ مهدي، ما ستراه الان سيبقى سراً بيننا !"، توقف مهدي و شعر بنوبة غضب.
ماذا حدث لموكلي؟

"حضرة النقيب، اذا كان موكلي قد اصيب باي مكروه فانني لا استطيع ان اعدك بابقاء ذلك سراً"، قال مهدي بنبرة غضب، عصر النقيب يد مهدي و قال:
"بل ستفعل..!"..
ضبط مهدي اعصابه و مشى نحو الزنزانة، ترك النقيب يد مهدي ليمضي نحوها و يرى ماحدث.
صدم لرؤية افراد الادلة الجنائية يخرجون من الزنزانة بقفازاتهم البيض و كاميراتهم، اقترب من مدخل الزنزانة وقد اعترته حالة من الخوف من المجهول و

الفضول في آن واحد. كانت الانارة في سقف الزنزانة تبدي ما بداخل الغرفة بوضوح. اطبق الصمت حول اذنيه في تلك اللحظة رغم اصوات افراد الامن و التحقيقات الذين كانوا يتحدثون وسط اصوات اجهزة الاتصال التي بحوزتهم.

نظر الى رجل ببشرةٍ حنطية ممدد على سرير ملاصق للجدار الايسر من الزنزانة. خطا متجاوزا منزلق باب الزنزانة الممتد على الارض. اصبح داخل غرفة السجن منفردا مع جثة ممددة على سريرها وقد تدلت يدها اليمنى من طرفه. شعر برائحة الزنزانة المثقلة برطوبة الجدران. كانت شبيهة برائحة مسحوق السمنت المختلط بالماء توا.

كانت بطانية خضراء تغطي النصف الاسفل من الجثة. فيما كان النصف الاعلى عاريا من الملابس.

احس مهدي بالعرق البارد يتصبب من كل مسامات جسمه. اقترب اكثر من سرير الجثة الذي كان راسها متجها نحو باب الزنزانة. وانخفض اكثر لينظر الى وجه الميت. لايدرِ لما شعر بانه قد اغتيل. اكثر من كونه توفي طبيعيا ..

محمد المختار.. قتيلا في اكثر سجون بغداد امناً !..

الفصل 4

الثانية و 20 دقيقة ليلا.

وقــف المحامي مهدي العلي في الزنزانة متســمراً امام جثة موكله، المتهم محمد المختار، استمر محدقاً بالجثة، لم يبد عليها اثر طعنة او ثقب رصاصة، دخل النقيب الى الزنزانة المنفردة التي تضم الجثة و اشار على مهدي بعدم لمسها، طلب مهدي من النقيب التراجع ليبعد ظله عن الجثة، و ليتسن للضوء ابراز تفاصيلها، وشعر بحالة من الغثيان و بدأ يحس بالدوار يفعل فعله في رأسه.

لو انه كان كابوسا !

لم يحتمــل المنظر اكــثر، خرج من الزنزانة و اتكأ على الجــدار المجاور للباب، اغمض عينيــه و قــال للنقيب الذي وقــف قريبا منه: "مــاذا حدث له بحق الســماء ؟"، رد الضــابط: "لا يزال التحقيق جاريا حضرة المحامي،، سنبدأ اجراءات ارسال الجثة الى التشريح لمعرفة السبب الحقيقي للوفاة".

سحب مهدي نفسا عميقا، و فتح عينيه كمن يفتحها حين يخرج من تحت سطح الماء، اطلق نوبة زفير، ورغم انه تردد في دخول الزنزانة مجددا، لكن شيئا كان بداخله يصــر علــى دخولها مرة اخرى، نظر الى افراد الامن و هــم ينظرون اليه كمن يريد ان يقرا ما بعينيه من افكار، سحب سترته الى الاسفل وتنحنح و هم بدخول الزنزانة مجددا.

عبَر منزلق الباب من جديد، و هاهو يطل مجددا على جثة موكله التي بدت و كانها ستثير عاصــفة من التساؤلات، اســتوقفته كتابة كانت قد رسمت بصبغ بخاخ اخضرعلى جدار الزنزانة اعلى سرير الرئيس، كانت الكتابة هي الرقم 39 بالارقام

العربية الاصـــلية، لكن سرعان ما تناســـى مهدي ذلك الرقم و عاد للنظر الى جثة موكلــه، وقف عند راس الجثة و نظر مجددا اليها تاركا باب الزنزانة وراءه بمشـــابكه الحديدية التي تشكل مربعات قطرية كرقعة شطرنج بلا الوان، رن منزلق الباب تحت حذاء النقيب العســكري الخاكي، كان قد دخــل الزنزانة مجددا هو الاخر، ووقف الى جانب مهدي وهو يشــبك ذراعيه على صــدره ناظرا الى المنظر نفسه، عاود مهدي النظر الى الرقم 39 على الجدار و سال النقيب:

-"هل كانت هذه الكتابة هنا في الاصل ؟".

اجاب النقيب: "كلا حضرة المحامي، يبدو ان احدهم كان قد رســم هذا الرقم عند دخوله الزنزانة، قد يكون احد الافراد رسمها منذ وقت قصير، ستتابع ذلك".

شعر مهدي بان الرقم يريد ارسال رسالة ما.

-"هل لديك اية معلومة عن معنى هذا الرقم ؟"، قال مهدي.

-"ليس بعد استاذ، التحقيق سيحاول كشف معنى ذلك"، قال النقيب.

نظر مهدي مجددا الى الرقم 39 على الجدار..

ماذا يعني ذلك؟

كان الصــمت يطبــق علـــى الزنزانة و الهــدوء يلف المــكان، افراد الامن انشـــغلوا بالتحدث مع بعضـــهم خارج الزنزانة، و النقيب يقف صـــامتا و هو يراقب تحركات مهدي و ردة فعله.

غارقا في التفكير، لم يزح مهدي عيناه عن الرقم 39 المرسوم على جدار زنزانة موكله، قطع سلسلة افكاره صوت جهاز الارسال المثبت على جانب خصر النقيب، احدث صــوت صــفير عالٍ، ثم نداء غير واضح، لكنه بدا جليا انه كان يحوم هو الاخر حول قضية محمد المختار القتيل.

تحــرك مـهـدي نحـو البـاب و امســــك يــد النـقيب الذي كـان يخـفـض من صـــوت جـهـاز الارسـال خاصـتـه، عـبرا منـزلـق البـاب و خـطـيا نحـو الـرواق..

"كـم مـضـى عـلـى وفـاتـه ؟"، قـال مـهـدي و هـو ينظـر الى الـرواق الخـالي الا مـن بـعـض افـراد التـحـقـيق الجـنـائـي و رجـال الامـن.

"تنبــه لعـــدم تحركـه احـــد الحراس بعـد منتصـــف الليل بعشرة دقائـــق عنـدما تولى مـنـاوبـتـه، وددت اعـلامـك بـان افـراد المـنـاوبـتـين قـد تم بـدء الـتـحـقـيـق مـعـهـم". قـال النـقـيـب.

"هل بامكـاني المغـادرة الان و مقـابلـة العـميد ؟"قـال مـهـدي.

"طـبـعـا، سـيـكـون نـقـالـك لـديـه، تـصـبـح عـلـى خـير".

قال النـقيب ذلـك و هـو يضـع يـده عـلـى ظـهـر مـهـدي و يشـير الى الشـرطـي الـذي رافـقـه مـن غـرفـة الـعـمـيـد الى الـزنـزانـة 12 حـيـث كـان يـقـف في نـهـايـة الـرواق حـتـى انـه لم يـتـمـكـن مـن ســـمـاع حـوار الاثـنـين، وصـل وادى الـتـحـيـة، اومـا مـهـدي لـلـنـقـيـب براسـه و مـشـى مـع الـشـرطـي، اخـرج عـلـبـة سـجـائـره وقـدم احـداهـا لـلـشـرطـي، شـكـره الاخـير و لم يـاخـذهـا.

في مـنـعـطـف الـرواق، تـظـاهـر مـهـدي بـانـه يـبـحـث عـن نـقـالـه بجـيـب سـترتـه الـرمـاديـة، كـان يـعـلـم بـان الـشـرطـي المـرافـق لـه لـيـس لـديـه عـلـم بمـصـادرة الـنـقـيـب لـنـقـالـه.

-"اوه، نـســيـت نـقـالي في غـرفـة مـديـر المـبـنـى، اظـنـه عـلـى الاريـكـة، الـشـــعـبـة الخـامـســة تـنـسـيـك كـل شـئ !".

ابـتـســم الـشـرطـي لمـهـدي و واصـــلا المـسـير، "هـل بـامـكـاني اســتـخـدام نـقـالـك ؟"، فـاجـأ مـهـدي الـشـرطـي بـســؤالـه، شـــعـر الاخـير بـان الـشـخـصـــيـة الـتـي مـعـه مـســتـثـنـاة مـن اجـراءات الـشـــعـبـة الخـامـســـة الخـاصـــة بمـنـع اســتـخـدام الـنـقـال داخـل المـبـنـى مـن قـبـل الـزائـريـــن، فـتـعـامـل افـراد الامـن مـع مـهـدي اضـــفـى هـالـة مـن الاحـترام لـه، اضـــافـة الى اسـتـقـبـالـه مـن قـبـل الـعـمـيـد مـديـر المـبـنـى و جـلـوسـه بـغـرفـتـه بـارتـيـاح، ابـتـسـم الـشـرطـي

و اخرج جهاز نقال من جيبه، كان نقالا عاديا بلا كاميرات او تقنيات رقمية متطورة كما في الاجهزة الحديثة، التفت وراءه و تاكد من خلو الرواق من افراد اخرين، سلم نقاله لمهدي: "استعجل ارجوك ! الوضع اليوم لا يحتمل ابراز هواتفنا الشخصية!"، قال الشرطي وهو يعدل حزام رشاشه الاوتوماتيكي على كتفه، اومأ مهدي للشرطي براسه و استدار نحو جدار الرواق، رمى سيكارته التي اشعلها توا و اطفاها بحذاءه، وقف الشرطي على مسافة امتار قليلة يراقب الرواق الخالي الا من الانارة الكئيبة، و المشبع برطوبة الجدران.

بسرعة، فتح مهدي تطبيق الرسائل النصية و كتب كلمات قليلة، و بيدين عرقتين، كتب رقم مستلم كان يحفظه جيدا، وأتم الارسال.

متاكدا من تقرير التسليم، مسح مهدي الرسالة و تقدم الى الشرطي مسلما اياه النقال، بابتسامةٍ تنم عن شكر، رافقه الى الممر المؤدي الى غرفة العميد مدير المبنى.

في غرفة مها التي كانت تغط في نوم عميق، ومضت شاشة النقال الصامت معلنةً وصول رسالة ثانية، لكنها من رقمٍ غريب هذه المرة، كانت الرسالة قصيرة جدا..

"مها، انا الاستاذ *مهدي*، لقد اغتالوا *الرئيس*".

الفصل 5

كان الرجل الممتلئ القوام ذو البدلة الانيقة يجلس وحيدا في غرفته ذات الجدران الخشبية، ممسكا بجهاز الريموت كنترول و يتابع شريطا يعرض محتواه على التلفزيون الذي يتوسط غرفته، كان دخان السيكار الفاخر الذي ينفثه يشوش بعضا من وضوح صورة التلفاز في وسط الانارة الخافتة في تلك الغرفة، اعاد ذو البدلة الانيقة المشهد اكثر من مرة بارجاع الشريط الى الثانية المطلوبة، لم يكن يجلس وراء مكتبه كما هو معتاد، بل جلس على كرسي عادي يقابل التلفزيون، ارتشف قهوته بعينين لا تفارقان المادة المعروضة على التلفاز، اطفا سيكارته البنية ووضع فنجان قهوته على المنضدة، كان الضوء الصادر من التلفاز ينعكس على شعره الرمادي نصف الاشيب.

مرت عشر دقائق اعاد فيها صاحب البدلة الانيقة المشهد اكثر من سبع مرات، بدا في انعكاس عينيه مستطيل التلفاز وبداخله ملامح رجل و كانما ثبتت الكاميرا عليه، كانت عينا ذو البدلة الانيقة تضيقان كلما تحدث الرجل في التلفاز بالكلمات التي تعاد على الشريط...
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه..

هز الرجل راسه، وضع الريموت كنترول على الطاولة، وسمح للشريط بالاستمرار.

الفصل 6

في بــاب غرفــة مدير المبنــى، كان مهدي يقف على مســافة قريبة مــن رجل الامن الــذي خطا باب الغرفــة مؤديا التحية للعميد، خرج مشــيرا لمهدي بالدخول، دخل مهــدي غرفة العميد بينما غادر رجل الامن المكان، كان العميد يجلس وراء مكتبه و يتحدث بالهاتف الداخلي، هز راســه لمهدي مشــيرا له بالدخول، اوما له ليجلس على الاريكة، بدا و كانه يحدث من هو اعلى منه رتبة.

"نعم سيدي، سنتخذ الاجراءات كما امرت تماما، ان شاء اللهّ.. اللهّ معك..".

اغلق العميد الهاتف و تناول علبة ســجائره، اخرج احداها و عرضــها على مهدي، "لا اغير سجائري !"، قال مهدي و هو يسحب علبته من جيب سترته.

اشــعل العميد سيكارته و نظر الى مهدي، "اســتاذ، اطلعت على ما حدث ؟"، قال العميد، "نعم ســيادة العميد، بصراحة لا يمكن للامر الا ان يكون تقصــيرا من ادارة المبنــى، كان من المهم متابعة صــحته"، قال مهدي، نفث العميد الدخان و ضــاق اتســاع عينيه، اثناء ذلك، دخل رجل امنٍ و القى التحية، هز العميد راســه آذناً، قال رجل الامن: "سيدي، النقيب فاضل ارسل لكم نقال المحامي كما امرتم".

"طيــب، هاتــه.."، قال العميد و هو ينفض ســيكارته في منفضــة ممتلئة باعقاب ســجائره الســابقة على مكتبــه، دخل رجل الامن و ســلم النقــال للعميد و عاد ادراجه، ادى التحية و خرج من الغرفة.

نظر العميد الى نقال مهدي وهو يقلبه في يده، قال:

"آســفٌ على الامــر، لكن اعتقد انهــا اجراءات ضرورية في وضــع مشــابه، ان نمنع اتصالك بالعالم الخارجي حاليا على الاقل، استاذ !".

قال مهدي: "طيب ســيادة العميد.."، اخذا نفســا من ســيكارته، "افترض ان نقالي

سـيبقى معكم. كيف بالامر ان تحدث لاحدهم في الخارج عما شـاهدته ؟"، قالها ليستفزه..
"اننا واثقون من انك لن تتحدث الى احدهم، لانك ستقضي الليلة *هنا* !".
شعر مهدي بالصدمة و هو يسمع ذلك من مدير الشعبة الخامسة..
هنا ؟؟ اين ؟!

"هذه اوامر السـيد اللواء مدير المخابرات العامة، ستبقى هنا حتى تحدد المخابرات موعد الافصـاح عن الموضـوع، عندهـا فقط سـيكون بامكانك الخـروج"، اكمل العميد.

حدق مهدي الى العميد بغضـب و عدم قدرةٍ على الرد في آنٍ واحد، اخذ نفسـاً من سـيكارته و نظر اليه مجدداً وقال: "سـيادة العميد، لا يمكنني ان اقضي ليلتي في مبنىً كهذا، بامكاني ان اعدك.."..
"اسف اسـتاذ !، بالمناسبة ساغلق جوالك الان، و صدقني، حالما تخبرني السلطات بالافراج عنك، سافعل.."، قال العميد مقاطعاً.

بالرغم من كون جهاز النقال الخاص بمهدي مغلقاً برمز سري، ضـغط العميد على زره الجانبي، ولمس باصبعه الخيار الاول، و اطفأ الجهاز..

"سيادة العميد، بالافراج عني او بدونه، سيعلم الناس ما حدث هذه الليلة في هذا المبنى قريبا، و سيحاسب المقصر، اقسم لك !"، قال مهدي وقد اعتراه الغضب.
"اتمنـى ان نطلع على نتائج التحقيق قريبا، اسـتاذ"، انهى العميد كلماته بهدوء، و طـرق علـى الجرس علـى مكتبه، دخل رجل الامـن ذو البندقية الالية و مسـدس التسـعة مليمـترات و ادى التحية، اطفأ العميد سـيكارته و قال: "اسـمع، اذهب فوراً و اجعل الضابط المسؤول عن الغرف يجهز غرفة قرب غرفتي، و تاكد من توفر

التدفئة و الاغطية". رد الرجل: "حاضر سيدي". ادى التحية و انصرف لينفذ الاوامر.
سحب العميد جهاز الارسال من مكانٍ على مكتبه..
" 3ج الى 3 د. كيف تسمعني اجب ؟". قال العميد و هو يضبط صوت الجهاز.
"3 د الى 3 ج. اسمعك عالي واضح ارسل". صاح الجهاز بعد نوبة من الضوضاء.
"3 د. توجه الى مكتب المدير فوراً".
" 3 ج استلمت". اجاب الجهاز.
رد العميد باخر كلمات الاتصال: "3 د.. انتهى !". و وضع الجهاز على المكتب.

مطفأً سيكارته في المنفضة المقابلة. رفع مهدي العلي عيناه عن ساعة يده التي كانت تشير الى الثانية و خمس و اربعون دقيقة صباحا من اسوأ الليالي التي مرت عليه في حياته. شعر بالغضب و الحزن في آنٍ واحد. ود لو انه كان قد قُبل بكلية الاعلام كما يود لنفسه و اصبح اعلاميا بعيدا عن كل هذه المتاعب. لكن ارادة والده كانت اشد تاثيرا على خياراته. فهو الذي دفعه الى كلية القانون وأوصاه باكمال دراسته القانونية. وبعد رحيل الاب. اكمل مهدي طريقه ليحصل على الماجستير. فيما يعد الان للتحضير لشهادة الدكتوراه.

تذكر مها و علاقته بها. ربما لو انه كان استاذا في كلية الاعلام الان لما تعرف اليها. كلا ! الاقدار تلاقينا بالاشخاص الذين لهم تاثير على حياتنا دوما !. كانت مها تجمع بين جمال الشكل و سعة العقل في وقتٍ واحد. كما انها فتاةٌ عملية. فبنيت العلاقة بينها وبينه على اساس الدراسة و مجال القانون خصوصا. اما هو. فقد كان عمليا هو الاخر. ولم يكن حواره معها يخرج عن نطاق الدراسة و بحث تخرجها و الاحداث السياسية على مسرح احداث البلاد.
هل قرأت الرسائل الان ؟
قال في نفسه. ولوهلة. شعر بدفقة كبيرة من الدم تندفع الى راسه..

هل ســتخبر احدا بما اخبرتها عنه ؟!، وقد منعتُ من الافصــاح عن اي شئ من قبل السلطات ؟

بــدأ يقنع نفســه بانه اخــبر طالبته بموت الرئيس الســابق للبلاد في ســجنه كي تعلــن ذلك اذا ما اصــابه مكروه داخــل المبنى الذي هو فيــه الان كونه محامٍ لذلك الرئيس، لكن وسواسا كان يخبره بان مها قد تفضح الموضوع قبل اوانه، و تَتسرب الشــائعات و تنقلب وســائل الاعلام، و يصــبح هو هدفا لتحقيقــات طويلة حول تسريب المعلومة، خصوصــا و ان مها عضــو مجلس اتحاد الطلبة بكليتها و يعلم الجميع بالتقارب بينها و بين استاذها.. محامي الرئيس السابق.

اعاد تطمين نفسه..

لن تخبر احدا، ســتحتاج للاتصال بي مجددا للتاكد من المعلومة قبل الوثوق بها!، ثم انها قانونية، ستعرف كيف تتصرف !

قاطعا سلسلة افكاره، ضرب الضابط الذي دخل غرفة المدير الارض ليؤدي التحية له، رمق مهدي بنظرةٍ جانبية، لمس مهدي معصــمه الايمــن بيده اليسرى، متذكرا اعتصار هذا الضابط لها، "لا استطيع ان اعدك بابقاء ذلك سرا".."بل ستفعل !".

كان النقيــب هو 3 د الذي ارســل العميد بطلبه، نفســه الذي اشــرف على ادخال مهدي الى الزنزانة، وصادر جهاز نقاله، النقيب فاضل..

"نقيب فاضــل، امرت بتهيئة غرفة للاســتاذ مهدي، اتمنى ان تكون قريبا منه اثناء المبيت للنظر في احتياجاته.."، قال العميد.

شــعر مهدي بان النقيب ســيكون حارســا عليه طوال فترة تواجده داخل الشعبة الخامسة، هز النقيب راسه و اشار لمهدي بالنهوض، نهض مهدي من مكانه و نظر الى العميد، استدار نحو الباب، قال له العميد: "تصبح على خير، استاذ"!، لم يجب مهدي و مشى نحو فاضل.

كانت غرفة اقامة مهدي في نفس رواق غرفة مبيت العميد.

الحمد لله انه لم يامر بان اقضي ليلتي في زنزانة !

سار مهدي مع النقيب باتجاه رواقٍ سيقضي ليلته في احدى غرفه.

في الغرفة ذات الجدران الخشبية، كان الرجل ذو البدلة الانيقة قد تسلم للتو وحدة ذاكرة متنقلة Flash RAM، بدا ينظر اليها في يده، اطفأ التلفاز بجهاز الريموت كنترول و نهض من كرسيه ليجلس خلف مكتبه، حرك اصبعه على لوح الفأرة على جهاز الحاسب المحمول، اومضت الشاشة، وضع وحدة الذاكرة في الجهاز و اشعل سيكارةً بنيةً اخرى.

الفصل 7

وصـل النقيب فاضـل و المحامي مهدي الى رواق ذو غرف بابواب خشـبية، سـمعا صوتا من خلفهما.
"سيدي!".
التفتا الى الخلف، كان قد اقترب منهما ضابط شـاب برتبة مـلازم، ادى التحية للنقيب وقال: "سـيدي، غرفة الاسـتاذ جاهـزة كما امر السـيد العميد و ابلغني بتسليمك اياها، دعني اوصلك اليها"..

مشـى المـلازم في المقدمة، و اخـرج من جيبة مجموعـة مفاتيح، توقـف امام باب خشـبي رمادي، وبـدأ يختار المفتاح المناسـب، و الى الخلف منـه كان النقيب يقف متخصرا فيما راحت عينا مهدي تتجولا في سقف و جدران ذلك رواق في ذلك المبنى الكئيب.
فتح الملازم الباب، ومد يده ليشـعل الانارة، تقطع الضوء في الغرفة قبل ان يستقر مشـتعلا بفعل النيون، كان في الغرفة سرير مغطى بملاءة بيضـاء و عليها بطانية خضراء وضعت بشكل مرتب، و الى جانب راس السرير كان هناك دولاب حديدي، و في الجدار وضـع جهاز تكييف خلع عنه وجهه و بدت شرائطه الحديدية ظاهرة، مشى نحوه الملازم و شغله على التدفئة، فاصدر صوت الضاغط هديرا عاليا.

اشـار النقيب لمهدي بالدخول، دخل مهدي الغرفة و اسـتدار ينظر الى النقيب، هز له راسـه، قال النقيب: "ان احتجت شـيئا فاخرج الى الرواق، ستجدني في نهايته او تجد احد افراد الحماية، الحمامات بجانب الغرفة المجاورة من الجهة التي اتينا منها".
شكر مهدي النقيب، خرج الملازم من الغرفة و اغلق النقيب الباب و مضيا يتحدثان معا.

كان الرواق الذي يضم غرفة مبيت مهدي مكون من ابواب خشبية على الجانبين، على الايمن غرف متجاورة، اما على الايسر فكانت الحمامات اولا ثم غرفتين متجاورتين، يقضي مهدي ليلته في الثانية، اما في نهاية الرواق فكانت هناك باب خشبية يتوسطها زجاج مموه، و هي غرفة مبيت المدير.

رغم صوت جهاز التكييف، كان مهدي لا يزال يستمع الى اصوات نداءات اجهزة الاتصال في نهاية الرواق، فالصدى ينعكس بسهولة في هكذا ممرات ذات ارضية خرسانية ناعمة و يلفها هذا القدر من الهدوء، جلس مهدي على سريره و خلع سترته، كان السرير مجاورا للحائط في غرفة ذات مقاسات صغيرة نسبيا و تخلو من اي اثاث عدا السرير و الدولاب الحديدي، شبك يديه خلف راسه و اتكا على الجدار، تذكر ما مر به من الاحداث هذه الليلة..

اغتيال رئيس الجمهورية السابق في شعبة مخابرات الدولة !

شعر بانه وسط دوامة من التفكير، حاول ان يتذكر اخر لقاء له كمحامٍ مع الرئيس في السجن، كان ذلك قبل اسبوع تماما، طلب لقاء موكله و سمحت له السلطات، كان الرئيس معتقلا في سجن داخل المنطقة الخضراء الرئاسية ببغداد قبل ان يتم نقله الى هذا المكان يوم امس كما قال العميد مدير المبنى، كان لقاء مهدي بالرئيس قصيرا فلم يتجاوز الخمس عشرة دقيقة قبل ان ينتهي بطلب من افراد الامن في المكان، التقى بعدها الرئيس بالمحامي في اليوم التالي في جلسة المحكمة و التي كانت لقائهما الاخير، بث التلفزيون الحكومي المحاكمه علنيا مع حذف بعض المشاهد، الى جانب ان مهدي لم يكن يظهر في المحاكمات، فما كان يظهر فيها هو صوته فقط.

كان صوت جهاز التكييف داويا في اذني مهدي، استغرق في تذكر لقاءه الاخير المنفرد مع الرئيس، اغمض عينيه و شعر بدفء المكان، تراخى جسده على السرير، فيما راح ازيز النيون يعزف لحنه على اذنيه هو الاخر.

في تلــك الاثنــاء، وفي غرفته ذات الجدران الخشــبية، وضــع الرجــل ذو البدلة الانيقة نظارته الطبية فانعكســت امامه صــورة الرقم 39 الاخضر على عدســاتها، بدا يقلــب الصــور امامه على الحاســب المحمول، مرت عشر صــور مــن زوايا مختلفة لزنزانــة ظهــرت فيها جثة ممددة على سريــر و رقم اخضر على الجــدار، اعاد تقليب الصور راجعا، اغلق الصورة الاخيرة و اخرج وحدة الذاكرة الـFlash RAM من جهاز الحاسوب و وضعها في الجيب الداخلي لسترة بدلته الانيقة، طوى الشاشة، ثم اخذ نفساً من سيكارته البنية.

الفصل 8

كانت لا تزال جثة الرئيس القتيل محمد المختار على حالها، ذراعها اليمنى متدلية من طرف السرير، و يعلوها الرقم 39 على الجدار، الانارة البيضاء تسطع على الجثة من سقف الزنزانة، بدت شفتا الجثة بيضاوين وعيناها غائرتين، اقترب هو من وجهها ببطء حتى اصبحت اقرب الى عينيه، بدا كل شئٍ حول الجثة ضبابيا، كان الصمت يطبق على المكان و الجمود ينتشر على تعابير وجه الجثة، بدا كأن كل شئ يسير بالتصوير البطئ، و فجأة، فتح الرئيس محمد المختار عينيه من موته الغامض، فتحها كمن يصحو من كابوس قاتل، فغر فمه و اخذ نفسا عميقا عائدا الى وعيه، بدا يتنفس بسرعة، تدورت عيناه و جحظت، بدأ صوت تنفسه يتسارع، حدق مرتعدا خوفاً، ازداد رعب الميت الصاحي شيئاً فشيئا، صارع انفاسه اكثر، ارتفع حاجباه و اتسعت عيناه كمن يريد الصراخ، رفع ذقنه الى الاعلى قليلا و هو يسحب اكبر قدر ممكن من الهواء، ابتل جبينه بعرق غزير، و بانصاف انفاس بالغة السرعة بدا صوتها كطرقٍ على الخشب، ارتفع لسانه لينطق، و برعبٍ هائل، نطق الرئيس كلماته:
"سينهار كل شئ..!"..

بصدرٍ يعلو و ينخفض بسرعة، بدا يصرخ و فمه يتسع اكثر، "سينهار كل شئ.."، رفع الرئيس يديه من جانبيه وامسك به من ملابسه بشدة، صاح مجددا بعنف"سينهار كل شئ..!"، شد ملابسه اليه بقوة و صرخ في وجهه:
"مهـــدي !".

برد فعلٍ قوي و مفاجئ، كور مهدي نفسه بشده و فتح عينيه، سحب نفسا عميقا، كان صدى اسمه يتردد في المكان، نظر حوله، الدولاب الحديدي، ضوء النيون، جهاز التكييف، لقد افاق تواً من كابوسٍ مرعب، لكن الصوت عاد مجددا:
مهدي !

كان ياتي من جهة الباب الخشبي للغرفة، ادرك انه في غرفته بمبنى الشعبة الخامسة، لقد كان في ذلك الكابوس في حالة اللاوعي يستمع الى انفاس الرئيس بصوتها الغريب الشبيه بطرق الخشب، ذلك الصوت كان طرقات احدهم على باب الغرفة، و صراخ الرئيس باسمه كان في الواقع صادرٌ من الطارق الذي نادى باسمه بعد ان طرق الباب عدة مرات بلا رد.

نظر الى ساعته، كانت تشير الى الخامسة و الربع صباحا، نهض الى الباب و هو يفرك عينيه، جذب مقبضه الى الاسفل، اصدر الباب صريرا.
كان النقيب فاضل واقفا في الباب و قد بدت على وجهه تعابير غاضبة نوعا ما:
"طرقت مطولا استاذ مهدي !"، قال النقيب.

"آسف، لقد كنت مستغرقا في النوم"، رد و هو يحاول فتح عينيه بكل اتساعها ليطرد منها النعاس.
"طيب استاذ، ارجو جلب سترتك معك، مدير الدائرة ارسل بطلبك"، قال النقيب.
اعاد مهدي النظر الى ساعته، الخامسة و الربع صباحا، استدار راجعا الى السرير، حمل سترته و عاد باتجاه النقيب، اغلق النقيب الباب وراء مهدي و اتجها نحو الرواق، نحو غرفة العميد مدير المبنى.
سائرين في الرواق، كان مهدي يسترجع بذاكرته كلمات الرئيس التي سمعها في ذلك الكابوس..
سينهار كل شئ .. مهدي !

انعطفا انعطافهما الاخير نحو غرفة المدير، ووصلا الغرفة بعد خطواتٍ قليلة، ولج النقيب اولا الغرفة، ادى التحية و التفت الى مهدي مشيرا له بالدخول، دخل مهدي الى غرفة العميد حاملا سترته الرمادية على ساعدة الايمن، كان العميد جالسا خلف مكتبه و يتصفح ما بدا انه ملف، رفع عينيه و نظر الى مهدي،

"استريح استاذ". قال العميد قبل ان يعود للنظر في الملف بيده. جلس مهدي على الاريكة. و اغلق العميد الملف واضعا اياه على مكتبه.

-"اولا. انا اسف مجددا على ما جرى لك هذه الليلة استاذ !". قال العميد. طوى مهدي شفتيه وهز راسه و هو يشيح بعينيه عنه. اكمل قائلا: "اردت ان اسالك عن حالة موكلك الصحية. كما تعلم فقد تم نقله الينا يوم امس و لم يتسن لي مراجعة ملفه الطبي الذي ارفق معه. لقد بدات بتصفحه منذ دقائق فقط". رفع الملف بيده امام مهدي. "اطلعني على ما لديك عن صحة المتهم ؟". اكمل العميد.
نظر مهدي اليه و قال:
"سيدي. موكلي يعاني من حساسية تنفسية من الغبار و بعض العطور. لا يستطيع تحملها اذا كانت بنسبٍ عالية في الهواء. يؤدي ذلك الى اصابته بنوبة سعال حادة. كما ان لديه حساسية من مادة الصوف. فملامسته له يشعل لديه حالة من التحسس الجلدي المفرط. خصوصا في اشهر الشتاء من السنة. و يتهيج جلده بفعل هذه الحساسية عند ابداء اي نشاط عصبي من قبله". اتكأ واكمل: "لذا. ففي بعض الاحيان كنت اقابله في زنزانته في المنطقة الخضراء و هو يرتدي ملابسه الداخلية فقط بسبب اجهزة التدفئة في السجن رغم برودة الجو في الخارج". قطب العميد حاجبيه: "اي شئ اخر ؟".
اردف مهدي: "كلا. لم؟ هل اتضح اي شئ بخصوص وفاته ؟".
اجاب العميد: "لا. ليس بعد. مجرد اردت التعرف على وضعه الصحي".

شعر مهدي بخيبة امل. هز راسه و حدق في الارض. شبك العميد اصابعه و اتكا على كرسيه و قال:
-"على اية حال. وددت اعلامك باننا تلقينا اتصالا من السيد اللواء مدير المخابرات العامة امر فيه باخلاء سبيلك !". نظر مهدي بشغف الى العميد. الان ؟

مـد العميد يـده الى الدرج في مكتبـه، اخرج منه جهاز نقال مهدي، "ستوصـلك سـيارة المديرية الى منزلك الان"، نظر مهدي الى العميد غير مصـدق، جال في عقله السؤال الاكبر:

هل ستفصح السلطات عما حدث ؟

اغمض عينيه لبرهة، ثم نظر الى العميد قائلا: "طيب سـيدي سـاكون ممتنا !"، رد العميد و هو يقدم النقال الى الامام بيده: "تفضـل جهازك، ناسف لوفاة موكلك، و اعدك بالبحث عن السبب".

نهض مهـدي الى مكتـب العميد، وقف الاخير و سـلم النقال اليـه، اخذ مهدي جهازه وشغله واضعا اياه في جيب بنطاله وعاد نحو الاريكة، طرق العميد الزر على مكتبه، دخل رجل الامن ذو البندقية و المسـدس و ادى التحية، قال العميد جالسا على كرسيه: "ناد لي على الملازم اول هشام"، استدار رجل الامن و ذهب لينفذ.

مد مهدي يده نحو علبة سـجائره في جيب سترته الرمادية التي كانت بجانبه على الاريكة، عاد العميد يطالع الملف الطبي للمتهم محمد المختار، نظر اليه مهدي و اشعل سيكارته، و اتكا على الاريكة، ثم شردت عيناه تنظران نحو السقف..

ليت والدي كان حيا ليشهد ما حدث !

قال ذلك مع نفسـه، تذكر بداياته و كيف اصبح محاميا للرئيس المختار، كان والد مهدي مستشارا للرئيس للشؤون الاقتصادية، تسلم منصبه فور تسلم الرئيس المختار رئاسـة البـلاد قبل عشر سـنوات، كان مـن اخلص رجال الدولـة للمختار وبرنامجه، لكنه توفي بعد ثلاثة اعوام من توليه المنصب، تاركا الرئيس يحكم سبع سـنوات اخرى من دونه، كانت علاقة الرئيس بوالد مهدي قوية الى حد الصـداقة، اطلـع اثنائهـا الرئيس على اخبار ابن مستشـاره "مهدي" و محور عمله كاسـتاذ جديـد انـذاك في كلية القانون وكإبـنٍ لا يقل وطنية عن والده المستشـار، كما ان مهـدي التقى مرتـين بالرئيس اثناء وجـود والده في منصـبه، كان ذلك في الذكرى

السنوية الاولى و الثانية لتسلم الرئيس حكم البلاد. حيث كانت تقام موائد العشاء في القصر بالمناسبة، و التي يحضرها عادةً رجال الدولة الاقرب للرئيس و بعض افراد عوائلهم.

كان مهدي يخوض نقاشات قصيرة مع الرئيس على هامش تلك الحفلات، و طالما بدا الرئيس معجبا بطموح مهدي في الوصول الى القمة ضمن عمله كقانوني، رغم تاخره في الحصول على شهادة الدكتوراه في القانون حتى ذلك الحين.
وثق الرئيس بوالد مهدي جدا، و بعد وفاة الاخير، استمر الاتصال بين الرئيس و مهدي عبر دعوة القصر له لحضور الحفلات السنوية اللاحقة، او عن طريق ارسال الرئيس لباقات ورد الى مهدي في الذكرى السنوية لوفاة والده المستشار و بشكل منضبط، مرفقةً بنعي و مذيلةً بتوقيع الرئيس المختار.

لاحقا، اصبح مهدي قانونيا بارعا، وهو لا يزال – كما والده – محط ثقة الرئيس الذي حكم لولايتين من اربع سنوات لكل منهما، وولاية ثالثة حكم فيها سنتين فقط بسبب سحب الثقة عنه من قبل البرلمان الذي اتهمه بقضايا فساد و اختلاس، اعقب ذلك اصدار المحكمة الاتحادية العليا امرا باعتقال الرئيس وايداعه السجن للنظر في تلك الاتهامات. فطلب الرئيس من المحكمة مراسلة المحامي مهدي العلي ليترافع عنه، و بوطنية لا تقل عن وطنية والده، لبى مهدي طلب الرئيس، و ترافع عنه طيلة فترة المحاكمات التي استمرت لثلاثة اشهر دون التوصل لنفي او اثبات الاتهامات الموجهة للرئيس، قبل ان يتم نقل المتهم من سجنه في المنطقة الخضراء الرئاسية الى مقر الشعبة الخامسة.

دخل الضابط الاصلع ذو الشاربين الكثين الى غرفة المدير وادى التحية، الضابط الذي اتى بمهدي من حي زيونة الى مقر الشعبة الخامسة. قال العميد: "ملازم اول هشام، ستاخذ معك السيد المحامي الى محل سكناه".

اومأ الضابط قائلا: "نعم سيدي"، اكمل العميد: "تاكد من ايصاله بسرعة، فهو متعب هذه الليلة !"، هز الملازم اول هشام راسه.

مطفاً سيكارته، نهض مهدي و ارتدى سترته، نظر الى العميد و قال: "شكرا سيدي، سنتواصل لاحقا بخصوص ماحدث".

ابتسم العميد: "بالسلامه استاذ".

خرج مهدي مرافقا الضابط الاصلع الى خارج الرواق، ثم الى باحة الشعبة الخامسة حيث تنتظره سيارة الشيفروليه.

الفصل 9

في غرفــة المراقبــة التــي ترتبط بها عشـرات الكامـيرات الموزعة في اروقــة و زنازين الشعبة الخامسـة، كان الضــبع لا يزال جالسا امام احد اجهزة الحاسوب المرتبطة بمنظومة المراقبة، بدا مرتبكاً و هو ينظر الى الفتحة الضــيقة للباب و المطلة على الرواق، لم يكن في غرفة المراقبة غيره، فقد انشــغل اعضــاء الغرفة الاخرين بتلبية اســتدعاء طارئ للعميد مدير المبنى، نظر الى ســاعته، ثم نهض و اتجه نحو الباب بقلــق، فتــح الباب اكثر قليلا و القى نظــرة على الرواق الــذي كان خاليا تماما، اعاد تضــييق الفتحة، رجع الى جهاز الحاســوب محدقا بشاشته، ركز نظره على شريط النسخ الاخضر..

نسخ – اربع دقائق متبقية

جلس على الكرســي المقابل للجهاز، وبدا يطرق باصابعه على المنضدة وهو يتابع سير شريط النسخ الاخضر..

اسرع ارجوك !

كانــت اجهزة الحاســوب و المنظومات الخاصــة بالكاميرات موضــوعة على طاولة طويلــة بالتتابع، حيث يجلس افــراد غرفة المراقبة امام شاشــات اجهزتهم، وفوق تلك الاجهزة كان هناك صف من النوافذ الصغيرة المستطيلة الشكل تطل على الرواق الخارجي، بينما وضعت الى الاعلى منها الوحدات الداخلية لاجهزة التكييف التي توفر الحرارة المناسبة للغرفة و الاجهزة الالكترونية بداخلها.

ثلاث دقائق متبقية

ازداد ارتباك الضبع وهو يتابع نسخ المحتوى الظاهر على شاشة الحاسوب، اسرع بطرق اصابعه على المنضدة، و فجأة، انطفأت الشاشة خافيةً معها شريط النسخ، تحولت الى شاشة سوداء صامتة، فانعكس وجه الضبع على زجاجها، نظر الى وجهه المنعكس على الشاشة، بدا الجرح القديم البارز على خده الايمن واضحا فيها، بينما انعكس ضوء الغرفة على العرق الغزير الذي بلل جبينه وراسه الاصلع، حرك الفارة بيده، فعادت الشاشة للعمل بعد ان دخلت بوضع حفظ الشاشة المؤقت..

دقيقتان متبقية

اثناء ذلك، سمع وقع اقدام قادمة من الرواق باتجاه غرفة المراقبة، بسرعة، استدار بكرسيه الدوار نصف دائرة، نظر الى الشاشة الرئيسة التي تتوسط غرفة المراقبة و التي كانت مقسمة الى ثمان مربعات بداخل كل منها صورة حية لاحدى كاميرات المراقبة في المبنى.

نظر الى مربع الكاميرا الموجهة نحو الرواق، بدا صوت الاقدام القادم من الرواق منسجما مع خطوات الشخص الظاهر على الشاشة، اتسعت عيناه، و اندفع الرعب الى نفسه.

....

توقفت سيارة الشيفروليه امام منزل المحامي مهدي في حي زيونة، مد مهدي يده نحو عتلة باب السيارة هامّاً بالنزول منها، التفت اليه الملازم اول هشام قائلا: "استاذ، هناك امانة يجب ان تستلمها قبل المغادرة"، ضاقت عينا مهدي و نظر الى الملازم الذي اخرج من سترته الرياضية كيسا شفافا يحتوي ثلاثة اقراص ليزرية، استدار هشام نحو مهدي الجالس في المقعد الخلفي، "تفضل !".

تسـلم مهدي حزمة الاقراص و نظـر فيها، فتح الكيس فوجد بـين الاقراص ورقة مطوية، اخرجها و فتحها، كان قد كتب عليها:

(التسجيل الكامل لجلسات محاكمة المتهم محمد المختار – نسخة المحامي مهدي العلي).

نظر مهدي الى الملازم اول هشام و قال: "لكنني امتلك النسخة الكاملة حتى اخر جلسة !".
رد هشام: "افضّل لك لاطلاع على هذه النسخة".
كان مهدي حاضرا جميع جلسات المحاكمة التي ترافع فيها عن موكله.
هل فاتني شئ منها ؟؟
اغلق مهدي الكيس و استعد للترجل من السيارة، "طيب، شكرا لايصالي"، قال وقد فتح الباب، "على الرحب و السعه استاذ"، رد هشام، نزل مهدي من الشيفروليه و اغلق الباب، توجه نحو باب منزله، فيما اشار الملازم اول هشام للسائق بالتحرك، تحركت الشيفروليه مغادرة شارع منزل مهدي، نظر الاخير الى ارقامها الحكومية تبتعد، ثم استدار ليفتح باب منزله.

في الغرفة ذات الجدران الخشبية، رن الهاتف المحمول للرجل صاحب البدلة الانيقة.
رسالة جديدة.

الفصل 10

دقيقة واحدة متبقية

ازداد ارتباك الضبع و هو يشاهد اقتراب احدهم من غرفة المراقبة. التفت الى شاشة الحاسوب. لا يزال الشريط الاخضر في طريقه لانهاء نسخ المحتوى. نظر الى الرواق من الفتحة الضيقة للباب. بدا الظل المنعكس على بلاط الرواق. و اقترب وقع اقدام الرجل في اذنيه.

30 ثانية متبقية

التفت باحثا عن مكانٍ ممكنٌ ان يختبئ فيه داخل الغرفة. لم تكن غرفة المراقبة تحوي خزائن او رفوف عالية.

لا ملجأ لي في الداخل !

اعاد النظر نحو الرواق من فتحة الباب الضيقة. بدا الرجل كشبحٍ اسود لدى مروره في منطقة مظلمة من الرواق المقسم الى مناطق مظلمة و اخرى مضيئة بسبب توزيع المصابيح في سقفه.

لن افلت !

لا ملجأ في الداخل. ولا مجال للهروب الى خارج الغرفة عن طريق الرواق. عرف الضبع ان تلك ستكون لحظة فضح ما قام بفعله. و كمن سيخسر كل شئ. مد يده نحو خصره. و تلمس مسدسه منتظرا دخول الغريب الى الغرفة.

القى مهدي بنفسه على سريره منهكا من ليلته في الشعبة الخامسة، مستلقيا على بطنه، نظر الى كيس الاقراص الذي رماه على الطاولة المقابلة لسريره. بدا يشعر برغبة في الاطلاع على مضمونها، لكنه لم يكن قادرا على الحراك، ثقل جفنيه، و استسلم لنومٍ عميق.

الفصل 11

السادسة الا الربع صباحا.

قريبا من غرفة المراقبة وفي المنطقة المظلمة من الرواق، اصبح الرجل الغريب قريبا جدا من باب الغرفة، اثناء مروره، توقف لوهلة، لاحظ الضوء الصادر من الغرفة عن طريق فتحة الباب الضيقة، كان يبدو كشبح يتحرك في رواقٍ منعزل كبيت اشباح. وفجأة، خطى بسرعة كبيرة نحو الغرفة، تحرك بسرعة خاطفة نحو الباب، امسك بمقبضه و فتحه بقوة، تفاجأ برؤية الضبع هكذا امامه، و اتسعت عيناه وهو ينظر اليه...

كان الضبع يجلس بكل هدوء خلف جهاز الحاسوب وقد شبك يديه خلف رأسه، نظر الى الرجل الواقف على الباب وقال: "سيدي نقيب فاضل ! هل لا زلنا في حالة الانذار ؟".

دخل النقيب فاضل الغرفة، نظر اليه بحزم و رد: "ماذا تفعل هنا ؟".

قال الضبع: "هناك مشكلة تقنية في جهاز الحاسوب هذا، و هو بحاجة الى عملية مسح و تنصيب لنظام التشغيل".

قال النقيب: "و في هذا الوقت ؟".

رد الضبع ضاحكا: "لا تؤجل عمل اليوم الى غد، تعلم ان هذا شعاري، كما ان مناوبتي مستمرة الى التاسعة صباحا"، قالها مبتسما و الضوء يلمع على اثر الجرح في خده الايمن وقد بدت عيناه تبتسمان ابتسامةً ماكرة. نظر النقيب فاضل الى جهاز الحاسوب، لم يكن هذا الجهاز مرتبط بمنظومة المراقبة، حدق بشاشته، كانت صورة الشاشة سوداء وقد امتلات بنصوص انكليزية بيضاء، و في اخر سطر من تلك السطور ظهر عداد النسبة المئوية وهو يواصل صعوده نحو المئة بالمئة.

التفت فاضـــل الى الضـــبع الذي بدا ناظرا الى الشاشة امامه و يحرك نفسه على كرسيه الدوار.

"ضبع، ستؤجل عملية صيانة هذا الجهاز الى يوم غد عندما تلتحق مجددا".

نظر الضبع الى فاضل وقال باستغراب: "لكنني على وشك البدء بعملية المسح!".

قال النقيب: "قلت لك، اترك غرفة المراقبة فورا !".

هز الضبع كتفيه مستهجنا، ظهر نص على ذيل الشاشة:

(Y،N)؟

طبع الضبع N وضغط مفتاح Enter، الغيت عملية المسح.

اطفأ الضـــبع الجهاز و اخذ القرص الليزري الذي يحوي نســـخة نظام التشـــغيل و الذي كان موضوعا على الطاولة، نهض مغادرا الغرفة، تبعه فاضل خارجا، و اغلق باب الغرفة و اقفلها.

"اراك بخير سيدي".

قال الضبع، هز فاضل راسه و اتجه في الاتجاه المعاكس للضبع في الرواق.

كان النقيب فاضل يعلم بالقدرات الحاسوبية الخارقة التي يتمتع بها الضبع، فقد اســـماه رفاقه بهذا الاسم لعبقريته في التعامل مع الحاسوب، اضافة الى عمليات القرصنة و الاستيلاء على الحسابات الشخصية على الانترنت، حيث يعمل الضبع كضابط اداري في وحدة الحاسبة الالكترونية داخل الشعبة الخامسة، ووظيفة هذه الوحدة هي صـــيانة و متابعة عمل كافة اجهزة الحاسوب داخـــل المبنى، وقد كان يســـتدعى من قبل الموظفين اكثر من غيره لاصـــلاح مشـــاكل حواســـيبهم، لكنه في الوقـــت ذاته، كان امكر وادهى موظفي الشـــعبة، عرف بذلك من خلال تعاملاته الشخصـــيه مع الموظفين، لذلك، كان النقيب فاضل يمقته جدا، حتى انه يعامله بخشونة نوعا ما، الى جانب ذلك، كان الضبع عاشقا لسفرات الصيد البري لرغبته الجامحة في استخدام السلاح و اطلاق النار على الحيوانات.

كان فاضل لا يزال مستمراً بالسير في الرواق مبتعدا على غرفة المراقبة المقفلة، الا انه، وكساعة توقفت عن العمل فجأة، تسمر في مكانه، شعر بحرارة قاتلة تصعد الى رأســه، اتســعت عيناه و ارتفع كتفاه، استدار بسرعة، و بهستيريا مجنونة، راح يركض نحو غرفة المراقبة، ركض باقصى سرعته نحوها على ارضية الرواق الزلقة و هو يبحث عن مفاتيحها في حزمة المفاتيح بين يديه، لم يشــاهد النقيب فاضــل على هذه الحال المرتبكة من قبل.

في تلك الاثناء، كان الضــبع قد انهى زيارة قصــيرة لغرفة الســير الخاصــة بحركة العجلات التابعة للمبنى، و توجه الى الباب الرئيس في طريقه للمغادرة .

الفصل 12

بانفعال كبير، كان النقيب فاضل يفتح باب غرفة المراقبة مجددا و قد بدا عليه الارتباك، مقاوما ارتجاف اصابع يديه، فتح قفل الباب و دفعه داخلا اليها، ذهب الى جهاز السيطرة على الكاميرات، فتح تسجيل الكاميرا المثبتة داخل غرفة المراقبة نفسها، حيث توجد الكاميرا الخاصة بتصوير ما يجري داخل غرفة المراقبة مثبتةً فوق شاشة العرض الرئيسة في الغرفة، جلس امام احد اجهزة الحاسوب المرتبطة بجهاز السيطرة على الكاميرات، وبدأ يشاهد تسجيل الكاميرا الداخلية، بدءا بما جرى قبل 10 دقائق.

ظهر في الشريط اعضاء غرفة المراقبة امام اجهزة حواسيبهم المرتبة بالتتابع، كان كل فردٍ فيهم يجلس امام حاسوبه، عدا الحاسوب الثاني من اليمين فقد كان مطفأً ولم يكن يقابله احد، بينما كان بعضهم يراقب شاشة العرض الرئيسة الموضوعة في الجهة المقابلة لسلسلة الحواسيب، كان بجانب تلك الشاشة على الجهتين عدد من الشاشات الاصغر حجما، استمر فاضل بمتابعة التسجيل، ظهر ان احد العاملين في الغرفة تلقى اتصالا تلفونيا قصيرا، التفت الى رفاقه و تحدث معهم بايجاز، ثم نهض الجميع و قاموا خارجين من الغرفة، بقيت غرفة المراقبة فارغة من العاملين و موصدة الباب نحو دقيقة تقريبا، ثم فُتح الباب و دخل شاب اصلع تميل بشرته الى السمرة الداكنة.

كان الضبع قد دخل و توجه الى جهاز الحاسوب الثاني على المنضدة، جلس امامه و قام بتشغيله، ثم التفت الى الجهاز الاول المجاور له استمر محدقا به، و نهض من مكانه ليجلس امامه، تاركا الجهاز الثاني بشاشة سوداء تقريبا.

تابع النقيب فاضل مشاهدة الشريط. اطال الضبع الجلوس امام الجهاز الاول. بعد قليل نهض الى باب الغرفة. لمسها بيده. ثم عاد ادراجه ليجلس امام الجهاز. بعد قليل. التفت الى شاشة المراقبة خلفه. بدا وجهه في التسجيل واضحا اثناء نظره اليها. ثم بسرعة. انحنى على الجهاز الاول و نهض ليجلس امام الجهاز الثاني. اتكا على الكرسي و شبك اصابعه خلف راسه.

استمر فاضل بمتابعة التسجيل. كان الضبع جالسا كما هو. حينما دخل فاضل نفسه الى غرفة المراقبة بسرعة و اجرى حواره معه.
اوقف فاضل التسجيل. و ترك جهاز السيطرة على الكاميرات و اتجه نحو الحاسوب الاول. حرك مؤشر الفأرة و اجرى عمليات سريعة على الجهاز. و فجأة..
مستحيل!

ضرب جبينه بيده بقوة و قد شعر بصدمة عنيفة. ركض نحو باب غرفة المراقبة وخرج. اقفلها على عجل. استدار راكضا في الرواق و قد بدا بحالة هستيرية. مقاوما جسمه البدين. كان يطلق ساقيه للريح في الرواق. كان اثنان من افراد الامن يمرون في الرواق عندما مر فاضل باتجاههم صارخاً:
"هل رايتم الضبع ؟؟!".
كان يصرخ باعلى صوته. هز احد افراد الامن راسه نافيا. بدا فاضل اشد غضبا و هو يندفع في الرواق. اصطدم كتفه بكتف حارس الامن بعنف و استمر بالركض باتجاه غرفة الخفراء. وصل الغرفة و دفع الباب بقوة وقد بدا وجهه محمرا و العرق بادٍ عليه. كان بداخل الغرفة ضابط شاب برتبة ملازم جالس خلف مكتبه و يقوم ببعض الاعمال الكتابية. تفاجأ باندفاع النقيب فاضل داخل غرفته:
"هل رايت الضبع ؟"قال فاضل لاهثا.
رد الضابط بارتباك وهو ينظر الى جدول مثبت امامه على المنضدة:

"سيدي، على حد علمي فانه يجب ان يكون قد غادر المبنى الان لان مناوبته تنتهي في تمام الساعة السادسة"، اتسعت عينا فاضل..

السادسة صباحا !!

تذكر ماقاله الضبع عن موعد انتهاء مناوبته: "مناوبتي مستمرة حتى التاسعة صباحا"..

اقترب فاضل نحو مكتب الضابط و رفع سماعة الهاتف من عليه، ضغط ثلاثة ارقام لاجراء اتصالٍ داخلي، رن الهاتف في غرفة حماية المبنى الواقعة عند البوابة الرئيسية للشعبة الخامسة، اجاب احد الافراد. قال له فاضل باعصاب مشدودة: "اسمع. هل شاهدت الضبع خارجاً من المبنى ؟".

رد رجل الامن: "قبل دقائق سيدي، وقد استقل سيارة اجرة !".

جن جنون فاضل، ضرب سماعة الهاتف بقوة بالمنضدة و استدار خارجا من الغرفة و تاركا الضابط بحالة ذهولٍ تام. توجه نحو الرواق الرئيسي و راح يركض حتى وصل الانعطافة الاخيرة نحو غرفة مدير المبنى، وقف ببابها. سحب نفسا عميقا، ثم دخل الغرفة و ادى التحية للعميد بارتباك واضح، كان العميد جالسا خلف مكتبه الذي غادره عناصر غرفة المراقبة الذين انهى لقاءا قصيرا معهم قبل قليل، نظر نحو فاضل و لاحظ الارتباك و العرق على وجهه، قال باستغراب: "نقيب فاضل ؟ مابك ؟!".

كشر فاضل عن اسنانه وهو يتنفس بسرعة وقال: "سيدي، لقد فعلها الضبع.. لقد اختفى تسجيل كاميرا الزنزانة 12"..

الفصل 13

كان افراد غرفة المراقبة قد عادوا توا من مكتب العميد الى مواقعهم خلف اجهزة الحواسيب بعد ان انهوا لقاءا قصيرا معه، حيث قام العميد بطلبهم بعد ان اقنعه فاضل بضرورة التحدث اليهم بخصوص الحفاظ على سرية ما سجلته كاميرات المراقبة اثناء وقوع حادثة اغتيال محمد المختار، كان العميد يلوح اثناء الاجتماع بالعقوبات الصارمة تجاه فريق المراقبة في حال تسرب اي شريط مما سجلته الكاميرات في تلك الليلة.

"كيف عرفت ذلك ؟"قال العميد لفاضل الذي بدا منهارا.
"سيدي، لقد عدت توا من غرفة المراقبة، اعدت تسجيل شريط الكاميرا الموجودة في الغرفة، لقد كان الضبع يقوم بصيانة احدى الحواسيب، لكنه استغل خلو الغرفة من الافراد فقام بمسح تسجيل كاميرا الزنزانة 12، ثم اختفى من المبنى".
اغمض العميد عينيه و ضغط على اسنانه: "هل تعلم ماذا يعني هذا ؟!".
"نعم سيدي، نحن في ورطة امام السلطات".
نظر العميد الى فاضل و قال:
"كيف سيكون موقفنا امام اللواء ؟، فاضل، اريد تقريرا حول تحركات الضبع هذه الليلة كاملا منذ علمنا بوفاة المختار".
"سيدي، حسب الجدول فانه كان يجب ان يكون قد دخل المبنى توا، دخوله و اشعار الوفاة حدثا في ذات الوقت، تمام منتصف الليل حسب التسجيل الذي قام هو بمسحه".
"و ان كان قد دخل المبنى قبل مناوبته ؟"، قالها العميد و قد طرق على الزر على مكتبه، دخل الرجل المسلح، قال العميد:
"ابعث لي على ضابط الامن الداخلي".

استدرك فاضل قائلا: "سيدي، لا داعي لذلك، ساتولى انا الامر، ساحاول فهم الغاية من مسـح شريط الزنزانة من قبل الضـبع بطريقتي الخاصة، ما يهمنا الان القاء القبض عليه حيا".

كان العميد و مجموعة ضـباط معهم النقيب فاضل قد دخلوا الى غرفة المراقبة وشاهدوا معا تسجيل الكاميرا المثبتة في الزنزانة 12 بعد الابلاغ بوقوع وفاة المختار مباشـرةً و اطلعوا على محتواه، لقد تزامن دخـول احد عمال التنظيف الى الزنزانة مـع حالة اختناق بدت على المختار ابلغ بعد خـروج العامل من الزنزانة بدقائق عن عـدم تحرك الرئيس بعدها، مـا تاكد لاحقا انه قد توفي، واثنـاء عرض الشريط، كان هناك جـزء مفقود لثانيتين اخفى معـه اهم ما بالشريط، وجـه العامل، كما انه وخلال وقوع الحادث كان كافة افراد غرفة المراقبة قد استدعوا الى اصلاح عطل كبير في منظومـة كاميرات المراقبـة في المبنى المجاور، و عـادوا الى مواقعهم بعد اطلاق الانذار عقب وقوع الحادث.

"سيدي"، قال فاضل، "لقد كان خطاً منا حين احتفظنا بالشريط في جهاز السيطرة فقط، كان يجب ان نصنع منه نسخة ثانية للاحتياط من اجل التحقيق".
اشعل العميد سيكارته وقال: "فاضل، ماذا يمكن ان يفسر عطل منظومة المراقبة في المبنـى الثاني ووقوع حادثة اختناق الرئيسـ في ذات الوقت و وجود قطع هام على شريط تسجيل كاميرا الزنزانة 12 ثم مسحه بالكامل لاحقا ؟".

"من قام بمسح الشريط بهذه الطريقة .." .
"هـو الفاعل !"، قال العميد مقاطعا، اخذ نفسـا من سـيكارته، "نقيب فاضـل، بشـكل سري من الداخل، سـتاخذ قوة من عناصر الامن و تاتيني بالضبع"، و ضرب مكتبه بقبضة يده: "و اليوم !".

كان الضبع قد دخل توا الى المكان الذي يقطنه منذ اسابيع، فتح باب الشقة في الطابق الاول من المبنى و دخل اليها، كانت شرفة الشقة تطل على الشارع المؤدي الى ساحة الفردوس من جهة الكرادة، بامكانه النظر من خلال شرفتها الى مكان تمثال الرئيس صدام حسين الذي اسقطته الدبابات الامريكية عام 2003.

اشعل الانارة و اقفل الباب، جلس على اريكة جلدية في غرفة المعيشة، سحب نفسا عميقا ثم اخرج من جيب معطفه وحدة ذاكرة، نظر اليها بيده، و قال في نفسه:
"سترى ما قمت به !".

الفصل 14

برق الضياء الاول على العاصمة بغداد.

في تمام السابعة صباحا، كانت ثلاث عجلات شيفروليه مظللة قد استعدت تماما للقيام بعملية سريعة لتنفيذ اوامر العميد بالقبض على الضبع. وضع النقيب فاضل خوذته السوداء على مقدمة السيارة الاولى المتوقفة الى جانب السيارتين الاخريين في باحة الشعبة الخامسة، مرتديا درعه المضاد للرصاص والمرقط بالالوان الصحراوية. صاح النقيب على الافراد المشاركين بالمهمة امرا اياهم بالتجمع، تشكل 12 فردا مسلحا بشكل مربع ناقص ضلع امام النقيب. كانوا جميعا يرتدون بناطيل صحراوية و قمصانا لبسوا فوقها دروعهم المضادة للرصاص وجعب بخانات تحمل مخازن عتاد الاسلحة وفوقها ارتدوا سترا رياضية سوداء، كانوا مسلحين ببنادق ام 16 و ام 4 امريكية الصنع ومعتمرين خوذا سوداء من دون تغليف بقماش مرقط، كما بدت على افخاذهم الاحزمة السوداء الماسكة لحافظات مسدساتهم النمساوية الصنع.

مع صوت محركات سيارات الشيفروليه التي كانت تدور لاحماء نفسها و الاستعداد للاغارة على وكر الضبع، كان صوت النقيب فاضل جهوريا في الحديث امام افراد الرتل، اخرج خارطةً من جعبة بنطاله و بدا يشرح للفريق تفاصيل واجبات كل منهم منذ الانطلاق و حتى اتمام المهمة في الكرادة و العودة الى مقر الشعبة الخامسة مجددا، شرح ذلك مع التحفظ على اسم الهدف و استبداله باسم مستعار: الكبش.

رصد الوقت الافتراضي للمهمة بـ40 دقيقة.

في الغرفـة ذات الجدران الخشـبية، كان الرجل ذو البدلة الانيقـة قد اغلق الباب توا خارجا الى محل اقامته القريب من غرفته تلك، ماشـيا نحو مخرج المبنى، رن جهاز نقاله، لم يشـا الاجابة حتى خرج الى حديقة مقره، فتح الخط ووضـع الجهاز على اذنه.

اتصال قصير.

بدا غاضـبا من محتوى الاتصـال، اغلق جهازه و وضـعه في جيبه، فتح له احدهم الباب الخلفي لسيارته المظللة، استقلها تاركا المقر.

....

على السـجاد المزخرف الممتد على ارضـية الغرفة الدافئة، و بجوار سرير خشـبي لفردٍ واحد، حطت قدمين انثويتين جميلتين بطلاء اظافرٍ احمر.

ادخلت اصابع يدها في شعرها المشقر و ارجعته الى الوراء، نظرت متثائبةً الى جهاز نقالها على المنضدة المجاورة لسريرها، كان الضوء الازرق في الجهاز يشتعل بشكلٍ متقطع، تناولت جهازها و فتحت قفل الشاشة بحركة متعرجة من ابهامها.

رسالة جديدة 2.

الفصل 15

انارت اشـعة الشـمس الذهبية الجهة الشرقيـة من منارة وقبة جامـع الفردوس بزخرفتهما الاسلامية الرائعة، و المطلتين على الساحة التي تحمل نفس الاسم.

نزل الضـبع من شـقته مستخدما السـلالم الى الطابق الارضي، خرج من باب المبنى و دخل الى مكتبة صـغيرة في المبنى ذاته تطل على الشـارع العام، كان رجلٌ مسن قد افتتح مكتبته المتواضـعة تلك توا، القى الضـبع التحية وطلـب من الرجل العجوز ظرفا صغيرا، ابتسم العجوز و اخرج واحدا من احد الرفوف التي تغطي جدران المكتبة، اخذ الضـبع الظرف و عاد الى شـقته، اغلق باب الشقة وجلس على الاريكة، ثم اخرج قلما و كتب على ورقةٍ كلمات قليلة، وضع الورقة في الظرف و دسها في جيب معطفه.

تذكر العنوان الذي قراه على اللوحة الموضوعة في غرفة السير.

تستخدم تلك اللوحة لتثبيت معلومات توجه اية عجلة تابعة للشعبة الخامسة نحو هدفها، واتجاه واجبها ونوعه وعنوان الهدف واسـم الضابط المستخدم لها و توقيت الخروج، تبقى المعلومات على اللوحة حتى عودة العجلة من مهمتها، حيث تمسح المعلومات و يعلق مفتاح العجلة بانتظار واجب جديد و مستخدمٍ اخر.
الوجهة واضحة، لا يمكن الخطأ فيها.

نظر الى ساعته:
السابعة و النصف صباحا.

نهض الى مطبخ الشقة، و بدا يحضر لنفسه كوبا من الشاي.

فتح مهدي عينيه بتثاقل على صوت نغمة نقاله الافتراضية، جلس على السرير، و اخرج نقاله من جيبه.

مها الطالبة.

فتح الخط و اجاب: "اهلا مها صباح الخير.. اه.. نعم، لا يمكن الحديث بذلك على الهاتف، يجب ان نلتقي قريبا... نعم انا في المنزل... طيب.. ساكون بانتظارك".

اغلق الهاتف و نظر الى ساعته، نهض و خلع سترته و توجه للحصول على حمامٍ ساخن.

في تلك الاثناء، كانت عجلات الشيفروليه قد عبرت جسر الائمة متجهةً الى ساحة الفردوس في وسط العاصمة حيث يقطن الضبع.

تمتلك المخابرات معلومات كافية عن جميع الافراد العاملين فيها، يتم الاستعانة بها للوصول الى اي فرد في اي وقت، الى جانب ذلك، توفر شبكات الهاتف المحمول امكانية تتبع الاتصالات الصادرة من خطوط الافراد المسجلة لديها لصالح المخابرات.

بدا النقيب فاضل صامتا و هو يجلس في المقعد الامامي من السيارة الاولى في الرتل، نظر من الزجاج المظلل و هو يفكر بامكانية اتمام العملية بنجاح.

كان فاضل من اكثر رجال المخابرات ولاءا للمؤسسة المخابراتية، حاز بذكاءه و تنفيذه للواجبات على اتم وجه استحسان رؤساءه في المديرية خصوصا العميد، حيث تعود ان توكل اليه المهام الحساسة.

متحمساً للمهمة، تفحص المسدس الكهربائي الذي وضعه على المقعد بين فخذيه.

يستخدم هذا النوع من المسدسات لاطلاق سلكين كهربائيين بسرعة فائقة، حيث ينغرز السلكان في جسم الضحية بسبب الرؤوس المعدنية المدببة في نهايتيهما، و حالما يتم غرز السلكين، يسري تيار كهربائي من المسدس بيد الرامي عن طريق السلكين الى جسم الضحية، مسببا تقلصا حادا في عضلاته و شالا حركته لفترة قصيرة تمكن رجال الامن من القاء القبض عليه دون اصابته بجروح بليغة او قتله ان تم استخدام المسدسات ذات الذخيرة الحية.
كان يامل في القاء القبض على الضبع حيا لمعرفة ما قام به اثناء تواجده في المديرية الليلة الماضية.

....

جلس الضبع على الاريكة بعد ان وضع وحدة الذاكرة في جهاز حاسب محمول كان قد وضعه على طاولة امامه، فتح محتوى وحدة الذاكرة و اتكا يرتشف الشاي، ظهر في شاشة الحاسوب تصوير ثابت من كاميرا مراقبة، ابتسم الضبع متابعا.
الدقة ممتازة.

كان مايظهر في التصوير هو الزنزانة رقم 12، قام الضبع بسحب تصوير كاميرا المراقبة الخاصة بتلك الزنزانة من غرفة المراقبة في الشعبة الخامسة قبل مغادرته اياها هذا الصباح.
ظهر في تصوير الزنزانة سرير منفرد بجانب الجدار وقد جلس عليه المتهم محمد المختار بسرواله الداخلي فقط، فُتح باب الزنزانة و دخل عامل نظافة يرتدي بدله صفراء اللون مع قبعة عمل باللون ذاته، اُغلق الباب وراءه و بدا بتنظيف الزنزانة، استمرت عملية التنظيف لخمس دقائق، اكمل العامل، ثم بدا برش ما يبدو انه معطر للجو، ما ان بدأ برشه في الزنزانة حتى بدا المختار منزعجا، ظهر ان هناك مشادة كلامية مع عامل التنظيف.
استمر الضبع بمتابعة الشريط.

انهى مهدي حمامه و توجه لاعداد القهوة، فيما كانت سيارة مها الشخصية قد دخلت الى الشارع الذي يقيم فيه، كانت مها تسكن مع والدتها في منزلهم بشارع فلسطين القريب من حي زيونة، زارت فيما سبق منزل استاذها عندما اعارها مصدرا قانونيا من مكتبته لاتمام بحثها، حيث رافقته بسيارتها من الجامعة الى منزله.

كان مهدي يراقب القهوة في طريقها للجهوز، فيما مر امامه شريط احداث الليلة الماضية بكل تفاصيله، فجأة، رن جرس المنزل، تحرك مهدي الى شباك غرفته في الدور العلوي و نظر الى الشارع، كانت الفتاة العشرينية تضع نظارتها الشمسية على شعرها المشقر، و ترتدي سترة جلدية بنية اللون و بنطالا من الجينز مع بوت جلدي بني طويل، عاد مهدي نحو المطبخ و اطفا النار تحت وعاء القهوة بعد ان جهزت، و نزل الى فناء المنزل متوجها نحو الباب حيث تنتظره مها.

وطأت عجلات سيارات الشيفروليه مدخل شارع السعدون من جهة ساحة التحرير التي تضم نصب الحرية العراقي في طريقها نحو ساحة الفردوس حيث يقطن الضبع، كان قائد القوة النقيب فاضل مستمرا باجراء الاتصالات مع مديره العميد شخصيا لاعلامه بتفاصيل تحركات القوة.
لم يكن هناك اكثر من دقائق تفصلهم عن *وكر الضبع*.

الفصل 16

بدا عامل النظافة يعتذر للرئيس المختار عن رشه معطر الجو. استدار نحو المنضدة عند راس سرير الرئيس معطيا ظهره للكاميرا. كان الرئيس يبدو و كأنه يسعل من انتشار دقائق معطر الجو في الزنزانة.
استمر الضبع بمشاهدة الشريط.

في باب المبنى الذي يقطن الضبع في احدى شققه. كانت ثلاث سيارات شيفروليه مظللة قد توقفت و ترجل منها ستة رجال مسلحين يتقدمهم النقيب فاضل الذي اعد مسدسه الكهربائي فيما اعد الاخرون بنادقهم الفتاكة. كانت اوامر فاضل للافراد واضحة:
المجئ بالضبع حيا كلما امكن ذلك.

بدا الافراد الستة بقيادة فاضل بصعود سلالم المبنى بهدوء. لم يكن يسمع في اروقة المبنى غير نقرات احذية عسكرية تحاول ان لا تصدر صوتا. كرجال اليين. كان افراد الامن يتقدمهم فاضل يتقدمون خطوة فخطوة على درجات السلم المؤدي الى باب شقة الضبع الخشبي في الدور الاول. فيما بقي الاخرون في الشارع حول مركباتهم يراقبون الوضع في الخارج. اقترب فاضل و رجاله من باب شقة الضبع و اصبحوا امامه مباشرة. اشار بقبضة يده للافراد بالتوقف. اخذوا وضعا قتاليا في الممرات و السلالم و باب الشقة في المبنى. و راحوا يتفحصون كل ما حولهم بعيون الصقور.
كان الضبع قد وصل بمشاهدة الشريط الى ثوانيه الاخيرة. انهى عامل النظافه عمليةً قصيرة عند سرير المختار الذي كان ممدا عليه. استدار نحو الكاميرا. بدا وجهه واضحا امامها.

اوقف الضبع الشريط وابتسم.
هذا ما سيؤكد له !

فجأة، طرق باب الشقة بثلاث طرقات خفيفة، تفاجأ الضبع.
من في هذا الوقت ؟
اغلق شاشة حاسبه المحمول على الطاولة و سحب اقسام مسدسه و امسكه خلف ظهره و توجه نحو الباب. كان النقيب فاضل بحالة عالية من التاهب وقد وضع اصبعه على زناد مسدسه الكهربائي و صوبه نحو باب شقة الضبع.
تقدم الضبع نحو الباب ووضع يده على مقبضه الكروي، احس بالعرق البارد يزلق قبضة مسدسه من بين اصابعه، كانت طبول قلبه تقرع امام الباب الخشبي، قبض على مسدسه بقوة، سحب نفسا عميقا و احكم قبضته الاخرى على مقبض الباب، في الخارج، تسللت قطرة عرق من تحت الخوذة التي يعتمرها النقيب فاضل الى جبينه، شد على مقبض مسدسه هو الاخر، داعبت سبابته زناد المسدس الكهربائي بانتظار الضغط عليه، شعر و كان المسدس اصبح جزءا منه، ضاغطا على اسنانه، كان تنفسه قد بدا يتسارع بانتظار لحظة الحسم..
بسرعة، و بحركةٍ مفاجئة، حرك الضبع مقبض الباب و سحبه نحوه، بقوة، ركل النقيب فاضل الباب و اندفع كالسهم داخلا شقة الضبع و متبوعا باثنين من رجاله، *الحسم*، تفاجأ الضبع بضيفه، ارتخت قبضته على مسدسه امام ما رآه.
الرجل العجوز صاحب المكتبة يقف مبتسما امامه.
"عذرا سيدي، لقد نسيت اعادة الفكة لك !".
ابتسم الضبع، و اخذ النقود شاكرا الرجل، عاد العجوز ادراجه نحو السلالم و اغلق الضبع الباب.

فتش فاضل ورجاله شقة الضبع المسجلة لديهم كمسكنٍ دائم له.
لا احد !

كان الضـــبع يتنقل منذ اســابيع بين شقته و شقة صــديق له سافر خارج البلاد لعلاج والدته، حيث كان يلجأ لشــقة صديقه احيانا و هي تقع على مسافة ثلاث مبانٍ من مسكنه الاصلي في الشارع ذاته.

ضرب فاضل الجدار بقوة.

افلت !

امر رجاله بالخروج من الشــقة بعد ان فتشوا كل شـــبرٍ فيها، اغلق الباب و سحب رجاله من المبنى، ركب الشــيفروليه و امسك جهاز الاتصال، اعلم العميد بما جرى تماما.

بعـــد دقائـــق، كان الرجل ذو البدلة الانيقة قد استشـــاط غضـــبا وهـــو يتحدث في الهاتف.

اريده حيا !

الفصل 17

بدت علامات الدهشة و الصدمة على مها التي ارتجفت يدها الممسكة بفنجان القهوة لماروى لها مهدي من احداث الليلة السابقة ووفاة الرئيس و الرقم على جدار الزنزانة. وضعت الفنجان من يدها و سألت:

"استاذ. هل تعتقد بانك في خطرٍ الان بعد اطلاعك على ما جرى ؟".

"هذا مرهونٌ بامرٍ واحد. اذا اعلنتْ السلطات الامر على وسائل الاعلام ساكون في مأمن. ليس لديهم ما يخشوه. اما اذا تكتموا عليه لاكثر من اربع و عشرين ساعة. فساكون فعلا في خطر".

وضعت مها يدها على فمها و نظرت بخوف الى استاذها.

"استاذ. يجب ان تختفي مؤقتا !".

"لا يمكن الافلات من مخابرات الدولة". قال مهدي. "سابقى هنا وارى ما سيحدث".

بدت مها مرتبكةً و خائفة من عواقب ما جرى. سيما و ان الوضع العام في البلاد لا يزال مشحونا بعد تنحية الرئيس.

نهض مهدي و جلب كيس الاقراص الليزرية الي اعطاه اياه الملازم هشام.

(نسخة المحامي مهدي العلي).

"هذا ما اعطوني اياه". قال مهدي و هو يخرج القرص الاول متوجها الى جهاز تشغيل الاقراص في الغرفة. وضعه في الجهاز و عاد جالسا. وضع الكيس بقرصيه المتبقيين على المنضدة امامه.

ارجعت مها شعرها خلف اذنها باصابعها و تناولت الكيس: "ماهذا ؟". قالت. شغل مهدي التلفاز بالريموت كنترول. "سنرى الان".

انسحبت عجلات الشيفروليه من منطقة الكرادة عائدة الى مقر الشعبة الخامسة في الكاظمية، كان فاضل قد تلقى اتصالا من العميد يخبره فيه بايجاد خطة بديلة لالقاء القبض على الضبع، بدا منفعلا و هو ينتظر الوصول الى المديرية ومناقشة العميد بالامر.

في تلك الاثناء، تلقى الضبع اتصالا من جاره صاحب الشقة المجاورة لشقته الاصلية ساله فيه عما اذا كان بخير، فقد قامت قوة يبدو انها خاصة بمداهمة الشقة، طمأن الضبع جاره، و اخبره بان ذلك ليس الا مزحة من احد الزملاء في العمل، و اغلق الخط.

بسرعة، نهض وغير ملابسه، وارتدى زيا رياضيا وقبعة اشبه بقبعات لاعبي البيسبول، مع نظارة شمسية بيضوية الشكل و ذات تصميم معاصر.

مستعدا لمغادرة شقته، امسك بالظرف الورقي و اعاد قراءة النص الذي كتبه على الورقة المرفقة، ابتسم، اخرج من جيبه شيئا اشبه برصاصة بندقية الية من عيار 7.62 ملمترا، وضعها في الظرف الى جانب الورقة، و اخفى الظرف في جيبه، ثم اخذ بعض اوراقه الثبوتية كهويات و جواز سفر و حشرها في ملابسه، بعد ذلك، اخرج شريحة نقاله الذي تلقى الاتصال الاخير عليه، و كسرها.

نزل الى الشارع، واضعا يده في جيبه و قابضا بها على الظرف، و اشار بيده الاخرى لسيارة اجرة، توقفت قبالته، تحدث مع السائق، و استقل السيارة.

ظهرت صورة ميزان على الشاشة..

"و اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل".

بقيت الصورة لبضع ثوان، كان مهدي ومها في غاية الفضول لمعرفة محتوى الاقراص رغم ما تم كتابته على الورقة المرفقة بانها مجرد تسجيل لجلسات محاكمة الرئيس المختار، سيطر على مهدي شعور قوي..

هناك شئ اخر غير جلسات المحاكمة..

بدأ مشغل الاقراص بعرض محتوى القرص الاول من بين الاقراص الثلاثة التي تسلمها مهدي، ظهر نص ابيض على خلفية سوداء بعد ان اختفت صورة الميزان:
جلسة المحاكمة العشرون.
تفاجأ مهدي و نظر نحو مها، بدت عليها علامات الاستغراب هي الاخرى، فالقرص الاول بدا بجلسة متاخرة جدا.
قال مهدي: "يجب ان تكون هذه الجلسة الاولى !".
ردت مها و هي تتاكد من الارقام على ظهر بقية الاقراص: "لم نخطئ، يجب ان يكون هذا القرص الاول !".
بدا الشريط بعرض جلسة المحاكمة العشرين، بدا مهدي و مها منتبهين جدا لما يعرض.

....

من لوحة السير بذهنه، استعاد الضبع المعلومات التي حصل عليها.
لا يمكن الخطا بالوجهة.
واضعا يده في جيبه وناظرا من زجاج السيارة نحو الشارع، تحسس الظرف الورقي، تلمس راس الرصاصة باصابعه، و ابتسم.
هذا ما سيؤكد له !

الفصل 18

مضى ربع ساعة على بداية عرض جلسة المحاكمة العشرين، كان مهدي منفصلا تماما عن العالم الخارجي و هو يشبك يديه خلف راسه و يتابع الجلسة التي كان قد حضرها في حينها، فيما راحت مها منسجمةً مع الشريط هي الاخرى و هي تجمع شعرها حول كتفها الايمن باصابعها.

"هل لاحظت اي شئ ممكن ان يكون قد فاتك في تلك الجلسة استاذ ؟"، قالت.

هز مهدي راسه نافيا، كل مايراه الان قد حدث بحضوره و امام مرآه.

في تلك الاثناء، دخلت سيارة اجرة من شارع فلسطين الى منطقة زيونة موصلةً شابا اسمر بقبعة بيسبول و ملابس رياضية، وقد بدا اثر جرح قديم على خده الايمن.

لا يمكن الخطأ في الوجهة !

قال الضبع و هو ينظر الى ارقام المنازل المثبتة بجانب ابوابها، طالبا من سائق السيارة السير ببطئ.

في شريط المحاكمة، كان القاضي يوجه سؤالا اخر للمتهم محمد المختار:

"بماذا تفسر قيامك بتوريط اجهزة مخابرات الدولة بدعم ومساعدة القراصنة الافارقة للاستيلاء على سفن النفط و الشحنات التجارية المارة عبر مضيق باب المندب الى البحر الاحمر ومنه الى قناة السويس و البحر المتوسط ثم اوربا وطلب الفدية المالية مقابل اخلائها ؟ انت دعمتهم بالسلاح والمعلومات سرا، و تسلمنا اوامر خطية لك الان عبر الادعاء العام توجه المخابرات بموجبها بخصوص ذلك ؟"..

لا يزال مهدي و مها يتابعان.

اجاب الرئيس مبتسما:
"بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه.."، كان ذلك اقتباسا من القران.
تكررت اللقطة مرتين، حيث اعيد المقطع بعد انتهاءه، بدت تلك لمهدي و مها مشكلة فنية، ثم اعيد نفس المقطع بطوله ذو العشرة ثوان مرةً ثالثة، نظر مهدي الى مها، امسك الريموت كونترول واوقف الشريط، ثم سمح له بالاستمرار، في محاولة لتجاوز المشكلة الفنية على الشريط.
انتهى المقطع منهيا معه النص القراني الذي يذكره الرئيس، ثم اعيد مرة رابعة.

نهض مهدي واخرج القرص من جهاز التشغيل، نظر اليه جانبيا وقد انعكس الضوء عليه.
القرص سليم و من دون اي خدوش.
اعاده الى جهاز التشغيل و نظر الى مها على الاريكة، تناولت الريموت كونترول وشغلت القرص، قامت بتقديم الشريط الى نفس المرحلة.
"بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه.."، انهى الرئيس النص القراني، و اعيد مجددا.

بدا ان القرص لا يعاني من مشاكل فنية، لقد تمت اعادة المقطع عمدا باستخدام برامج المونتاج ليبدو كذلك، يظهر ذلك دقة التصوير وعدم ظهور اية مشاكل في الصوت و الصورة على طول الشريط.
"دعيه يستمر"، قال مهدي، وضعت مها جهاز التحكم و شبكت ذراعيها.
اعيد المقطع بثوانيه العشرة سبع مرات متتالية، ثم استمر بعرض باقي جلسة المحاكمة.

ترجل الضبع من سيارة الاجرة و اغلق الباب. كان الشارع خاليا تماما من المارة حيث تعود السكان في حي زيونة على كون حيهم من اهدا احياء العاصمة و اقلها كثافة سكانية.

نظر الى السيارة النسائية الصغيرة بباب البيت الهدف، طابق في ذهنه معلومات المسكن مع المعلومات التي حصل عليها من لوحة السير.

كان الضبع قد حصل على عنوان المحامي مهدي من تلك اللوحة عندما كان ذلك العنوان عليها اثناء اعادة مهدي الى مسكنه من قبل عجلة تابعة للشعبة الخامسة في الليلة الماضية، فقد ثبت ذلك العنوان الضابط المكلف باعادة المحامي الى بيته قبل عودته بالعجلة الى مقر المديرية و قيامه بمسح تلك المعلومات.

البيت الهدف.

بدا يخطو بضع خطواتٍ مبتعدا عن المنزل، دخل الى دكان قريب يبعد نحو عشرين مترا عن منزل مهدي، اشترى علبة سكائر، و خرج عائدا نحو هدفه.

بخطوات واثقة، اقترب الضبع من منزل مهدي، صعد الى الحدائق الجانبية للشارع الملاصقة لاسوار المنازل الامامية، اصبح منزل مهدي على مسافة خطوات على يمينه، ضغط على الظرف في جيبه بقبضته، اخرج الظرف، اصبح منزل مهدي على يمينه تماما، رمى بالظرف ذو الورقة و الرصاصة عبر السياج الخارجي الى حديقة منزل مهدي الداخلية، نزل الى ارضية الشارع متجاوزا سيارة مها، و اكمل طريقه.

في تلك الاثناء، كان مقطع قراءة المختار للنص القراني قد اعاد نفسه سبع مرات على الشريط، ثم استمر الشريط بعرض محتواه المتبقي، و بعد خمس دقائق من عرض باقي المحتوى، توقف القرص معلنا انتهاء محتواه.

"انتهى"، قالت مها.

"لنعرض القرص التالي"، رد مهدي بحيرة.

اخرجـــت مـهـا الـقـرصــ الـثـانـي حـســـب الـتـسـلـســـل المكـتـوب عـلـى ظـهـــره مـن كـيـس الاقـراص، و نـهـضـت لاسـتـبـدالـه بـالـقـرص الاول في جـهـاز الـعـرض، بـيـنـمـا امـسـك مـهـدي جـهـاز الـتـحـكـم مـنـتـظـرا عـرض محـتـواه.

عـادت مـهـا لـتـجـلـس في مـكـانـهـا، ضـغـط مـهـدي زر الـتـشـغـيـل و ابـتـدا الـعـرض.

ظـهـر المـيـزان مـرة اخـرى.

"واذا حـكـمـتـم بين الـنـاس ان تحـكـمـوا بـالـعـدل"، بـقـيـت الـصـــورة لـبـضـــع ثـوان، ثـم نـص ابـيـض عـلـى خـلـفـيـة سـوداء: جـلـسـة المحـاكـمـة الـعـشـرون.

شـــعـر مـهـدي و مـهـا بـالاســـتـغـراب، نـظـــر نـحـوهـا: "الـعـشـرون مجـــددا ؟؟!"، بـدت مـهـا و كـانـهـــا تحـاول ان تجـد تـفـســـيرا لـذلـك، فـقـد بـدا الـشـريـط بـعـرضـ نـفـس محـتـوى الـقـرص الاول، نـظـرت الى مـهـدي:

"لـنـتـابـعـه !"، هـز مـهـدي راسـه مـوافـقـا.

....

في الـشـــعـبـة الخـامـســـة، كـان الـنـقـيـب فـاضـــل قـد دخـل غـرفـة الـعـمـيـد بـعـد عـودتـه مـن الـغـارة الـفـاشـــلـة عـلـى وكـر الـضـــبـع، ممـســـكـا خـوذتـه بـيـــده، و مـرتـديـا بـزتـــه الـقـتـالـيـة الـكـامـلـة، اشـار لـه الـعـمـيـد بـالـدخـول.

قـال وهـو يـدخـل الـغـرفـة: "ســـيـدي، افـلات الـضـبـع مـنـا بـهـذه الـطـريـقـة يـؤكـد شـكـوكـنـا نـحـوه".

"اســـترح"، قـال الـعـمـيـد، جـلـس فـاضـــل عـلـى الاريـكـة بـعـد ان خـلـع درعـه ووضـعـه عـلـى الارض، بـيـنـمـا ابـقـى خـوذتـه في حـجـره.

"الـيـك الخـطـة الـبـديـلـة"، قـال الـعـمـيـد.

في تـلـــك الاثـنـاء، قـرر الـضـــبـع ان يـلـعـب لـعـبـة الـقـط و الـفـار مـع الـســـلـطـات، اســـتـقـل سـيـارة اجـرة و اتجـه بـهـا الى اطـراف الـعـاصـمـة الـغـربـيـة.

بدا الشريط الثاني مطابقا تماما للشريط الاول في مضمونه.
جلسة المحاكمة العشرون مع اعادة لمقطع تحدث الرئيس لسبع مرات متتالية.
"وهو كذلك"، قالت مها وهي تشعر بالصدمة شانها شان مهدي، "هل نجرب القرص الثالث ؟"، هز مهدي راسه موافقا، بينما نهضت هي لاستبدال القرص بالقرص التالي.

جلسة المحاكمة العشرون..
ظهر ان القرص الاخير يحمل المضمون ذاته ايضا.

ما ان راى مهدي مضمون القرص الاخير، حتى شعر بفكرة غريبة.
"مها، السر في الشريط !"، قال لها بينما كانت تقف وقد شبكت ذراعيها، ارجعت مقدمة شعرها عن عينيها الى الوراء بحركة من راسها و جلست قبالة مهدي، "كيف ؟"، نظر نحوها و قال:
"الاعادة على القرص مقصودة، لا يمكن للمخابرات ان تخطئ هكذا بجعل ثلاثة اقراص بمضمون واحد، ثم لماذا يسلموني شريطا لحدثٍ كنت قد حضرته اصلا ؟"، فكرت مها و قالت: "ثم لو افترضنا ان الموظف المكلف باعداد هذه الاقراص لك قد اخطأ في جمع ثلاثة اقراص بذات المضمون في كيس واحد فلماذا اصلا قد تم استنساخ ثلاثة نسخ من محتوى هذه الاقراص ؟".
ابتسم مهدي و قال: "ارايتِ ؟".
ضغط على الريموت كونترول مسرعا الشريط الى المقطع ذو الاعادات السبعة.

في الشعبة الخامسة، كانت سيارة اسعاف من دون لوحات تسجيل قد خرجت توا بصحبة سيارتين مصفحتين رباعيتي الدفع تابعتين للمديرية باتجاه دائرة الطب العدلي في الباب المعظم وسط بغداد، وهي تحمل جثة الرئيس القتيل.

الفصل 19

ضغط مهدي على مشغل الشريط بالريموت كونترول، بدأ مقطع الاعادات السبعة يعرض، كان الرئيس مبتسما وهو يجيب على سؤال القاضي، أقتبس نصا من القران برده: "بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وكذلك كذب الذين من قبلهم فأنظر كيف كان عاقبة الظالمين".

كان مهدي يذكر هذا الحدث جيدا، فقد قال الرئيس تلك الكلمات في حينها وعاد جالسا في قفص الاتهام دون ان يجيب على سؤال القاضي بخصوص دعم القراصنة الافارقة.

التفتت مها الى مهدي لتتصيد لغة وجهه، لم يبد عليه غير غرقه في التفكير.

"استاذ ؟"، قالت، نظر اليها رافعا حاجبه: "هممم !"، اخرج سيكارة من العلبة على المنضدة.

"لا ادري ان كانت تلك رسالة الرئيس او رسالة المخابرات لنا ".

قال مهدي: "لو كانت هناك رسالة من الرئيس لكان قد اخبرني عنها في زيارتي المنفردة اليه، لقد حدثني بالكثير من الامور عن القضية لكنني لم اساله عن سبب قراءة هذا النص في المحكمة".

ارجعت مها شعرها خلف اذنها باصابعها، "لمَ لَم تساله ؟".

رد مهدي: "اعتقدت انه جواب يتهرب فيه الرئيس عن الرد على المحكمة فحسب، لم اكن اعلم ماسيجري وان المخابرات ستولي هذا النص اهتماما، فضلا عن ان الرئيس كان يستشهد في احيان كثيرة بنصوص قرانية و ابيات شعرية اثناء جلسات المحاكمة".

"اقترح ان نقرأ النص كاملا في القران، قد يكون ماذكره الرئيس جزء من نص اكبر يحمل رسالة ما"، قالت مها.

نظر مهدي اليها وقد بدا متحمسا: "لنفعل !".
نهض الى المكتبة الصغيرة بجانب التلفاز واخرج كتاب قران بحجم كف اليد، عاد ليجلس وقد امسك الكتاب، قطب حاجبيه ونظر متحيرا الى مها:
"يجب ان نعرف مكان النص من الكتاب اولا!".
ضمت مها شفتيها ثم قالت: "سابحث عنه على الانترنت".
هز مهدي رأسه و اشار الى جهاز حاسبه المحمول على منضدة طعام قريبة، و وضع الكتاب على المنضدة.
نهضت مها بطولها ذو الـ168 سنتمترا واتجهت نحو المنضدة، اصدر كعب حذائها طقطقةً عندما خرجت من نطاق سجادة الغرفة وبدات تمشي على البلاط، عادت بالحاسب المحمول وجلست قبالة مهدي وفتحت الجهاز.

....

في الشعبة الخامسة، كان فاضل قد شعر بنوع من الارتياح لقرب بدء تطبيق الخطة البديلة، فقد اخبره العميد بان اوامر اللواء مدير المخابرات العامة قد صدرت باغلاق المنافذ الحدودية والمطارات امام الضبع عن طريق ابلاغها بمعلومات عنه مع امر بالقاء القبض عليه الى جانب اعداد المخابرات خطة لنشر نقاط تفتيش بالتعاون مع الامن الداخلي للامساك به.
اصبح الاتصال مع تلك الجهات بانتظار التنفيذ.

عاد ذو البدلة الانيقة الى غرفته ذات الجدران الخشبية، بدا متعبا نوعا ما من سهرة الليلة الماضية، امر بفنجان قهوة له ثم بدا يجري اتصالا هاتفيا مع جهة نافذة في الدولة، اغلق سماعة الهاتف...
كل شئ سيكون على مايرام.

مرت عينا مها على النص القراني الظاهر على شاشة الحاسب المحمول وهي تقرأه بصـــوتها الانثوي من بداية الصـــفحة الى نهايتها مرورا بالاية التي ذكرها المختار، فيما كان مهدي منصـــتا ويحاول فك لغز النص الذي اجاب به الرئيس على سؤال القاضي في الجلسة العشرين.

انهت القراءة ونظرت الى مهدي، ســحب نفسا عميقا واتكأ على الاريكة مغمضا عينيه.

لا يحمل النص اي حل للتساؤلات.

عـــادت مها تنظر الى الشاشـــة مركزة على الاية التي ذكرها الرئيس، فجاة، ضـــاق اتساع عينيها وارجعت شعرها خلف اذنها..

"استاذ ؟"، فتح مهدي عينيه واخذ نفسا اخيرا من سيكارته.

نظـــر اليها، "مـــاذا ؟"، اجابت قائلة: "تعال وانظر"، دار الف ســـؤال في ذهن مهدي في هـــذه اللحظات، اطفأ ســـيكارته و نهض اخذا نظارته الطبية من على المنضـــدة امامه، ابتعدت مها عن الاريكة لتفســـح المجال له بالجلوس، وضـــع نظارته وجلس بجانبها وبدأ ينظر الى الشاشة.

حركت مها اصـــابعها علـــى مؤشر الفارة، فتحرك معه الســـهم على الشاشـــة مشيرا الى رقم الاية.

صُدم مهدي وهو يشاهد الرقم على جدار زنزانة الرئيس هو نفسه رقم الاية التي ذكرها المختار في المحاكمة المسجلة على الشريط.

نظر الى مها و قال: "الاية 39 !".

هزت راسها و قالت: "من سورة يونس !".

نزع مهدي نظارته ورماها على المنضدة، نهض وتخصر وهو يسحب نفسا عميقا...

ماذا يعني ذلك ؟

الفصل 20

كان الضبع قد ترجل من سيارة الاجرة واغلق الباب. نظر خلفه فبدا له عن بعد تمثال الاسطورة (عباس بن فرناس) ذو الجناحين.
يعرف بن فرناس كرجل عربي قام باول محاولة طيران بجناحين قبل نحو الف عام. نجح في طيرانه لدقائق قبل ارتطامه بالارض وموته بسبب عدم صناعته ذيلا لطائرته البدائية كما هو معروف عنه. وضعت السلطات العراقية تمثالا له في بوابة مطار بغداد كرمز لمحاولة عربية مبكرة لبلوغ الاجواء.

لمعت اطراف اجنحة التمثال بعيني الضبع بانعكاس ضوء الشمس عليها. عدل قبعته واتجه داخلا بوابة مطار بغداد الدولي.
توجه نحو سيارات نقل المسافرين المتواجده في باب المطار و استقل احداها. حيث تعمل تلك السيارات على نقل المسافر من البوابة الرئيسة الى مركز المطار المجاور لمدرج الطيران. تحركت السيارة تاركةً ورائها بوابة المطار واتجهت شرقا في طريق واسع لبلوغ مركز المطار حيث تتواجد مكاتب شركات الطيران ضمن مبنى المطار نفسه.
ناظرا من نافذة السيارة. تذكر الضبع وضع مطار بغداد قبل اعوام من الان و الاجراءات الامنية المعقدة التي كان يمر بها المسافرون قبل بلوغ مركز المطار. كلاب بوليسية و نقاط تفتيش على طول الطريق بين البوابة و مركز المطار. الا ان تلك الاجراءات تم تخفيفها على المسافرين مع ايجاد طرق بديلة للحفاظ على امن اهم مطارات البلاد.
مرت السيارة امام لافتة كبيرة كتب عليها "العراق يودعكم". كان امل الضبع هو انجاز تاشيرة سفره من المطار باسرع ما يمكن. عشر دقائق اخرى بتلك السيارة و سيكون في قلب مطار بغداد الدولي.

في تلك الاثناء، كانت المخابرات قد بدات توا باجراءات اولية بواسطة شبكة اتصالات واسعة لابلاغ المنافذ الحدودية والمطارات بمعلومات تخص الضبع كمشتبه به ومطلوب لغلق الطريق امام اي محاولة متوقعة منه للهروب من العراق.

مرت عشر دقائق وصلت فيها السيارة التي تقل الضبع الى مركز المطار، ترجل الضبع و اتجه الى مدخل مبنى المطار، عدل قبعة البيسبول و دفع بسبابته اطار نظارته البيضوية على عينيه، متجاوزا الباب الاول، بدا يحث خطواته حيث توجد كابينات شركات الطيران ليبدا بحجز تذكرة الخروج من العراق.
انعكست على نظاراته الشمسية التي لم يزلها عن عينيه حتى داخل المبنى لافتة الخطوط الجوية العراقية التي تعلو كابينة شراء التذاكر الخاصة بشركة الطيران الوطنية، اقترب من الكابينة و القى التحية على موظفة قطع التذاكر.
استفسر منها عن اقرب رحلة متوفرة الى وجهته، و حصل على الرد.

الوجهة: مطار اتاتورك الدولي – تركيا.
الوقت المتوقع للرحلة: ساعتين من الان.

دفع سعر تذكرة السفر الى تركيا كتذكرة ذهاب فقط و حصل عليها، اصبح اسمه موجودا لدى سلطات المطار كمسافر ينتظر رحلة له على متن الخطوط العراقية الى مطار اتاتورك الدولي، ابتسم لموظفة الحجوزات تاركا اياها تكمل عملها مع زبون اخر، اخذ تذكرة السفر و غادر الكابينة.
في الوقت الذي كان يجب عليه التوجه للحصول على التاشيرة و بطاقة الركوب، توجه الضبع عائدا الى بوابة الخروج من مبنى المطار، اخترقها بخطواتٍ سريعة قاصدا باحة المبنى لاستقلال سيارة اخرى تعيده الى البوابة الرئيسة قريبا من تمثال بن فرناس مجددا.
لن يسافر.

لقد اراد الضبع اشغال السلطات بوجود اسمه لدى احدى شركات الطيران كمغادرٍ للبلاد بينما يتوجه هو الى جهة اخرى، لعبة كسب الوقت !

في تلك اللحظات، كان امر اغلاق المطارات و المنافذ الحدودية بوجه الضبع قد دخل حيز التنفيذ، فقد تلقت سلطات مطار بغداد الدولي امرا صريحا من جهات امنية بالقاء القبض على مشتبه به، زودت الجهات الامنية سلطات المطار باسمه الكامل و صورة له واصفة اياه بالمطلوب الخطر، خلال دقائق، كانت منظومة المطار قد اكتشفت وجود اسم الضبع الحقيقي كمسافر قام قبل قليل بقطع تذكرة سفر الى مطار اتاتورك الدولي على متن الخطوط الجوية العراقية، حددت السلطات الكابينة التي تم منها قطع التذكرة و توقيت قطعها، وبشكل عاجل، اعاد رجال الامن في غرفة المراقبة التابعة لامن المطار تصوير كاميرات المراقبة على كابينة حجوزات الخطوط العراقية لنفس اللحظات التي تم فيها قطع التذكرة، وشاهدوا بوضوح المشتبه به وهو يقوم بشراء تلك التذكرة، تابع رجال الامن مشاهدة تصوير باقي كاميرات المراقبة لمعرفة النقطة التي توجه اليها المطلوب، تفاجأوا بمغادرته مبنى المطار.

في تلك الاثناء، كان الضبع قد استقل سيارة نقل المسافرين عائدا الى بوابة المطار الخارجية، مر بلافتة في الطريق كتب عليها "العراق يرحب بكم"، نحو 12 دقيقة اخرى و سيبلغ البوابة المطلة على طريق المطار السريع الذي يتوسطه تمثال بن فرناس.

لاهميته الكبيرة، تمتلك سلطات مطار بغداد الدولي عددا كبيرا من كاميرات المراقبة المنتشرة داخل وحول المطار الى جانب العشرات من رجال الامن المنتخبين بعناية، حيث يمثل مطار بغداد واحدا من اكثر البقع اهمية في العاصمة العراقية الى جانب

المنطقة الخضراء الرئاسية التي لا يفصلها عن المطار سوى بضعة كيلومترات من خط سريع ينتهي في تلك المنطقة.
تتبع رجال الامن كاميرات المراقبة التي تصور الطريق المؤدي الى البوابة الخارجية ببثها المباشر، ليس امام المشتبه به سوى الخروج من البوابة الرئيسة المطلة على الطريق السريع، راقب رجال الامن لقطات الكاميرا المنصوبة على البوابة الخارجية بانتظار ظهور الضبع عليها، في الوقت الذي تم ابلاغ السلطات الامنية بعثور سلطات المطار على المشتبه به و الاستمرار بمتابعته.

في تلك الاثناء، كان النقيب فاضل الذي يستقل سيارة شيفروليه قادما نحو المطار مع اثنين من رفاقه وهو يامل ان يلقي القبض على الضبع بنفسه. فاعطى الامر الى جهات الاتصال بسلطات المطار بعدم القاء القبض على المشتبه به الا حين وصول قوة من مخابرات البلاد، والاكتفاء بمتابعة تحركات الهدف اولا باول و تزويد الجهات المخابراتية بها، كانت سيارة الشيفروليه تلك تخترق شوارع بغداد بسرعة جنونية مستهدفة الوصول الى الضبع في اللحظة المناسبة.

بعد نحو 10 دقائق، ترجل الضبع من سيارة ايصال المسافرين و اتجه نحو رصيف تقف عنده بعض سيارات الاجرة، عدل قبعته ومشى نحو الشارع، عند حافة الرصيف، كان رجل مسن قد اوقف سيارته الصفراء للاجرة ووقف بجانبها منتظرا احد المسافرين العائدين ليقلهم من المطار الى وجهته مقابل اجرة، نظر الى الضبع الذي بدت عليه علامات العائد من الخارج، قبعة البيسبول والملابس الرياضية ذات الماركة ونظارة شمسية تبدو انها من ماركة فاخرة هي الاخرى وحذاء رياضي غير مقلد، اقترب الرجل من الضبع الذي راح يبدو مستعجلا.

"تاكسي سيدي ؟"، نظر اليه الضبع.
"اين سيارتك ؟"، اشار الرجل بمفاتيح السيارة نحو سيارته المركونة على الشارع القريب.

اقترب الضبع منه: "مراب العلاوي لو سمحت". ابتسم الرجل العجوز واتجه مع الضبع واستقلا السيارة.

يقع مراب العلاوي مقابل مبنى المتحف الوطني العراقي في كرخ بغداد في منطقة مزدحمة، حيث يحيط به مطار المثنى من الجهة الغربية الشمالية ومتنزه الزوراء من الجهة الغربية اضافة الى قربه من ساحة الاحتفالات الكبرى التي تحتضن استعراضات الجيش العراقي، يستخدم ذلك المراب للسفر برا الى اية محافظة عراقية اخرى بواسطة مئات السيارات التي تقف في طوابير بانتظار المسافرين.

كان النقيب فاضل يشعر بان الضبع هو غنيمته التي لا يجب التفريط بها، لم يشأ ان يرى الضبع يسقط بيد جهة امنية اخرى، فقد يتحدث لها بمعلومات لا تريد المخابرات فضحها حتى لجهات امن وطنية اخرى.

....

شعر مهدي بقرب انفجار اعصابه. "ماذا يريدون ان يقولوا بهذه الاقراص ؟". قال بهيستيريا.

اغلقت مها شاشة الحاسب المحمول ووضعته على المنضدة: "استاذ، يجب ان نفهم السبب وراء قيامهم بارسال هذه الاشارة لك".

اشعل مهدي سيكارة اخرى وهو يجول الغرفة ذهابا وايابا: "هذا هو السؤال!".

سالت مها مجددا: "هل تعتقد ان موت الرئيس كان مدبرا من المخابرات؟، يجب ان نضع ذلك احتمالا. فالرقم الذي رايته في الزنزانة ينطبق مع رقم الاية المكررة على القرص، الا تخشى المخابرات قيامك بالتصريح للاعلام عما حدث معك وفضحك لذلك التطابق المريب بين الرقمين؟". اوقف مهدي خطواته ونظر اليها و قال:

"مهـــا، ليســ هناك دليـــل، كيف ســـاثبت للاعلام ان هـــذه الاقراص وصـــلتني عن طريق المخابــرات؟ ثم كيف لي الربط بين التكرارات ورقم علـــى جدار زنزانة الرئيس لم يشـــاهده احد ســـواي؟ ولو افترضـــنا ان احدهم سرب معلومات عن حالة زنزانة الرئيس والرقم على جدارها، كيف يمكن لي ربط ذلك الرمز مع تكرارات على شريط سيصـــفها الاعلام بالدليل غير الكافي او ان التكرارات عليه ناجمة عن خلل فني غير مقصود ؟".

ســـحبت مها نفســـا عميقا ووضعت راســـها بين يديها، نظرت الى مهدي: "استاذ انت بحاجة الى الراحة، ســـاتركك لوحدك واحاول ان اجد تفسيرا لما يحدث". جلس مهدي على الاريكة و ارجع راسه للوراء وتنهد، "مها يجب لهذا اللغز ان يحل !". بملامـــح تبدو عليهـــا الحيرة، ردت مهـــا: "ارجوك اســـتاذ، لاتتعب نفســـك بالتفكير، سيتضـــح كل شـــئ لاحقا، انا متاكدة". هز مهدي راســـه و نهض واياها نازلين الى فناء المنزل باتجاه الباب، كان مراب يتسع لسيارة واحدة هو الطريق المؤدي من الباب الداخلي لمنزل مهدي نحو الباب الخارجي له، و بموازاة المراب من الجانب الايسر، كانت حديقة صغيرة تغطيها الاعشاب و الحشائش تمتد جانبيا على طول الطريق المؤدي الى الباب، و تحيط بعشب الحديقة من ثلاث جهات نباتات الجوري و الياسمين و التي بـــدت من غير زهورها بفعل الشـــتاء القارس، خطت مها واســـتاذها الطريق المؤدي الى الباب الخارجي وســـط نقاش الاثنين حول ماجـــرى، فجاة، توقف مهدي ناظرا الى حديقة المنزل الصغيرة ورمى سيكارته ببرود، التفتت اليه مها وهي تلاحظ نظراته على نقطة ما في الحديقة، نظرت اليها ورات ماراه هو.

ظرف ورقي.

دون ان يتكلم، نزل على عشـــب الحديقة وتبعته مهـــا، رفع الظرف من على الارض، كان ورق الظرف مطوى بشكل غير منتظم بفعل الضغط عليه.

"المزيد من المتاعب !".

بعينين تملؤهما الحيرة، قالت مها و هي تتمنى ان لا يكون كذلك: "لنفتحه استاذ". اثناء فتح الظرف جانبيا بيد مهدي، سقطت رصاصة بندقية من عيار 7،62 مليمترا منه ووقعت على حذاء مها البني، ثم استقرت بين قدميها على العشب، تسمر الاثنان في مكانيهما.

في احداث الحرب الاهلية العراقية في عامي 2006 و 2007 في العراق، كان الظرف المحتوي على رصاصة يعني مغادرة المنزل المستهدف من قبل ساكنيه او الموت، استخدمت الجماعات المسلحة هذه الطريقة لايصال تلك الرسالة الى الاهالي، وهذا ما ارعب مهدي ومها.

انحنت مها والتقطت الرصاصة من بين قدميها مرجعة شعرها الى الوراء، نظرت الى مهدي الذي بدا يبلع ريقه ويتنفس بسرعة، تلمست راس الرصاصة باصابعها، "يريدون قتلي !"، قال وقد شعر بخوفٍ نقي يجري بدمه.

احست مها بخطورة حالة استاذها النفسية، الا انها تنبهت الى خفة وزن الرصاصة في يدها، تناول مهدي الرصاصة منها وبدأ يلمسها وهو يحاول فهم ما هو فيه ورطة.

"استاذ هل شعرت بخفة وزنها ؟".

رفع مهدي الرصاصة امام عينيه: "نعم قد تبدو تمثيلا لرصاصة، لكنها تؤدي نفس الغرض في ايصال رسالة التهديد لي".

اخذت مها الرصاصة من يده، تحسست الحد الفاصل بين خرطوشة الرصاصة وراسها، كانت تبدو كلعبة اطفال، امسكت راس الرصاصة باصابع يدها اليمنى والخرطوشة باصابع اليسرى وسحبتها باتجاهين متعاكسين، قال مهدي: "ماذا تفعليـ...".

انفصل الجزءان عن بعضهما وبان مابينهما.

وحدة ذاكرة على هيئة رصاصة.

نظر الاثنان الى بعضهما وقد شعرا بالصدمة.

لولعه في سفرات الصيد واسلحة قنص الحيوانات وكل مايتعلق بالسلاح، كان الضبع يمتلك طقما من المقتنيات الشبيهة بتلك الاسلحة ومايتعلق بها، وحدات ذاكرة على هيئة رصاص وقنابل صغيرة، ولاعات على شكل مسدسات، علب معدنية لحمل السكائر بشعارات عسكرية ورسوم لبنادق ورشاشات، كان رفاقه يحسدونه على مقتنياته تلك ولم يجربوا طلبها منه لمعرفتهم باعتزازه الشديد بذلك النوع من المقتنيات.

اندفع الفضول لدى مهدي ومها لمعرفة محتوى وحدة الذاكرة، "نفتح محتواه الان؟"، قالت مها وهي تعيد غلاف الرصاصة، "بالطبع، اخشى ان يكون بداية لمتاعب جديدة"، رد مهدي.

"أهدأ استاذ سنكتشف محتواه ونعرف مافيه".

عاد مهدي ومها الى داخل المنزل والى الغرفة في الدور العلوي للتعرف على محتوى وحدة الذاكرة (الرصاصة).

....

مرت سيارة الاجرة التي تقل الضبع على الجسر العابر من امام جامع ام الطبول، بدا الفن المعماري للجامع كتحفة معمارية تطل على شوارع رئيسية حيث يتربع الجامع على منطقة مكشوفة كصرح رائع، خصوصا عند انارته ليلا وشموخ منائره على المنطقة المحيطة.

كان السائق العجوز يدندن مع اغنية للسيدة فيروز تعرضها احدى الاذاعات العراقية على الراديو، فـ(بلبل الصباح) كما يسميها العرب هي احدى الاصوات التي يرغب الناس بسماعها صباحا في العالم العربي، احس السائق بانه وجد مهربا من محاولاته لفتح حوار مع الضبع الذي كانت سمته الهدوء ولم يبد رغبته في تبادل الحديث معه.

بعد عبور المجسر، انتبه الضبع الى وجود اختناق مروري بسيط على الطريق، ثلاثة طوابير قصيرة من السيارات تنتظر دورها في عبور نقطة تفتيش وضعت بشكل مفاجئ.

....

جالسة على الاريكة وضعت مها الحاسب المحمول على فخذيها بانتظار عرض محتوى وحدة الذاكرة، بينما جلس مهدي الى جانبها في غاية التوتر، ظهرت نافذة المحتويات:

ايقونة واحدة بتسمية افتراضية.

ابعدت شعرها عن عينيها بحركة من راسها ونقرت مرتين على الايقونة، فُتحت نافذة برنامج و بدات بعرض مقطع فيديو، شعر مهدي بان صورة ما يظهر في الفيديو ليست جديدة عليه..

الزنزانة 12.

الفصل 21

وصلت سيارة الاجرة التي تقل الضبع الى مقدمة طابور السيارات امام نقطة التفتيش، سيارتين عسكرتيين رباعيتي الدفع تقفان على مقربة ورجال امن بزي عسكري واخرون بملابس مدنية مع هويات تعريف معدنية وضعت على صدورهم واجهزة اتصال في ايديهم، شعر الضبع بخطورة الموقف.
لايمكنني التراجع يجب عبور نقطة التفتيش بسلام.

اوقف احد افراد الامن وكان ضابطا سيارة الاجرة، اقترب من نافذة السائق و نظر الى راكبي السيارة، كانت عيناه تشعان ثقة وجمود، تحاشى الضبع النظر اليه واكتفى بالنظر الى الامام من وراء نظارته الشمسية، بصوتٍ واثق سأل الضابط السائق:

"من اين قدمت والى اين انت ذاهب ؟". احس الضبع كان قلبه سقط كمصعد افلتت اسلاكه.
"سيدي قادم من مطار بغداد ومتوجه الى مراب العلاوي". اجاب السائق العجوز.
"هل لي بهوياتكم التعريفية من فضلك؟".
"طبعا سيدي !".

اخرج السائق هويته بينما لم يشا الضبع ابراز هوية عمله كرجل يعمل في مخابرات الدولة واكتفى ببطاقته الشخصية، تفحص رجل الامن الهويتين، نظر نظرة عابرة على هوية السائق فيما امعن النظر بهوية الضبع، رفع عينيه عنها ونظر اليه:
"نظارتك سيدي".

بتردد، ابعد الضبع نظارته ونظر مباشرة الى عيني الضابط، كان وجهه اسمرا ويبرز على خده الايمن جرحه القديم فيما بدت يعناه كفصين جامدين من الحجر اللامع، اعاد الضابط النظر الى هوية الضبع الشخصية و سال:
"انت قادم من المطار سيدي ؟"، اوما الضبع بالايجاب، "من اين عدت ؟"، سال الضابط مجددا، اراد الضبع ان يجد اسم اي دولة ليكذب بشان عودته من السفر، لكنه فكر في امكانية طلب رجل الامن جواز السفر والاطلاع على التاشيرات.
"حقيقة لم استطع السفر، والدتي بحال صحية سيئة وقد اتصلت بي لتدهور حالها الصحي اكثر هذا الصباح".

لم يزل رجل الامن عيناه عن الضبع رغم انه اعاد الهويات اليه والى سائق الاجرة، ضرب على حافة باب السائق وقال: "بالسلامة !".

تحركت سيارة الاجرة، فيما شعر الضبع بزوال صخرة ثقيلة كانت تجثم فوق صدره، ما ان بدات السيارة بالابتعاد حتى امسك ضابط نقطة التفتيش بجهاز الارسال وقال في نداءٍ لجهة اخرى:
"الهدف في مرمى البصر سيدي !".

بعد ما احس به الضبع من نظرات رجل الامن في نقطة التفتيش وفي خطوة ذكاء، اراد ترك سيارة الاجرة قبل وصولها المراب، لكنه خشي اثارة شكوك سائق السيارة اكثر، تظاهر بانه يجري اتصالا هاتفيا قصيرا، اغلق الخط وطلب من السائق تغيير الوجهة نحو منطقة باب المعظم بدلا من مراب العلاوي لسبب طارئ.

لم يكن سائق الاجرة او الضبع قد لاحظ تتبع سيارة عسكرية بيك اب فورد لهما، فأكثر ما يمكن رؤيته في بغداد هو اعداد السيارات الغفيرة المختلطة بسيارات الامن الداخلي. كانت السيارة التي تتبع الضبع تقوم بمهمة اعطاء احداثيات الضبع بالتمام للنقيب فاضل مباشرة. لقد باشرت تلك السيارة ملاحقة الهدف بعد النداء الذي قام به رجل الامن من نقطة التفتيش.

كان الجندي المتقاعد (صارم) قد تلقى اتصالا من النقيب فاضل وضح له فيه الوجهة التي يجب ان يتوجه نحوها ليلتقي بهدفه (الضبع) وموقعه بالتحديد وزوده برقم سيارة الاجرة التي تقله. (صارم) هو احد جنود القوات الخاصة العراقية السابقة. شارك في معارك عاصفة الصحراء في الكويت 1991 ضد قوات التحالف واصيب حينها بجروح. يتمتع الجندي السابق الاربعيني العمر بقدرة عالية على القتال واستخدام الاسلحة. اصبح قاتلا ماجورا لعدة جهات سياسية بعد عام 2003. وبفضل علاقته به، اراد فاضل استغلاله لمصلحته الشخصية خارج واجبات المخابرات للقضاء على الضبع.

تحرك صارم من موقعه في منطقة العطيفية وسط بغداد بسيارته النيسان الصالون للالتقاء بسيارة الضبع حسب المعلومات التي تاتيه من النقيب فاضل و الذي يحصل على تلك المعلومات من سيارة الامن المتابعة للضبع. مزودا بمسدس كاتم للصوت ورغبة جامحة في القضاء على الهدف. انطلق مسرعا نحو النقطة التي توقع فيها التقاءا بسيارة الاجرة التي تقل الضبع.
بعد مرور عدة دقائق، كانت سيارة الاجرة التي تقل الضبع في منطقة شارع حيفا في كرخ بغداد تتوجه لعبور جسر الباب المعظم باتجاه مدينة الطب في قلب العاصمة. كانت المنطقة في حال مرور خفيف في تلك الاثناء ولم يكن هناك زخم لحركة للسيارات في ذلك الشارع.

بمجرد دخول سيارة الاجرة التي يستقلها الضبع الشارع، اختفت سيارة الامن الفورد و حلت محلها سيارة اجرة يستقلها عميل مخابراتي و تولت مهمة الاستمرار متابعة اتجاه الضبع.

قبل بدء عملية تتبع الضبع، كان اللواء مدير المخابرات العامة قد ابلغ مدير الشعبة الخامسة بلهجةٍ صارمة بانه سيقوم بمعاقبته و النقيب فاضل اذا ثبتت براءة الضبع من اتهامات الشعبة الخامسة له اثناء التحقيق، فالاستنفار الذي تم اعلانه في المنافذ الحدودية و المطارات كان سببه اتهام فاضل و العميد مدير الشعبة الخامسة للضبع بالقيام بعمل مشبوه في غرفة المراقبة ليلة مقتل المختار و احتمال تسببه بكارثة للمخابرات الوطنية، كفضح ما حدث في الشعبة الخامسة تلك الليلة، لذا و بعد التهديد الذي وجهه مدير المخابرات للشعبة الخامسة، فضل فاضل القضاء على الضبع على الامساك به حيا و التحجج بكون الضبع قد قاوم رجال الامن اثناء المطاردة ما ادى الى مقتله، الى جانب العداء الشخصي الذي كان بينه و بين الضبع و الذي جعل النقيب يتحين الفرص للقضاء على غريمه.

كان فاضل يعلم جيدا بخطورة تهديد مدير المخابرات العامة رغم علاقته الممتازة به، فاللواء ماهر عبد الفتاح هو احد اقوى صقور الحكومة العراقية و صاحب ذراع طويل في الوصول الى خصومه، يبلغ اللواء ماهر من العمر نحو 56 عاما وله نظرة ثاقبة وبعدٍ في التفكير، ما جعله مديرا لاحد اكثر اجهزة الدولة خطورة و حساسية.

واصلت سيارة الاجرة التابعة للمخابرات تتبع سيارة الاجرة التي يستقلها الضبع، معطية تفاصيل اتجاه سيارة الاجرة التي تقل الضبع الى فاضل، بعد قليل، وبشكلٍ مفاجئ، بدأت سيارة العجوز تعاني من خللٍ ما، بدأت تهتز كما لو ان عطلا ما قد حدث، التفت العجوز الى الضبع بابتسامة اعتذار وقال: "اسف على ذلك، ساحاول اصلاحها!".

انحرف العجوز عن الطريق المؤدي الى جسر الباب المعظم نازلا الى الطريق المؤدي الى جرف النهر، شعر الضبع بان امرا ما غير مريح يحدث.

الى الامام قليلا، باتجاه الدور القديمة الواقعة في ظهر شارع حيفا حيث يقع دجلة الى اليسار، توقفت سيارة العجوز تماما، رصفها العجوز قبل توقفها على جانب الطريق وهمّ بفتح الباب والنزول لاصلاح العطل، الا ان الضبع، ولشعوره بعدم الارتياح، امسك العجوز من معصمه وقال له: "سيدي، انا على عجلة من امري، اود دفع اجرتك واستقلال سيار اخرى"، اجاب العجوز: "لست بحاجة لذلك فلن ياخذ الامر اكثر من دقائق وتعود السيارة للعمل"، الا ان الضبع اصر على الترجل وقد خالجه شعور بخطورة الموقف.

قريبا من المكان، ترجل صارم من سيارة قام برصفها بعيدا عن اعين الضبع، وقد حمل داخل ملابسه مسدسه الكام للصوت وبقي يراقب من بعيد.

ترجل الضبع بعد ان دفع الاجرة للعجوز، عدل نظارته الشمسية واتجه للدخول في احدى الشوارع الفرعية الضيقة التي تقع على جانبيها بيوت متهرئة، كان صارم قد لحق به، ولان المنطقة كانت شبه خالية من المارة حينها، استغل صارم الوضع، وبعد خطوات من سلوك الضبع احدى تلك الدروب القديمة، حيث لم يكن يستمع سوى الى صوت وقع اقدامه لشدة هدوء تلك المنطقة، سمع صوت اقدامٍ اخرى وراءه، اقدام مسرعة تنوي اللحاق به، اسرع في خطواته، ليسمع وقع الاقدام خلفه

يتســارع، قرر ان يطمئن نفســه بالنظر الى من يتبعه، علـه لم يكن خطرا يتهدده، وما ان اســتدار، حتى كان اخر ما رأه، رجل اربعيني رفع بوجهه مســدس مزود بكاتم للصوت، صدر منه وميض صدئ، صاحبته هسهسة خاطفة.

برصاصة واحدة، وبفجوة حمراء في جبهته ..
قتل الضبع.

الفصل 22

"انها زنزانة الرئيس !"، قال مهدي.

بدا في التسجيل دخول عامل نظافة ببدلة صفراء وقبعة باللون ذاته، استغرب مهدي ومها دخول العامل دون وجود رجل امني يرافقه، وضع العامل عدة التنظيف في زاوية الزنزانة وبدا يكنس الارضية، كان الرئيس المختار جالسا على سريره بسرواله الداخلي فقط برغم برودة المكان، مرت خمس دقائق اكمل فيها عامل التنظيف عمله في كنس ارضية الزنزانة وهو يعطي ظهره للكاميرا، ثم اخذ معطر الجو من اغراضه في زاوية الزنزانة وبدأ يرشه في اجوائها، بدا الرئيس منزعجا كما بدا وكان مشادة كلامية وقعت بينهما.
ظهر وكان العامل بدا يعتذر للرئيس، اكمل مهدي ومها متابعة الشريط.

بعد ذلك توجه العامل الى الدولاب الصغير عند راس سرير الرئيس، كان على سطح الدولاب بعض من اغراض المختار، ساعة يده ودفتره وقلمه وبعض الادوية الخاصة بمرضه التنفسي والتي سمحت ادارة السجن بادخالها الى الزنزانة لحاجة المتهم المختار الصحية اليها، وقف العامل امام المنضدة معطيا ظهره للكاميرا، بدا ينظف سطح الدولاب بينما كان الرئيس جالسا وقد بدأ يسعل بسبب مابدا تاثير معطر الجو على جهازه التنفسي.
تابع الاثنان الشريط.
انهى عامل النظافة عمله على الدولاب وتوجه الى زاوية الغرفة ليجمع الغبار الذي راكمه في مكان ما على الارضية، امسك مكنسته وحاويته البلاستيكية واخذ يجمع الغبار، استدار الرئيس وهو يسعل الى الدولاب الحديدي واخذ من على سطحه بخاخه الذي اعتاد على استعماله في حالة شعوره بضيق في التنفس، مدد ساقيه على السرير ووضع البخاخ في فمه وضغط عليه مرتين.

قطب مهدي حاجبيه و هو يتابع.

ظهر على الرئيس علامات اختناق اشد بعد اخذه البخاخ، بدا يصارع انفاسه لعدة ثوان، و كمن كان قلبه يضخ الالم الى كل جسمه، تكور على نفسه كمن تلقى رصاصة في بطنه، ثم مد ساقه اليمنى ضاربا فراشه بكعب قدمه مرارا فيما كان يثني الاخرى، مد ذراعه اليمنى و سقط البخاخ من يده على الارضية، ثم امسك برقبته بكلتا يديه كمن يريد ابعاد اياد تقوم بخنقه، اغمض عينيه بشده وهو يحتمل الما كألم سكين تخترق خاصرته، ثم قبض بكفيه على ملاءة السرير بقوة، ضغط على اسنانه و ادار وجهه الى اليمين وقد تراخت قبضتيه على ملاءة السرير، رفع يده اليمنى قليلا فانقلبت ساقطة على جانبه، مدد ساقيه وبدات حركتهما تقل، برفسات ضعيفة اخيرة دامت ثوانٍ، اصبح الرئيس محمد المختار جثة هامدة.

اتسعت عينا مهدي وهو يتابع، فيما شهقت مها لفظاعة ما رات.

نهض عامل النظافة ونظر الى الرئيس الذي بدا بلا حراك بهدوء ادخل يده في جيب بدلته الصفراء واقترب من الجثة، وصل قريبا مخرجا ما بجيبه و اتضح مافي يده.. اسطوانة معدنية.

وقف الى جانب السرير وبدا برش محتوى الاسطوانة التي بدت كبخاخ طلاء على جدار الزنزانة الذي يجاور سرير المختار بطريقة غير عشوائية، انهى رسم الرقم 39 على الجدار، ثم اعاد القنينة الى جيبه وغطى نصف جثة الرئيس السفلي ببطانية، وبحركة غير مقصودة التفت الى الكاميرا.

صدم مهدي لما راى، كان الوجه مالوفا..

النقيب فاضل.

الفصل 23

"تم القضاء على الكبش".

بهذه الكلمات انهى صارم مكالمته الهاتفية مع النقيب فاضل الذي كان متوجها الى شارع حيفا مع اثنين من رفاقه المخابراتيين وعلى وجه السرعة. شعر فاضل بارتياح بالغ، لكنه لم يرد لجثة الضبع ان تبقى ملقاة في مكانها ولا لصارم ان يلتقي بافراد المخابرات الاخرين. اجرى اتصالا مباشرا مع العميد مدير الشعبة الخامسة ابلغه فيه بنهاية الضبع، وطلب منه ارسال اقرب دورية امن معززة بسيارة اسعاف الى مكان مقتل الضبع ريثما يصل اليه.

تنفس العميد الصعداء ووعد النقيب فاضل بارسال الدورية وسيارة الاسعاف فورا.

كان صارم يفكر بمبلغ الاربعة الاف دولار التي وعده بها فاضل لقاء انجازه المهمة، كان يجول المنطقة تحت الجسر قريبا من المكان الذي بقيت به الجثة للتاكد من عدم ملاحظة احد لما جرى.

لم تكن تلك العملية الاولى التي نفذها صارم لصالح فاضل، فقد نفذ قبل عامين عملية اغتيال لضابط جديد كان قد عين في الشعبة الخامسة، كان ذلك الضابط ملتزما و معتدا بنفسه ما دفع فاضل للاعتقاد بان منافسا له في المديرية قد وصل و قد بدا بخطف الاضواء منه امام العميد مدير الشعبة، دفع ذلك فاضل الى التخلص منه عن طريق صارم بعد اقل من شهرين على تعيينه، ساعدت علاقة فاضل باللواء مدير المخابرات على اغلاق ملف التحقيق واعتبار اغتيال الضابط الجديد عملا ارهابيا مسجلا ضد مجهول.

بعد اقل من عشر دقائق، سمع صارم صوت صفارات سيارة الاسعاف وسيارة الشرطة المقتربة، بدا يخطو سريعا تحت الجسر تاركا جثة الضبع في مكانها باحد الشوارع الفرعية الضيقة، كانت الاوامر لدورية الشرطة تطويق مسرح جريمة راح ضحيتها رجل امن و عدم رفع الجثة حالما تصل قوة من المخابرات، واصل صارم خطواته من تحت الجسر ملتفا و عائدا الى شارع حيفا، اصبح على الشارع الاخر المقابل لطريق صعود الجسر، نظر يمينا وشمالا وعبر الشارع فيما وصلت سيارة الشرطة والاسعاف الى بقعة الدم التي وصفت موقعها لهم السلطات، توقفت السيارتان وترجل رجال الامن مقتربين من موقع الحادث كما وصف لهم.

وصلوا الى جثة الضبع.
اكمل صارم تحركه نحو المنخفض تحت الجسر مجددا، القى نظرة على سيارتي الامن والاسعاف اللتان تطوقان المكان، اصبح مقتل الضبع مؤكدا لفاضل.

استمر بالحركة نحو سيارته المركونة، استقلها وتحرك بها مبتعدا.

مرت عشر دقائق قبل ان تصل سيارة شيفروليه يستقلها النقيب فاضل الى مسرح الجريمة، ركنت السيارة على مقربة من مكان مقتل الضبع وترجل منها النقيب واحد رفاقه، خطا فاضل نحو رجال الامن المطوقين للمكان وقد اخفى ابتسامة خلف قناع زائف من الشعور بالصدمة لفقدان زميل له من المخابرات على يد احدهم.



لم تشـأ المخابرات ان تعلم اجهزة الامن الاخرى بانها هي التي نفذت العملية ضد احد رجالها.

الفصل 24

في منزل مهدي، توقف الشريط بعد انتهاء محتواه. كان يشعر بضياع تام لما يجري و لم يستطع ايجاد تفسير لمقتل الرئيس من قبل المخابرات وايصال شريط الاغتيال اليه بهذه الطريقة. نظرت اليه مها وهي تخشى عليه من انفعال قد يؤذي وضعه الصحي. كان مهدي هادئا برغم كل براكين المشاعر التي فارت بداخله.
"اعيدي عرض الشريط"، قال لمها.
شغلت مها الشريط الصامت مجددا. دخل عامل النظافة واغلق الباب ثم وضع اغراضه على ارضية الغرفة قرب الزاوية. انتبه مهدي الى جسم العامل. تماما بضخامة النقيب فاضل. استمر العرض لخمس دقائق نظف فيها القاتل الزنزانة. ثم جمع الغبار في زاوية الغرفة واخرج معطرا للجو بدا برشه. الامر الذي اغضب الرئيس.
"انه يعلم تماما بحساسية الرئيس لمعطرات الجو والغبار". قال مهدي.
"اتفق معك استاذ. انه يدفعه الى استخدام البخاخ". ردت مها. "هذا مافهمته".

حدثت المشادة بين الرئيس والقاتل. اعتذر القاتل للرئيس وتوجه نحو الدولاب. اكمل تنظيفه عليه بينما كان الرئيس يسعل وهو يرتدي سرواله الداخلي فقط.
"هل ان جو الزنزانة حار الى هذا الحد استاذ ؟ برغم اننا في يناير !". سالت مها.
"الاجواء في الزنزانة دافئة بسبب منظومة التكييف فيها. المختار يعاني من حساسية جلدية في الشتاء من الدفء المفرط والحالات العصبية. ذلك يسبب له حكة جلدية مؤلمة ما يجعله يفضل البقاء بعيدا عن الملابس والاقمشة خصوصا الصوفية منها".

انهى القاتل تنظيف سطح الدولاب وهم بالابتعاد، فجأة قال مهدي: "اوقفي الشريط !".

اوقفت مها عرض الشريط، ركز مهدي على بخاخ الرئيس على الدولاب.

"هل لاحظت ؟"، قال لمها.

"لاحظت ماذا استاذ ؟"، ردت، "اعيدي المقطع وانتبهي الى البخاخ"، قال مهدي وعينيه جامدتان على الشاشة، اعادت مها عرض المقطع منذ بدء العامل بتنظيف سطح الدولاب.

كان البخاخ بشكله ذو الحرف F قبل تنظيف القاتل لسطح الدولاب الحديدي يشير براسه الذي يوضع في الفم الى جدار الزنزانة القريب، وبعد ان انتهى القاتل من تنظيف الدولاب اصبح يشير الى الاتجاه المعاكس.

"اتقصد اتجاه البخاخ ؟"، قالت مها، "تماما، لقد قام باستبداله اثناء عمله على سطح الدولاب عندما كان ظهره معطى للكاميرا"، اجاب هو.

ابتعد القاتل عن الدولاب و راح يجمع الغبار عن ارضية الغرفة، مدد الرئيس ساقيه على السرير و تناول البخاخ، ضغطتين، و بدا يعاني الاختناق، تمدد على سريره و ظهر عليه تصلب اعصابه، بدا يثني ساقيه و يمدهما كغريق يحاول التقاط نفسه الاخير، سقط منه البخاخ على ارضية الزنزانة ثم ما لبث ان اصبح جثة بلا حراك.

"مالذي في البخاخ بحق السماء !"، قالت مها و هي تشعر بتسارع نبض قلبها لمنظر الرئيس وهو يحتضر رغم انها تشاهد الشريط للمرة الثانية.

"لا ادري، و لكن يبدو انها مادة فتاكة، لقد قتلته بسرعة"، رد مهدي و هو يمسح شعره.

نهض القاتل من الارض و اخرج بخاخ الطلاء بعد ان تاكد من موت الرئيس، رش محتواه على الجدار راسما الرقم 39، بدا الرمز الذي رسمه واضحا جدا على الجدار، اكمل رسمه الرمز و التفت الى الكاميرا فيما بدا و كانه حركة غير مقصوده، اوقفت مها الشريط.

حدق مهدي الى وجه النقيب فاضل الذي تنكر بزي عامل نظافة للقيام بفعلته، كان مهدي متاكدا من ملامح نقيب المخابرات ذاك، دار الف سؤال في ذهنه، جريمة قتل موكلي، تنفذ داخل سجن الشعبة الخامسة، واحدهم يوصل الشريط اليه، ويبدو على الشريط صورة القاتل ! الامر في غاية التعقيد.

بعد ثوان من استئناف مها للعرض، انتهى الشريط.

"اعطني وحدة الذاكرة"، قال مهدي بهدوء.

انتزعت مها وحدة الذاكرة"الرصاصة" واعطتها اليه، غطى راسها بغلافها واخذ الظرف الورقي من على المنضدة لاعادتها اليه و اخفائها الى وقتها المناسب، فتح الظرف ليضع"الرصاصة"، تسمرت عيناه على داخل الظرف، بدا كانه ينظر الى شئ ما.

وضعت مها الحاسب المحمول على المنضدة و نظرت الى استاذها، "هل من خطب ما استاذ ؟".

مد مهدي اصابعه الى داخل الظرف و اخرج ورقة منه كانت ارفقت مع وحدة الذاكرة، فتح الورقة، اقتربت مها براسها منه لترى محتواها معه، تناول مهدي نظارته الطبية من على المنضدة و وضعها و فتح الورقة و نظر الى محتواها، كان الخط غير متقن و يبدو كانه كتب بيد تضغط على قلم الحبر كثيرا:

"لقد قتلته المخابرات، هذا ما سيؤكد لك".

و في طرف الورقة السفلي الايسر كان التوقيع:

"عاشق المختار".

الفصل 25

الثانية عشرة ظهرا بتوقيت بغداد.

على مــــدرج مطــار بغداد الدولي، وكوحش ابيض مخطــــط باللون الاخـــضر، هبــطت طائـــرة الــــ"Boing 777" التابعة للخطــوط الجوية العراقية قادمة من برلين و على متنها البرفيســور في الطب العدلي الدكتور سالم جرجيس، والذي طلبت منه السـلطات في بغداد قطع حضــوره لمؤتمر الطب الشرعي هناك و قيام احد مســاعديه بالاحلال محله، حيث كانت برلين تحتضــن ذلك المؤتمر الذي تقيمه الاكاديميــة الدولية للطب الشرعي IALMو يحضره العشرات من ممثلي الدول من الخبراء و المختصــين في الطب العدلي و العلوم العدلية لمناقشــة تطوير هذا النوع من العلوم وفق القوانين المعاصره.

لم يكن البروفيســور جرجيس على علم بسبب الاســتدعاء الطارئ وان ما ينتظره هو جثة بحاجة الى تشريح تعود الى رئيس الجمهورية الســابق، رغم ان اســتقباله كان قد تم من قبل ضابط مخابرات رفيع في المطار و رافقه بسيارات مدنية الى جهة كانت لا تزال مجهولة بالنسبة له.

يُعرف البروفيسور سالم جرجيس بشيخ الاطباء العدليين العراقيين، حيث يبلغ من العمر 62 عاما و هو ينتمي الى الديانة المســيحية، يتميز بطوله الفارع والشــيب على على جوانب شعره، تضع الدولة ثقتها به في الازمات الجنائية لتاريخه الطويل في خدمتهــا و تقديمــه التقارير التــي تريدها الســلطات للراي العام بمــا يتفق مع المصلحة العليا للبلاد.

استمرت عجلات المخابرات التي تقل البروفيسور بالتوجه نحو هدفها ببغداد. فيما تم وضع جثمان محمد المختار في احدى ثلاجات الموتى مغطاة تحت حماية امنية مستمرة من قبل عناصر المخابرات لمنع اي عامل في الموقع من الاطلاع على هوية الضحية.

الفصل 26

كان فاضل يقف متخصرا وهو ينظر الى جثة غريمه التي كانت ملقاة في شارع فرعي قديم في تلك المنطقة المحاذية للنهر، كانت فجوة كبيرة قد تسببت بها رصاصة صارم بجبهة الضبع تبدو واضحة وقد احدثت الدماء التي سالت منها بركة تحت راس الجثة، نظر الى عيني الضبع الحادتين وقد انطفأ نورهما و بردت حدتهما، فيما راح خط رفيع من الدماء يسير كقطار بطئ بين حبات التراب على الارض متجها نحو الشارع الموازي لمنخفض النهر العريض.

لم تفارق عينا فاضل وجه الضبع الممدد على الارض، استدار وطلب من احد رجاله تفتيش الجثة بعد ان امر رجال الامن الاخرين الابتعاد عنها وتوسيع طوقهم حول مسرح الجريمة، فتش احد رجال المخابرات المرافقين لفاضل ملابس الضبع و اخرج جواز سفر و تذكرة سفر الى تركيا من ملابسه الى جانب اوراق ثبوتية كمنتسب بجهاز المخابرات واوراق نقدية عراقية ونحو 300 دولار امريكي.
لم يتم العثور على اي شئ يدعو للشبهة.

استدار فاضل و امر سائق سيارة الاسعاف بالاقتراب ليتم نقل الجثة نحو الطب العدلي، كان يشعر بان موت الضبع قد انهى فصلا متعبا من يومه هذا.
لن يتعرف احد الى ما قمت به.

ابتسم وهو يشاهد جثة الضبع تدخل الى حوض سيارة الاسعاف طاويةً معها صفحة مطاردة متعبة.

لم يكن مهدي متاكدا من ان مرسل الشريط اليه هو شخص (فاعل خير) حقا ام هي لعبة اخرى من المخابرات. كانت مها تجلس امام استاذها وهي تنظر الى الورقة المرفقة بالظرف في يديها، طوت الورقة واعادتها الى الظرف ووضعت وحدة الذاكرة معها.

"استاذ ؟"، نظر اليها مهدي الذي كان يعبث بعلبة السكائر امامه على المنضدة. "انت متاكد من ان الشخص الذي ظهر في الزنزانة هو ضابط المخابرات الذي التقيت به في الامس ؟".

"تماما مها، تماما !".

"لااريد ان اكون فضولية استاذ، وقد يكون سؤالي يتعلق باحد اسرارك كمحامي للرئيس، لكنني اتسائل فيما اذا كان هناك اي حديث قد جرى بينك وبين الرئيس من قبل يتعلق بالرقم 39، ارصدة في بنوك، رقم عقار، سلاح سري.. شئ من هذا القبيل".

حدق اليها مهدي وغاص في شريط لقاءاته مع المختار، ركز تفكيره على كل لحظة التقيا فيها قبل اعتقاله واثناء لقاءاته الفردية به، كل مايتذكره بخصوص هذا الرقم هو..

فراغ تام.

هز راسه لها نافيا وعيناه جامدتين في فضاء الغرفة.

"استاذ، رسالتان في يوم واحد، الرقم على جدار الزنزانة ورقم الاية، جرب ان تربط الاسرار التي افصح لك الرئيس عنها وان تجد العلاقة بينها وبين الرقم".

"مها، لم يذكر لي الرئيس اي شئ يتعلق بهذا الرقم من قبل، انا متاكد".

شاهت مها بعينيها في الغرفة وهي تضم شفتيها مفكرة في سؤالها التالي.
"و ماذا تعرف عن علاقة الرئيس بالقراصنة الافارقة الذين سالته عنهم المحكمة؟".

عدل مهدي جلسته ونظر اليها. اشعل اخر سيكارة في علبة سكائره واخذ نفسا منها ثم قال:
"نعم. اتهمت المحكمة الرئيس بتقديم المعلومات والسلاح سرا الى عصابات من قراصنة افارقة - صوماليين خصوصا - للقيام بعمليات استيلاء على سفن وناقلات نفط عالمية من التي تنقل النفط و الشحنات التجارية بين الشرق الاقصى و الاوسط من جهة. واوربا من جهة اخرى عبر البحر الاحمر وقناة السويس. حيث كان الرئيس يدعم عمليات السيطرة على تلك السفن من قبل اولئك القراصنة الذين يقومون بعد الاستيلاء عليها بمطالبة الشركات والدول المالكة لها بفدية تصل احيانا الى ملايين الدولارات لقاء اطلاقها. كان الرئيس يستخدم المعلومات التجارية والاستخباراتية التي يحصل عليها عن حركة تلك السفن ويزود بها اولئك القراصنة عبر سلسلة من الاشخاص والمنظمات التي توصل المعلومة حتى تبدو تلك المعلومة قادمةً من جهة غير معروفة. الى جانب شراء الاسلحة عن طريق اشخاص و شبكات وتزويد القراصنة بها بصورة غير مباشرة. ورغم اني نفيت تلك التهم عنه في المحكمة. الا انه كان قد اخبرني بانه قد قام بذلك فعلا".

ادخلت مها اصابعها في شعرها و ارجعته الى الوراء.
"اتقصد ان الرئيس كان يدعم القرصنة و الارهاب ؟!".

"سالته عن سبب ذلك. قال لي: مهدي. القائد الناجح هو الذي يكسب المعركة قبل ان يخوضها. لقد شرح لي بانه لم يقم بذلك من اجل القرصنة و تقاسم الاموال مع القراصنة البته. بل ان القراصنة انفسهم لم يكونوا يعرفون الجهة التي توصل لهم المساعدة الاستخبارية و الاسلحة بسبب كثرة الوسطاء

الذين استخدمهم المختار لدعمهم، مها المختار كان اذكى من استخدام قراصنة لكسب المال".

"كيف ؟".

نفث دخان سيكارته و نفض رمادها في منفضة على المنضدة و اكمل..

"لقد اخبرني بالسبب، لقد قام بذلك لجعل ممر باب المندب غير امن بنظر الملاحة العالمية، ليدفع بالسفن المستخدمة لهذا الممر الى سلوك طريق اخر، اراد ان يدفع الملاحة الى المرور عبر مضيق هرمز ثم الخليج العربي فموانئ البصرة، حيث تفرغ الحمولات في موانئ الفاو و تنتقل عبر القنوات الجافة عبر ارض العراق نحو اوربا عبر خط البصرة – برلين، ذلك سيدر على العراق مليارات الدولارات سنويا، هذه كانت الجائزة التي ارادها المختار، لم يكن يقصد الفائدة الشخصية، بل العائدات الوطنية".

استغربت مها دهاء المختار و قالت:

"ممم، و ما علاقة ذلك بالمعركة التي قال لك بان عليه ان يكسبها قبل ان يخوضها؟".

"كان يشعر دائما بشبح المشكلات الاقتصادية العالمية، وفي الوقت ذاته مهووسا بترسيخ اقتصاد وطني متين، يعتمد على جني العائدات للعراق من مختلف المصادر حتى غير الشرعية منها، ما دفعه الى اقتراف بعض المخالفات الكبيرة من اجل تدعيم فكرته تلك، و بعد ان كشفت ملابسات ذلك من قبل جهات عالمية، لم يفهم سياسيو البرلمان الجديد السبب الحقيقي وراء ما قام به، فقاموا بتحريض القضاء ضده و اتهامه بالقيام بتلك الاعمال لتعزيز ثروته الشخصية، و موجهين له اتهامات دعم الارهاب العالمي و مشاطرة الارهابيين غنائمهم".

ابتسمت مها نصف ابتسامة و قالت:
"لكن استاذ، مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ليس صحيحا دائما !".

"في السياسة كل شئ مباح مها، الشئ الوحيد الاكيد بالنسبة لي هو ان المختار لم يختلس شيئا لنفسه، بل قام بتلك الاعمال غير الشرعية من اجل ضمان مستقبل البلاد و تنويع مصادر الدخل".

"هل كانت هذه هي المخالفة الاكبر التي قام بها الرئيس استاذ ؟".

"لا اعلم ايا منها يمكنني اعتباره مخالفة، او ان اسميه عملا من اجل مصلحة البلاد، لقد كان المختار حذقا و يمتلك من الدهاء ما يصعب تصديقه".

"ممم، جواب دبلوماسي !"، قالت مها ضاحكة.

"يمكنك اعتباره كذلك، صدقيني انا ووالدي نعرف الرئيس محمد المختار اكثر من اي عراقي اخر، لقد كان مجنونا بجعل العراق يعود لوضعه الطبيعي اقتصاديا و سياسيا و عسكريا، و اولى الخطوات لتحقيق ذلك كانت بنظره هي تحقيق الاستقرار الاقتصادي و جني العائدات الكبيره التي تعتمد على مصادر اخرى غير عائدات النفط، الم تذكري خطاباته الكثيره التي كان يشير بها الى العراق بعبارة "بلاد الشمس"؟، كان يحب تسميته كذلك اعتزازا بتسمية السومريين لبلادهم بذلك الاسم".

"نعم، اذكر ذلك !".
"لقد كان ينظر للعراق كنوح الذي يجب ان يعمر ارضه بعد الطوفان".

قالت مستغربة: "الطوفان ؟".

"بلى، سـالته ذات مرة ان كان يعتبر ما حدث بعد عام 2003 هو الطوفان، هز راسه بالنفـي و قال لي: مهـدي ذلك الطوفان الذي حدث في العراق ثم المنطقة باجمعها سيكون ضئيلا قياسا بما سياتي !".

اتسـعت عينا مها و هي تنظر نحو اسـتاذها: "ايقصـد ان حرب 2003 و ما تلاها من حروب و صراعات داخلية في العراق و بعض الدول الاخرى سـيكون ضـئيلا امام المجهول القادم ؟".

اجاب مهدي: "بالضبط، و على مستوى العالم!".

تزاحمـت الافكار في راس مها كفقاعات تتصـارع كل منهـا لتكون الاولى بالطرح على اسـتاذها، شـعرت لوهلة بفقدان الامان من المسـتقبل و شـئ من الضـياع لكلمات اسـتاذها التي ينقلها عن رئيس بلادها السـابق، والذي رحل تاركا العديد من الاسئلة بلا اجوبة.

رن الهاتف المحمول في حقيبتها قاطعا سلسلة افكارها، اخرجته منها و ردت على الاتصـال، كانت والدتها قد اتصـلت للاطمئنان عليها و طلبت منها العودة قريبا لحاجتها اليها، فهي تعاني من تنخرٍ حاد بمفصـل كتفها الايمن، و تسـتعد للسفر الى تركيا لتلقي العلاج هناك.

"اصبح من الضروري ان اعود لمنزلي استاذ، تاخرت على والدتي كثيرا".

"حسـنا مها، حاولي ان تفكري معي بالرقم 39، فعقلان يفكران افضـل من عقل واحد !".

"اعدك استاذ".

توجهت مها مغادرة بيت استاذها وعائدة الى بيتها في شارع فلسطين، اوصلها مهدي الى باب منزله و اوما اليها مودعا.

في غرفة المعيشة بمنزله، بقيت الرصاصة في ظرفها على المنضدة مع الورقة المذيلة باسم"عاشق المختار"، و الى جانب الظرف تركت الاقراص الثلاثة ذات الاعادات السبعة، جميعها بانتظار حل اللغز.

الفصل 27

كان النقيب فاضل يستقل سيارة الشيفروليه ذات الدفع الرباعي مرافقا بها سيارة الاسعاف التي تحمل جثة الضبع والمتوجهة نحو دائرة الطب العدلي، تتبعهما سيارة شرطة.

شرد بذهنه وهو ينظر من زجاج نافذته متذكرا احداث الليلة السابقة في الشعبة الخامسة. تذكر لقاءه الاخير مع اللواء ماهر عبد الفتاح مدير المخابرات العامة قبل ثلاثة ايام حينما اوكل له اللواء مهمة قتل الرئيس المختار في سجنه بشكل سري على ان تنفذ العملية بدون علم اي فرد اخر في المخابرات، عدا ضابط واحد كان اللواء يثق به جيدا الى جانب فاضل، فيما ابقى الامر سريا على كافة منتسبي الشعبة الخامسة بما فيهم العميد مدير الشعبة.

اطلع اللواء فاضلاً على تفاصيل العملية و ساعة التنفيذ. كان النقيب فاضل قد امر رفيقه (الضابط الظل) باحداث مشكلة في منظومة كاميرات المراقبة في المبنى الثاني بشكل سري، نفذ الضابط الظل الامر وتوقفت معظم كاميرات المبنى المجاور عن العمل، توجه فاضل الى العميد مدير الشعبة و نصحه باستنفار كافة الضباط العاملين في غرفة مراقبة المبنى الرئيسي لاصلاح العطل في منظومة مراقبة المبنى المجاور على ان يبقى مساعده (الضابط الظل) في غرفة المراقبة وحيدا ليراقب صور الكاميرات الموزعة في المبنى الرئيسي.

اثر ذلك، امر العميد ضباط غرفة المراقبة بالتوجه فورا لاصلاح الخلل في منظومة مراقبة المبنى الثاني، بقى الضابط الظل وحيدا امام شاشة العرض التي تنقل صور كاميرا مراقبة الزنزانة 12. تحرك فاضل سريعا وتوجه لتغيير ملابسه متنكرا

بــزي عامــل نظافة، نفذ عملية اغتيــال الرئيس المختار بغاز قاتــل، ثم التفت نحو الكامــيرا وظهــر وجهه، انهى عمليــة الاغتيال واخذ معه بخــاخ الرئيس من على الارض و اعاد البخاخ الاصــلي على الدولاب وترك الزنزانة ثم خرج لارتداء ملابســه الاعتيادية، كانت مهمة الضــابط الظل الاحتفــاظ بالشريط الذي يظهر به وجه فاضــل بمكان سري على جهاز الحاسوب لوقت لاحق يعود فيه فاضل لسحب ذلك الشريط، و ترك الشريط المقتطع منه ذلك المشهد في مكانه الظاهر على الجهاز. كان التفات فاضل الى الكاميرا مقصودا، فقد اراد ايصال الشريط الكامل الى اللواء ماهــر ليطلعه على انه قد نفذ المهمة بنفســه و بمنتهى الحرفية، فيما ســيبقى الشريط المقتطع من حصة الشعبة الخامسة خافيا معه وجه النقيب القاتل.

اثنــاء قيام فاضــل بالمهمــة و دخوله الزنزانة، غادر الضــابط الظــل غرفة المراقبة متظاهــرا بدخولــه دورة المياه المجاورة، تزامــن خروجه منها مع خروج فاضــل من الزنزانة، كان هذا ما صورته كاميرا المراقبة الموجودة في غرفة المراقبة نفسها.

بعد دقائق، عاد ضــباط غرفة المراقبة الى مواقعهم بعد اصلاح الخلل في منظومة كاميرات المبنى المجاور دون التنبه الى موت المختار، فقد بدا من خلال الكاميرات انه يغــط في نومــه ممددا على سريره، حتــى تنبه احدهم الى عدم حــراك الرئيس لفترة ليســت قصــيرة، في الوقت ذاته، تنبه احــد الحراس القريبين من الزنزانة الى وضــع الرئيس غير الطبيعي وعدم تحركه وابلغ ســلطات المديرية، وعندما وصــل الامر الى العميد اســتدعى فاضل وتوجه معه نحو غرفة المراقبة لمشاهدة شريط تسجيل الكاميرا 12، شاهد العميد وفاضل الشريط الذي ظهر عليه قطع الثانيتين اختفى فيهما وجه عامل النظافة، غادر العميد غرفة المراقبة وطلب شرطة الادلة الجنائية وابلغ اللواء مدير المخابرات هاتفيا بما جرى.

في غضــون ذلك، اقنع فاضل العميد بضرورة اتخاذ تدابير تطويق الجريمة وانه يجب تحذير ضـباط المراقبة والمنتسـبين الاخرين من البوح خارجا باي كلمة عن ماحدث، شـعر العميد بضرورة ذلك، فاستدعى ضباط المراقبة الى غرفته من اجل تحذيرهم من الافصاح عما حدث خارجا حتى اشعار اخر وضرورة الحفاظ على شريط الزنزانة 12 لمساعدة الادلة الجنائية على رؤية اخر لحظات المختار قبل وفاته.

في تلك الاثناء و مسـتغلا خلو غرفة المراقبة مرة اخرى، كان فاضل متوجها نحو تلك الغرفة للقيام بعملية نسخ الشريط الاصلي لايصاله الى اللواء ماهر ليتاكد بنفسه من تنفيذ فاضل للمهمة ومن ثم مسحه بشكل نهائي، لكنه فوجئ بوجود الضبع داخـل الغرفة، فقـام باخراجه منها واغلاق الباب على ان يعود اليها بعد ان يتاكد من مغادرة الضبع للرواق كي لايثير الشكوك، فيقوم بنسخ الشريط الاصلي ثم مسحه وابقـاء الشريـط ذو القطع، الا انه شـعر فجاة بامكانية كون الضـبع قد اطلع على محتوى جهاز الحاسـوب الخاص بكاميرا الزنزانة 12 و رؤية الشريط الاصـلي ومعرفة الفاعل الحقيقي، خصوصـا و ان الضـبع يحمل دهاءا حاسـوبيا خطـيرا و بامكانه البحث عن الاسرار في جهاز الحاسـوب و من بينها الشريط الاصـلي الذي يظهر وجه فاضـل كفاعل للجريمة، فعاد مسرعا الى غرفة المراقبة واجرى عملية مسـح سريعة للشريط المقتطع ونسخ الشريط الاصلي ومن ثم مسحه هو الاخر، ثم اتهم الضبع بالقيام بمسحه لابعاد الشبهات عنه وللقضاء على الشريط الذي قد يدينه.

كان فاضـل يشـعر بان دخول الضـبع للغرفة هو مصـادفة رائعة بالنسـبة له، فالعداء الشخصـي وابعاد الشـبهات كانا السببين الرئيسـيين لاتهامه الضبع بالقيام بالجريمة واقناع مدير المخابرات بضلوع الضبع فيها، لذا تحمل عناء مطاردة الضـبع والقضاء عليه باستخدام يد من خارج المخابرات لم يعلم بها اللواء ماهر نفسه، عصـفورين بحجر واحد، تنفيذ العملية على اتم وجه، والقضاء على غريم، وعصفور ثالث: ابعاد الشبهات.

لكن برغم دهاءه في تنفيذ العملية، لم يعلم فاضل بما قام به الضبع من بحث ذكي على جهاز الحاسوب وايجاد الشريط الاصلي ونسخه وايصاله الى المحامي، رغم ذلك، كان يشعر بانه قد تخلص من امكانية ايجاد دليل ملموس ضده في قضية اغتيال الرئيس.

اما الضبع، فكانت له دوافع لتصرفه هو الاخر، فقد قام بعملية النسخ و ايصال الشريط الى المحامي لميله للرئيس المختار، و شعوره بان الرئيس قد تم عزله ظلما عن الحكم، و فيما بعد قتله على يد النقيب فاضل، الضابط الذي له تاريخ عدائي طويل معه، فقد كان الضبع ينظر لفاضل كخنزير بري يتمرغ في الوحل من اجل ارضاء سادته في جهاز المخابرات مهما طلبوا منه.

قطع وصول السيارة الشيفروليه وسيارة الاسعاف الى دائرة الطب العدلي شريط ذكريات الليلة السابقة براس النقيب فاضل، دخلت السيارتين الى الدائرة فيما توقفت سيارة الشرطة خارجا.

الفصل 28

كانت سيارات المخابرات قد دخلت توا الى المنطقة الخضراء مستصحبة معها البروفسور سالم جرجيس، دخلت العجلة التي تقل جرجيس وحيدة الى المنطقة الرئاسية وتوجهت الى احدى المقار الصغيرة حيث تنتظر البروفسور شخصية هامة في الدولة.

تحتل المنطقة الخضراء الرئاسية مساحة شاسعة في كرخ بغداد تمتد من الضفة الغربية لنهر دجلة الى متنزه الزوراء شمالا والحارثية غربا والجسر المعلق الرابط بمنطقة الجادرية جنوبا، وتحتضن القصر الجمهوري العراقي الرئيس وهو مقر رئاسة الجمهورية والذي يعتبر اهم قصور الخضراء واكبرها ويمكن مشاهدته من الضفة الشرقية لنهر دجلة وهو يطل بقبته الخضراء المائلة للزرقة، اتخذته القوات الامريكية مقرا لها بعد اجتياح العراق عام 2003، و الى جانبه، تتوزع في المنطقة الرئاسية تلك مجموعة قصور اخرى بينها قصر السجود وقصر السندباد وقصر عدنان وقصر المؤتمرات اضافة الى مقار حكومية هامة اخرى كمبنى رئاسة اركان الجيش العراقي ومقر وزارة الدفاع، كما تضم اليوم مقر السفارة الامريكية في بغداد التي تعتبر اكبر سفارة للولايات المتحدة في العالم باسره.

تطوق الخضراء بسور منيع من الحواجز الكونكريتية واجهزة كشف المتفجرات ومنظومات مراقبة وقوات نخبة لحمايتها، كما واصبحت بعض الشواخص العراقية كالنصب التذكارية ضمن اسوارها كنصب الجندي المجهول وساحة الاحتفالات الكبرى، الى جانب ساعة بغداد التي اصبحت مقرا للمحكمة الاتحادية العراقية العليا في البلاد.

تعكس مباني المنطقة الخضراء الفن المعماري العباسي في تصاميمها، كما توحي بجنون العظمة الذي كان يسيطر على الرئيس صدام حسين و الذي قام ببناء العديد من القصور والنصب التذكارية في تلك المنطقة، حيث لم يكن في الخضراء غير القصر الجمهوري وقصر المؤتمرات قبل تسلم صدام للسلطة عام 1979، لكنه توسع فيها ببناء تلك الشواخص الكبيرة، حيث ان من اهم ما بناه صدام عاكسا شغفه بالحروب قوس النصر القائم على ساحة الاحتفالات والذي يتكون من سيفين متقاطعين تمسك بهما كفوف برونزية ضخمة شبيهة بكفيه يتوسط تقاطعهما علم عراقي، وتتناثر تحت كفوف ذلك القوس نحو 5000 خوذة لعدد مماثل من القتلى الايرانيين كان صدام قد امر باستقدامها من جبهات القتال ابان الحرب العراقية الايرانية لتوضع تحت كفيه العملاقين، ليستعرض تحتهما الجيش العراقي في السادس من يناير من كل عام، حاولت الحكومات العراقية بعد 2003 ازالة ذلك النصب لكن منظمات عراقية وامريكية عارضت بشدة، فتم اعادة ترميمه وعاد الجيش يستعرض تحته بعد ازالة الخوذ العائدة للقتلى الايرانيين.

ادخل جرجيس الى المقر بصحبة ضابط المخابرات وتمت ضيافته بانتظار الشخصية التي ارسلت بطلبه.

....

في تلك الاثناء، كانت استعدادات غريبة تجري في احدى قاعات القصر الجمهوري في المنطقة الرئاسية، حيث ستستخدم تلك القاعة لاول مرة هذا النوع من الاستخدام.
الجميع بانتظار الساعة السادسة.

الفصل 29

لم يكن المقر الصغير الذي كان فيه جرجيس مالوفا بالنسبة له، ولم يكن يحمل اية صفة رسمية او حتى لافتة تشير الى ماهيته، ماجعل التنبؤ بالشخصية القادمة صعبا عليه.

كانت قد مضت نصف ساعة على وصول البروفيسور الى ذلك المقر في المنطقة الخضراء، قدم له خلالها كوبين من الشاي تباعا، كان يراقب الساعة المعلقة على الجدار امامه منتظرا الشخصية التي سيقابلها، فيما راح ذهنه شاردا يحاول ان يحزر السبب الذي جعل السلطات تطلب منه العودة الى بغداد على جناح السرعة وقطع مشاركته في مؤتمر برلين، الا انه وبعد غرقه في التفكير، عاد الى الواقع حوله عندما دخل رجلان ببدلات سوداء وقد فتحا الباب ووقفا عند جانبيه، حيث يؤدي ذلك الباب الى الصالة الصغيرة التي ينتظر فيها جرجيس.

ركز البروفيسور نظره الى الباب امامه مباشرة بانتظار الشخص المسؤول الذي سبقه رجال حمايته الى داخل المقر الصغير، لاح قادما نحو الباب رجل بقامة مملوءة ومتوسطة الطول واضعا نظارة شمسية، زرر بدلته بعد ان ترجل من عجلة صالون كانت تقله، وصل الى الباب وخلع نظارته حالما القى السقف بظله عليه، تراءى لجرجيس ذلك الرجل كشخص مالوف.
اللواء ماهر عبد الفتاح مدير المخابرات العامة.

ما ان وصـــل اللواء منتصـــف القاعة في المقر الصغير، حتى بدت على وجهه تعابير ابتسامة مجاملة ســـددها الى البروفسور جرجيس. نهض البروفسور مرحبا باعتى شخصـــيات الدولـــة على الاطلاق، اطلق اللواء كلمات باردة صـــاحبت مصـــافحة سريعـــة ليد جرجيس، جلس قريبا من البروفســـور بعد ان فتح ازرار بدلته، ســـحب نفسا واطلق زفيرا..

"كيف كانت الرحلة الى بغداد بروفسور ؟"، قال اللواء وهو ينظر الى نفسه بعدسة نظارته الشمسية في يده.

"لا باس، طول الطريق امر متعود عليه سيادة اللواء".

رمـــق اللواء الرجلين عنـــد الباب، اختفيا خارجـــين من المقر الصـــغير و اغلقا الباب خلفهما، وضع اللواء نظارته على المنضده امامه و نظر الى البرفيسور جرجيس.

"بروفيسور، لابد ان تكون متلهفا لمعرفة سبب استدعاءنا لك".

اوما البروفيسور براسه.. واكمل اللواء:

"هناك عملية قتل حدثت الليلة الســـابقة لشخصـــية تتســـلط عليها الاضواء السياســـية العالمية في الوقت الراهن، نحتـــاج الى وطنيتك المعهودة لتجنب بلادك مشاكل مع دول اخرى".

نظر البروفيســـور الى اللواء بعينين تريدان سحب المزيد من الكلمات، سحب اللواء نفسا عميقا و اكمل:

"لقد اغتيل الرئيس المختار ليلة امس!".

احس البروفيسور سالم جرجيس بكلمات اللواء كسكاكين اخترقت اذنيه، تبطأت امامه صورة الرجل و شعر بصوت نبضه يسري في صدغيه.

"عفوا سيدي ؟".

-"نعـــم بروفيســـور، تعلم بان العديـــد من الدول تنتظر نتائـــج محاكمة المختار بعد

ان رفعــت هـي الاخرى دعاوى عليه امام المحكمة الاتحادية العراقية بخصــوص دعم الارهــاب و عمليات غير شرعية اخرى. يجب ان نظهر للعالم بان المختار قد توفي فجأة دون تعرضــه للاغتيال. و الا فان هذه الدول ستتهمنا بقتله لاخفاء جرائمه. و بالتالي تشركنا ايضا في دعاواها القضائية وهذا سيدخلنا في ازمات سياسية لا نهاية لها".

"وهل تعرفتم الى القاتل ؟".

"لا يهـم. المهم الان ان تجـري عملية التشريح كعمل روتيني حتـى امام الحكومة. و تخـرج بتقريـر طبي يعكس شـفافيتنا بالتعامل مع القضـية لتؤكد فيه وفاة المختار بشـكل طبيعي. سمعتك الدولية ستسهل تقبل المجتمع الدولي للتقرير الذي ستصدره".

اطبق الصـمت على البروفيسـور جرجيس الذي وجد نفسـه فجأة وسـط دوامة معقدة من الاحداث. مسح شعره بكفه ناظرا الى اللواء.

"سيادة اللواء. اين هـي الجثة الان؟".

"تحت الحراسـة المشددة في الطب العدلي. بروفيسـور. مهما يكن سبب الوفاة فان المختار توفي بسكتة قلبية مفاجئة".

هز البروفيسـور جرجيس راسـه و هو يشعر بالارض تدور من تحته. نهض اللواء و زرر بدلته و صافح البروفيسور الذي نهض معه.

"بالتوفيق في مهمتك بروفيسور. سترتاح قليلا في غرفة باحدى المباني القريبة قبل توجهك الى العمل".

"شكرا سيادة اللواء".

ادار اللواء ظهره للبروفيسـور ماشيا نحو الباب. فتح الرجلان الباب على مصراعيه و اختفى اللواء تحت ضوء الشمس الشتوية خارجا.

بعد سـاعة. كان البرفيسـور جرجيس يقطـن في مبنى قريب يحتوي على شـقة صـغيرة داخل المنطقة الرئاسية لاخذ قسط الراحة الذي وعد به اللواء. استعدادا لتوجهه الى مبنى دائرة الطب العدلي حيث تنتظرة قضية بالغة التعقيد.

الفصل 30

الرابعة عصرا بتوقيت بغداد.

كان التعب من التفكير قد انهك المحامي مهدي العلي جاعلا اياه يستسلم لغفوة هشة على اريكته امام منضدة وضعت عليها خيوط اللغز معا مع منفضة رماد برزت منها اعقاب سكائر كانها شواخص قبور عشوائية غرزت على تراب رمادي.

تسلل الى اذنيه صوت النغمة الافتراضية لنقاله معيدا اليه وعيه من غفوته. فتح عينيه و نظر الى مسرح الاشـياء الكئيبة امامه. تناول نظارته الطبية و وضعها و القى نظرة الى شاشة النقال: "مها الطالبة".

اجاب على الاتصال:

-"الو. نعم مها. اهلا بك..".

على الطرف الثاني من المكالمة شرحت مها للاستاذ ما شاهدته على التلفاز.

كان التلفزيون الحكومي قد اعلن انه يسترعي انتباه المشاهدين الى ان وزارة الداخلية ستقيم بعد قليل مؤتمرا صحفيا هاما يعرض على الهواء مباشرة بحضور صحفيين و مراسلي قنوات و وكالات انباء. لكنها لم تفصح عما سيكون المؤتمر بشأنه. طلبت مها منه متابعة القناة الحكومية لمعرفة ما سيتم طرحه في ذلك المؤتمر. انهى مهدي الاتصال معها و شغل التلفاز عارضا القناة الرسمية بانتظار وقائع ذلك المؤتمر"الهام".

ستفصح السلطات عما حدث بالتاكيد.

في تلـــك الاثناء، كـان عـدد كـبير مـن مراســـلي الـقـنوات و الـصـــحف المحلية والعالمية قد توافدوا على الموقع الـذي ســتجري فيه وقائع ذلك المؤتمر، الا ان الجميع لم يحضر مؤتمرا تقيمه وزارة الداخلية في الســابق في هذا الموقع بالذات، فقد اعتاد المراسلون على الحضـــور في قاعـــة المكتب الاعلامي لـــوزارة الداخلية في مبنى الوزارة نفســـه وسـط الرصافة، لكنه هذه المرة يعقد بشكل استثنائي في قاعة من قاعات القصر الجمهوري، لذا، اثار موقع المؤتمر الذي ســيقام بعد ســاعتين حوله تساؤلات عديدة عما سيكون بشأنه، الى جانب الترقب الذي شعر به الاعلاميون والمشاهدون تجاهه.

في غرفته ذات الجدران الخشـــبية، كـان الرجل ذو البدلة الانيقة قد اغلق توا ســـماعة هاتفـــه متـــكأً على كرســـيه خلف مكتبـــه، تنـــاول الريموت كونـــترول و حول جهاز المستلم الى القناة الرسمية، نظر الى ساعته بانتظار حلول السادسة مساءا.

الفصل 31

لم تكـن بغـداد، تلك المدينة الكبيرة التـي تقع ثالثة بين العواصـم العربية الاكبر بعدد سكانها، قد هدأت بعد سلسلة الاحداث الاخيرة التي عصفت بالبلاد عقب عزل الرئيس المختـار وافراد من حكومته على خلفية التهم التي وجهت اليهم، فلا زال بعض انصـار المختار يجوبون الشوارع و الساحات الرئيسة مطالبين بالحرية لرئيسهم السابق.

في الوقـت نفسـه و في احيان كثـيرة، كانت العديد من الدول التـي اتهمت المختار بقضايا دعم الارهاب العالمي واختلاس الاموال والحصول عليها بطرق غير مشروعة تعتبر نفسـها معنية بما ستقرره المحاكمة بخصـوص تلك الاتهامات، خصوصا الولايـات المتحدة الامريكيـة و بعض الدول الاوربية و دول من المشرق الاقصـى، الى جانب العديد من الشركت العالمية و المنظمات الاخرى، فلم تكن قضية القراصنة الصوماليين الا واحدة من القضايا التي ثبتتها تلك الدول ضد المختار، الا ان جميع تلك الاطراف كانت تصـاب بخيبة امل كلما طالت محاكمة الرئيس العراقي دون التوصـل الى ادانته بشكل قاطع رغم تقديم تلك الدول و الجهات العديد من الادلة الى المحكمة العراقية التي تثبت التورط الفعلي للمختار في اعماله غير المشروعة، كما لوحت بعض الدول و الشركات برفع دعوى الى المحكمة الدولية ايضـا في حال لم يكن القضاء العراقي حاسما و شفافا بما يكفي اثناء المحاكمة.

اما في العراق، فقد انشـغل العراقيون كثيرا بالتسـجيلات المشذبة التي يعرضها التلفزيـون الحكومي لجلسـات محاكمـة الرئيس المعـزول، و لم تخلُ الشـوارع في مناسبات عديدة من مصادمات بين انصار المختار و مناوئيه تفضها قوات مكافحة الشغب بالقوة، ما دفع السلطات احيانا الى فرض حظر التجوال ليلا في المدن التي تشهد مثل تلك الاحداث.

في ذلك المساء، دفعت القنوات التلفزيونية ووكالات الانباء المحلية و العالمية بافضل ما لديها من الاعلاميين من مكاتبها في بغداد الى القصر الجمهوري حيث المؤتمر المرتقب بعد دقائق و الذي وصفته السلطات بالهام.

في الوقت ذاته، وعلى شاشات القنوات الفضائية، شخصت عيون ملايين المشاهدين في العراق والعالم نحو التلفزيون واستعدت الاستوديوهات التحليلية للقنوات الفضائية واعدت الاتصالات عبر الاقمار الصناعية بانتظار ذلك الحدث، و بين تلك العيون المترقبة لما سيطرح، كانت عيون المحامي مهدي العلي، و الطالبة مها، و البروفيسور جرجيس، و بالطبع، صاحب البدلة الانيقة.

الفصل 32

دقيقتين قبل السادسة مساءا.

فيما كان العالم يشاهد، ظهر على شاشة القناة الرسمية مربعين متجاورين احتل مذيع الاخبار الشاب الايسر منهما. فيما ظهرت على المربع الايمن منصة خطاب خشبية وعليها وضعت العشرات من لاقطات الصوت الملونة والتي تحمل شعارات محطات تلفزة محلية و عالمية بانتظار الشخص المتحدث. و الى الخلف من المنصة على اليسار، وضع علم عراقي بالوانه الاربعة المعروفة. فيما كانت في خلفية ذلك المشهد لوحة زيتية كبيرة رسمت بعناية.

"مشاهدينا الكرام، ننتقل و اياكم الى القصر الجمهوري لنقل وقائع المؤتمر الصحفي الذي يعقده المكتب الاعلامي لوزارة الداخلية العراقية.. فالى هناك".
قال المذيع تلك العبارة على عجل، و اختفى بمربعه الايسر لتحتل صورة المنصة الخشبية الشاشة كاملة.

كان مهدي يجلس كاتفا ذراعيه و هو ينظر الى الشاشة، شدت انتباهه اللوحة الزيتية الى الخلف من المنصة الخشبية التي تحمل شعار الجمهورية، كانت اللوحة بقياساتها الكبيرة و ابعادها المقوسة من الاعلى و المربعة من الاسفل قد شوهدت من قبله فيما مضى، حيث لم يكن منظر الرسمة غريبا عليه، فقد كان مهدي قد شاهد من قبل ما يعرف بـ(لوحة الصاروخ) في القصر الجمهوري اثناء حضوره الحفل الخاص بالذكرى السنوية الثانية لتسلم الرئيس المختار حكم البلاد.

تحمل لوحة الصاروخ رسما زيتيا لسبع صواريخ منطلقة الى السماء و قد اثارت حولها دخانا كثيفا، في وسط اللوحة، يظهر كبيرا صاروخ منطلق و قد وضع عليه علم عراقي كذلك الذي كان معتمدا قبل عام 2003، فيما انطلقت على جانبيه ست صواريخ اخرى تبدو ابعد من الصاروخ الوسطي الكبير، و في السماء، تظهر اشعة الشمس و هي تتسلل من خلف جدار من الغيم الذي تنطلق نحوه الصواريخ.

مع حلول تمام السادسة مساءا بتوقيت بغداد، الثالثة بتوقيت غرينيتش، ظهر رجل بزي امني و رتبة عميد على الشاشة ليعتلي منصة المؤتمر، وضع ملفا كان في يده على المنصة و عدل نظارته الطبية ملقيا التحية على نحو خمسة و ثلاثين اعلاميا من وكالات انباء مختلفة جلسوا امامه، تابع العالم اللحظات الاولى من مؤتمر وزارة الداخلية العراقية الهام، فيما استقبلت شفتا مهدي سيكارة بانفاسها الاولى.

تنحنح العميد و هو يستعد للتحدث من على المنصة امام لوحة الصاروخ، ضم شفتيه وعدل نظارته مرة اخرى و هم بالحديث، ساد صمتٌ لاذع على القاعة و شخصت عيون الصحفيين و كاميراتهم بانتظار كلماته.
"اود ان اعلن الى ابناء شعبنا، والى المهتمين بالشأن العراقي في العالم، ان الرئيس المعزول محمد المختار، قد توفي الليلة الماضية في زنزانته وسط ظروف لا تزال غامضة...".
تعالى صوت ضوضاء عريض بمختلف اللغات في القاعة، رفع العميد صوته و اكمل: "و اننا كوزارة داخلية في البلاد و بالتعاون مع وزارة العدل فتحنا تحقيقا دقيقا للتوصل الى الكيفية التي توفي فيها المتهم، و لكن الدلائل الاولية تشير الى وفاة طبيعية حتى هذه اللحظة..".

كان مهـدي لا يزال يتابع و قد شـعر بظلم عاصـف تعرض لـه الرئيس المختار في سـجنه، فحقيقة ما جرى كما شـاهدها على الشريط الرصاصة تتنافي تماما مع كلام المتحدث باسم وزارة الداخلية.

كان كمـن يريـد الصراخ وهـو في جزيرة نائية، حيث ليسـت هناك اذان ستسـمع صراخه مهما علا، شـعر و كان روحه اصـبحت كجدران رطبة مالحة، اثقلها الحزن والشعور بالظلم، كان واثقا بانه مهما فعل الان لكشف ماجرى، لن يستمع العالم للحقيقة التي يعلو على صوتها صوت الاعلام الحكومي الواثق و المزيف للحقائق.

لقد ذهبت تضحية الرئيس المختار هباءا.

اكمـل المتحـدث قائلا: "لذا، ارجو من السـادة المواطنين ضـبط النفس لما جرى و عـدم التطرف بردة الفعل حتى ظهور النتائج النهائية للتحقيق في ملابسـات ما حصل..".

انهى العميد مالديه، و ارتفعت الايادي صاخبة لطرح الاسئلة، و بدا يجيب على بعضها. ابتسـم مهدي نصـف ابتسامة وهو ينتبه الى لغة الجسـد التي ابداها العميد لا اراديا و التي عكست كمرآة حجم الزيف الذي كان يتحدث به، كان يتحاشى النظر الى عيون المراسـلين بشكل مباشر، يرتشـف الماء من القنينة البلاستيكية بجواره احيانـا، او يعدل اوراق الملف امامـه احيانا اخرى، و ينظـر الى الزاوية اليمنى العليا ليتظاهـر بالتذكـر، فيما تعني تلك الزاوية اللجوء الى الخيـال لايجاد الاجابة، على عكس الزاوية اليسرى التي تدل على اسـتخدام الذاكرة، والى جانب كل ذلك، التف العميد بالاجابة على الكثير من الاسئلة دون اعطاء جواب شاف.

بعد دقائق، انتهى المؤتمر الصحفي بمغادرة العميد المنصة، وتراجعت صورة الكاميرا عنها الى الوراء عارضة رؤوس الصحفيين من الخلف، بقيت كذلك لبضع ثوان و هي تضج ببدء الصحفيين مغادرة القاعة، فيما لا تزال لوحة الصاروخ واضحة وسط الشاشة، قبل ان يختفي ذلك المنظر بظهور المذيع الشاب مجددا و هو يسترجع ما قاله المتحدث باسم الداخلية في المؤتمر على المشاهدين.

اطفأ الرجل ذو البدلة الانيقة تلفازه بجهاز الريموت كونترول و هو لا يزال يفكر بما يمكن ان يعثر عليه مهدي بعد هذا المؤتمر.

الفصل 33

في منزلـه، كان مهـدي يتابع ردود افعال الـوكالات الاخبارية من علـى التلفزيون و يتنقـل من محطة الى اخرى، لاحـظ ان معظم الوكالات تسـتغرب عقد المؤتمر في القصر الجمهوري بدلا من وزارة الداخلية نفسها، فيما راحت بعض المحطات تعيد مشاهد من المؤتمر الصحفي للتعليق على ما جاء فيه.

فجأة، برق في راس مهدي وهج من قبس ما تابعه في ذلك المؤتمر، شعر بان السماء قد اوحت له بفكرة قد تكون مصـيبة الى حد كبير، نظر الى سـاعته التي كانت تشير الى السادسة و النصف مساءا، حيث مال ميزان الشمس الى المغيب.
نهض مسرعا و تناول جهاز حاسـبه المحمول، فتح صـفحته على موقع التواصل الاجتماعـي (فيسـبوك) وفتح خانة الرسـائل مع مها، لم يرد اسـتخدام الهاتف المحمول لاحتمال التنصـت على مكالمته، ارسـل رسالته الاولى املا في ان تتلقاها هي باسرع ما يمكن.

-"مرحبا مها..".
مرت بضـع ثوان دون تسليم النص، كانت صـورة الشاشة باطارها الازرق تنعكس علـى نظارته الطبيـة و هو يراقب مربع الدردشـة، فجأة، ظهر نص رمادي قصـير اسفل نص رسالته: تم العرض.
احس بقرب مها من الرد عليه، فهو بحاجة اليها في التفكير و مشاطرتها ما يشعر به بعد كل ما مر به خلال يوم حافل، ثوانٍ، و ظهرت نقاط ثلاث رمادية (...).

-"اهلا استاذ".

ابتسم مهدي و هو يداعب حروف لوحة المفاتيح رادا عليها.

-"كيف هي والدتك الان ؟"، كتب لها.

-"بخير، اعطيتها بعض المســكنات و انهيت اعداد حقيبتها للسفر غدا الى تركيا لغرض العلاج،

كيف انت بعد المؤتمر ؟".

-"الحمد لله على سلامتها، المؤتمر، ممم، هذا ما اتصلت بك الان من اجله..".

-"لم ؟ هل اتضح شئ استاذ ؟".

-"لا اعرف ما اذا كان ما انتبهت عليه مقصودا ام هو محض صدفة..".

-"وماهو ؟".

-"الموقع الذي اجري فيه المؤتمر..".

-"القصر الجمهوري ؟".

-"نعم".

-"و ما الذي يمكن ان يكون غريب في ذلك استاذ ؟".

-"مها، اللوحة خلف المنصة".

-"؟؟؟".

-"نعم، هل لاحظتها ؟".

-"لم انتبه جيدا، لكنني اذكر ان الخلفية كانت لوحة ملونة كبيرة".

-"مها، القصد ليس في القصر الجمهوري كموقع، بل باختيار هذه القاعة تحديدا".

-"استاذ، لم افهم شيئا !!".

قالت مها ذلك و هي تنتظر رد مهدي بشكل اوفى، تاخر في كتابة رسالته التالية.

-"لاحظي، اللوحة رســمت في عهد صدام حسين وهي تجسد الصواريخ العراقية التي اطلقتها القوات العراقية على اسرائيل عام 1991 اثناء حرب الخليج".

-"اهاا ؟".

-"لقد اطلقت القوات العراقية 43 صـــاروخا حينها على رشــقات طيلة اثناء ايام الحرب الـ43".

-"نعم ؟".

-"تصدت صـــواريخ باتيريوت الاسرائيلية - امريكية الصنع - لاربع منها و دمرتها قبل بلوغ اهدافها، هذا ما قاله الاعلام العالمي حينها".

تلقت مها الرسالة الاخيرة، و شعرت بغرابة كلام استاذها، تاخرت قليلا في الرد، ثم نقرت على رقمين على لوحة المفاتيح و علامتي تعجب:

-"39!!".

ابتسم مهدي و اجاب:

-"نعم"، ثم اكمل: "عدد الصواريخ التي اصابت اهدافها كان 39 صاروخا !".

ارسلت مها ملصقا مستغربا، تلقاه مهدي بابتسامة.

-"اذا، تلك اشارة جديدة استاذ !".

-"تماما مها، فكري الليلة بما يعنيه ذلك، ســاحاول انا ايضــا ايجــاد ربط بين هذه الاشارات".

-"طيب، لقد صدمتني استاذ".

-"انا مصدوم كذلك، حاولي ايجاد الحل".

-"طيب، اعدك".

-"تصبحين على خير".

-"انت ايضا".

تم عرض المرسل الاخير من مهدي لدى مها، اغلق شاشة حاسبه المحمول و شبك اصابعه خلف راسه متكأً، و هو يغوص في عمق افكاره المتعشقة مع بعضها.
تقع لوحة الصاروخ في قاعة مربعة الابعاد طول ضلعها نحو 30 مترا و ارتفاعها نحو 7 امتار، حيث تحتل اللوحة الزيتية بابعادها المربعة من الاسفل و المقوسة من الاعلى وسط احد جدران القاعة، و يبلغ ارتفاع تلك اللوحة نحو 4 امتار و نصف و عرض قاعدتها نحو متران و نصف، و هي تقابل في الجدار المواجه لها لوحة اخرى بنفس التصميم الهندسي و الابعاد لقبة الصخرة التي تقع في مدينة القدس في فلسطين.
تمتد ارضية المرمر في القاعة بتصاميم هندسية تتوسطها زهرة كبيرة ثمانية التويجات و داخلها زخارف اكثر تعقيدا، و تحتوي القاعة على خمسة بوابات خشبية تتوسطها زخارف ذهبية موزعة بواقع بوابتين على جانبي كل لوحة فيها، وبوابة منفرده في الضلع الثالث من القاعة، فيما تتدلى ثمانية مشاعل انارة من سقف القاعة الذي تتوسطه طية ثمانية الشكل اكثر ارتفاعا من السقف الاولي تحمل زخارف دقيقة باللون البني الممزوج باللون الذهبي، و بدورها، تعلو من وسطها طية اخرى بحزام ازرق مكتوب بداخلها باللون الابيض ايات قرانية بالخط العربي، و تشير تلك الايات جميعها الى عقاب بني اسرائيل و تاريخهم كما ذكر في القران، و فوق كل تلك المدرجات من السقوف الرائعة، تعلو قبة رسمت بداخلها لوحة بانورامية يظهر فيها مسجد قبة الصخرة مجددا محاطاً بخيول ثائرة على خلفية سماوية.

بعد عام 2003، كانت قاعة الصاروخ مسرحا لعقد مؤتمرات هامة كمؤتمر مكافحة الارهاب عام 2014، لكنها لم تكن ذات مرة مقرا لعقد مؤتمر صحفي لوزارة الداخلية العراقية.

في ذلـك المســاء، و بعد انتهاء المؤتمر الصـحفي الخاص بمقتـل الرئيس المختار، كان البروفيسور جرجيس قد استقل توا سيارة خاصة بعثتها اليه المخابرات مع سائق مكلف بنقله من المنطقة الخضراء الى دائرة الطب العدلي في الباب المعظم، تحركت السيارة باتجاه بوابة المنطقة الرئاسية خارجة الى هدفها.

في الوقت نفســه، كان النقيب فاضــل قد انهى تســليم جثة الضــبع الى الطب العدلي و توجه عائدا الى الشعبة الخامسة في الكاظمية، حيث سينال قسطا من الراحة بعد يوم متعب.

اما في الغرفة ذات الجدران الخشبية، فقد غادر الرجل ذو البدلة الانيقة تلك الغرفة، و اتجه الى مقر اقامته القريب.

الفصل 34

الثامنة مساءا بتوقيت بغداد.

مرتديا ملابسه الخاصة بغرفة تشريح الجثث، كان البروفسور سالم جرجيس قد دخل صالة التشريح وقد رافقه اثنان من المشرحين الذين ارسلتهم المخابرات لمساعدته في تشريح جثة المختار والحفاظ على سرية المهمة.
كانت الجثة قد ادخلت الى صالة التشريح مغطاة تماما وقد ارفقت بالرقم 3297 كرمز لها حيث لم يوضع عليها مايشير الى الهوية الحقيقية لصاحبها.
رقم فقط.
بدخوله والمشرحين الى الصالة، اُغلق باب الصالة خلف البروفسور جرجيس ومرافقَيه الذين سيساعدانه في استئصال الاعضاء التي يقرر هو استئصالها واخضاعها للفحوصات المختبرية. كان البروفسور والمشرحين وحدهم امام جثة مغطاة بالكامل عدا قدميها التي تحمل اليمنى منهما الرقم 3297 مربوط باصبع ابهامها.

لم تكن الحكومة العراقية على اي علم بسبب وفاة المختار، كما لم تكن متورطة بذلك، لذا فقد كانت تلك الحكومة امام امتحان صعب امام الراي العام لاثبات السبب الحقيقي لوفاة الرئيس، فيما كان اللواء ماهر عبد الفتاح الرجل الوحيد الذي يعلم بادق تفاصيل ماحدث له، اراد اجراء عملية التشريح كاجراء سليم امام حكومة بلاده الى جانب اقناع الدول والمنظمات المعنية بالقضية بان العراق قد اجرى عملية تشريح شفافة ومقنعة مستعينا بالبروفيسور جرجيس ذو السمعه الدولية العريضة، رغم ان عبد الفتاح كان قد اعد مسبقا التقرير النهائي لسبب الوفاة.

في تلك الليلة، كانت دائرة الطب العدلي تعيش ليلة بوليسية بامتياز، فقد احيط مبنى الدائرة بعدد من نقاط التفتيش مع تواجد امني مكثف. اما في الداخل، فقد زرعت الممرات والمداخل والمخارج برجال الامن والمخابرات بازيائهم المختلفة في ذلك المبنى المراقب اصلا بكاميرات مراقبة دقيقة.

بخطوات بطيئة، كان البروفسور جرجيس قد وصل ليقف امام جثة قضيته الكبرى، نظر الى المشرحين على يمينه ثم مد يده نحو الغطاء الذي يكسو الجثة، امسكه من طرفه وابعده عن وجهها.
الرئيس محمد المختار.

كانت عينا الجثة لاتزالان مفتوحتين وهما تنظران الى الامام، فيما كان وهج موشور الانارة المواجه للجثة من الاعلى يشع بنوره الساطع على تفاصيل وجهها. نظر جرجيس بتمعن الى عيني الجثة، كانت حدقتاها متسعتين بشكل واضح، من منظرهما، بدا لغز وفاة الرئيس يجمع اول اجزاءه في راس البروفيسور، فجرجيس صاحب الخبرة العريقة في عمله بامكانه التعرف على السبب الاولي للوفاة من المنظر العام للجثث التي يشرحها. ازاح الغطاء عن صدر الجثة بسحبة من يده، و بدا يجول بنظره على مساماتها.

مد البروفيسور يده نحو الجثة وامسك ذراعها، بدأ يحاول تحريكها بحذر، احس بتخشبها، حركها بشكل اقوى فشعر بمقاومتها لتحريكه اياها، كانت متخشبة جدا.

كانت الجثة قد اصـيبت بحالة تعرف"بحالة الصـمل". وهي تخشب الجثة بفعل تناولها الغازات الســامة. حيث يبدي هكذا نوع من الجثث مقاومة للحركة وفيما لو تم تحريك اطرافها بشــكل اكــثر عنفا فمن الممكن ان تنكسـر الاطراف وتتفتت المفاصل.

بينما هو يعيد الذراع الى مكانها. كان لغز قتل المختار لايزال يواصــل جمع اجزاءه براس البروفســور. وضــع جرجيس في راســه الســبب الاول للوفاة كسر بينه و بين نفسه. واكمل عملية الكشف للتاكد من ذلك السبب بشكل ادق.
سـحب طرف قفازه الطبي حول معصمه واشــار للمشرحين بالاستعداد لعملية فتح الجثة.
-"اريد عينة من الدم. ثم ان يتم استئصــال المعدة. الكبد. الكلية. القلب. الدماغ والرئة".

لم يكن باســتطاعة احد من العاملين في دائــرة الطب العدلي والمحللين المختبريين التعــرف علــى صــاحب الجثــة التــي سترســل اليهــم احشــائها مــن المشرحة. فســيتعاملون مع الرقم 3297 بمجهولية تامة. ســيجرون التحاليل والفحوصات ويبعثون النتائج الى البروفســور دون علمهم بانهم يقومون بفحص احشاء رئيس جمهوريتهم الســابق. الى جانب ان دائرة الطب العدلي اطلقت عدة ارقام مختلفة على احشــاء الجثث الخاضــعة للتشريح في الدائرة تلك الليلة والتي سيتم فحص عيناتها للتمويه على الرقم الذي تحمله جثة الرئيس.

ما ان اتم المشرّحان اســتعداداتهما، حتى بدآ بفتح صدر الجثة، تسربت قطرات الدم التي خلفها مســير المشرط على صدرها. وضــع البروفسور جرجيس اصابعه على تلــك القطــرات من الدم، مزجهــا بينها ثم قربهــا من انفه، احس بقــرب اكتمال تشكيله اللغز في راسه، فقد نفذت رائحة اشبه ماتكون برائحة اللوز المر الى انفه بشــكل واضح، هز راسه معلنا لنفســه معرفة سبب الوفاة بشكل شبه نهائي، لكنه لم ينطق بكلمة الى المشرحين الذي انهمك احدهما بفتح الجثة.

....

في تلك الاثناء وفي مقر اقامته القريب، كان الرجل ذو البدلة الانيقة يقلب صفحات كتاب يعتز به جدا لمعرفته بان الرئيس المختار كان يعتبره كتابه المفضل، فتحه على احدى صفحاته التي طوى زاويتها مسبقا، نظر الى النص وسطها، كان يتكون من اربعة اسطر قصيرة رصفت فوق بعضها كنص شعري وسط الصفحة، كان ذلك النص محاط بدائرة من الحبر الاحمر كتاشــيره، قراه صــاحب البدلة الانيقة للمرة المئــة منــذ ان احاطه بتلك الدائرة الحمراء، انهى قراءته ووضــع قلما في صــفحته وطوى الكتاب ووضــعه على منضــدة كانت قبالته، ثم تناول هاتفه المحمول وبدا يجري اتصالا مع احدهم.

....

بعد ســاعة من بدئها، كانت عملية تشريح جثة الرئيس محمد المختار قد اكتمل منها فصل استخراج الاحشاء التي امر البروفسور سالم جرجيس باستخراجها الى جانب بعض العينات الاخرى لغرض البدء بارسالها الى مختبرات التحليل والفحص المختبري مرفقة بالرقم 3297، سيعمل موظفو التحليلات المتخصصون لساعات متواصــلة لغرض التوصل الى اسباب الوفاة، حيث ستعاد الى البروفسور جرجيس تلك النتائج لوضع تقرير نهائي عن الاسباب التي ادت الى وفاة صاحب الجثة 3297.

فيما سيخرج البروفيسور بتقرير عن وفاة الرئيس المختار لايتطابق تماما مع نتائج فحص احشاء الجثة الحاملة لذلك الرقم، بل مع ارادة اللواء ماهر عبد الفتاح.

في تلك الاثناء كان اللواء ماهر على اتصال دائم بمدير عام دائرة الطب العدلي ليعلمه بوضع البروفسور جرجيس ومدى المحافظة على سرية مايقوم به، ابلغه المدير بان مرحلة التشريح واستخراج الاحشاء والعينات المطلوبة قد انتهت وسيتم ارسال تلك المخرجات الى مختبرات التحليل بشكل مموه، فيما سيقضي البروفسور جرجيس ليلته في مبنى الدائرة تحت رقابة مشددة.

الفصل 35

السابعة صباحا بتوقيت بغداد.

كان ذلك اليوم هو احد ايام العطلة الربيعية في التقويم الدراسي في العراق، ما سمح لمهدي و طالبته بالبقاء كباقي الاساتذة و الطلبة في عموم البلاد دون ارتباط بدوام رسمي، الى جانب ذلك، فقد كانت بغداد تشهد خفةً نسبية في حركة المرور لعدم وجود حركة للطلبة المقدرة اعدادهم بمئات الالاف في العاصمة.

فتح مهدي عينيه على فراشه هادئا، لم يحرك ساكنا، كان مستلقيا على ظهره و هو ينظر الى السقف، لم يشا النهوض من فراشه، احس بمرارة فمه بعد عشرات السكائر التي دخنها يوم امس، غارقا في صمتٍ لزج، بدا يسترجع الكابوس الذي راى فيه الرئيس يفتح عينيه من موته..
سينهار كل شئ..

رغم ذلك، كان يشعر بصفاء ذهنه العميق و قابليته على التفكير اكثر من اي وقتٍ مضى، بدا يسترجع افكاره المتناثرة حول محور اسمه الرقم 39، حلق فوق افكاره المتشتتة كغيوم متناثرة وسط سماء عراقية زرقاء ربيعية، كان يستمع الى نقرات العصافير على زجاج نافذته المظلل الذي يعكس الاشياء في الخارج كالمرايا، اعتاد على الاستيقاظ على تلك النقرات صباحا، مستغلا سذاجة تلك العصافير التي تنقر الزجاج عندما ترى انعكاس صورتها فيه. مر امامه شريط الفيديو الذي وصله على شكل رصاصة في ظرف، تذكر كل شئ..
النقيب فاضل، البخاخ، عاشق المختار، الشعبة الخامسة...

صفى ذهنه مجددا و تلاشت تلك الصور من امامه كغبار على خشب عصفت به الريح فجاة. التفت الى يساره زافرا. لفت نظره ضوء متقطع ازرق يصدر من نقاله. نهض من سريره فورا و امســك جهازه و تناول نظارته الطبية. وضعها و فتح قفل الجهاز.

رسالة جديدة.

كان مهــدي يتمنـــى لو انها ارســلت من مهــا. و انها ســتبشره بعثورها على ربط لحلقات اللغز ليتصل بها و يستمع لبشراها تلك. كان حقا يتمنى ذلك.

مصارعا خوفه من جهة و فضوله من اخرى. فتح تطبيق الرسائل.

كان نقاله قد تسلم رسالة من مرسل غريب.

بلا رقم.

لمس باصبعه الرسالة. فيما راح قلبه يخفق باطراد مجددا. فتحها..

كانت من اربعة اســطر قصيرة مرصــوفة فوق بعضها كنص شعري و متوسطة الشاشة. تقافزت حدقتا مهدي على الكلمات.. فالسطور..

في الليل. سيخنق اخر واحدٍ في فراشه..

لانه انهمك كثيرا بالوريث المنتخب الاشقر..

تستعبد الامبراطورية. و يقوم مقامها ثلاثة رجال..

يعدم. دون ان تقرأ له وصية او رسالة..

تســمر مهدي في مكانه. و هو يشعر بان افكاره انفجرت بشكل مخروطي انطلاقا من هذه الرسالة كانفجار الكون الكبير.

في الليل.. سيخنق اخر واحد في فراشه..

بشـــكل خاطف. مرت امامه صـــورة المختار ميتا على سريـــره. الرقم 39 على جدار الزنزانة.. تناهت الى ســـمعه اصوات اجهزة الارســـال التي كان يحملها افراد الامن و الادلة الجنائية عند باب الزنزانة في تلك الليلة. و اســـترجع صـــوت طقطقة حذاءه على ارض الرواق الخرسانية الصماء في الشعبة الخامسة...

سيخنق.. اخر واحد.. سينهار كل شئ.. مهدي !

يعدم.. دون ان تقرأ له وصية..

او رسالة !

تشـــوش العالم بنظره. دُمر صـــفاء ذهنه الذي شـــعر به قبل قليل مســـتحيلا الى شـــظايا متطايرة. كانت هذه الرسالة قد فجرت افكارة كما تفجر قذيفة طائشة جدارا من فلين.

الوريث المنتخب الاشقر..

ثلاثة رجال..

اغمض عينيه. و انهار جالسا على سريره.

....

في تلك الاثناء. كان الرجل ذو البدلة الانيقة قد دخل غرفتـــــه ذات الجدران الخشبية للتو مبتدءا يومه الجديد.

بماذا يمكن ان يفكر المحامي مهدي العلي الان ؟!

....

ذلك الصـــباح. كانت احشاء الجثة 3297 قد توزعت على مختبرات التحليل المخبري في دائرة الطب العدلي. بينما كان البروفيســـور ســـالم جرجيس مرغما على اكمال المهمة دون مغادرة مبنى الدائرة.



الفصل 36

في الليل، سيخنق اخر واحد في فراشه...

اعـاد مهـدي قـراءة ذلك النص نحـو عشر مرات، نص وصـل من مجهـول يتقارب بكلماته مع ما حدث للرئيس المختار.
محاولا فك شفرته، قرا مهدي الكلمات الى النهاية..

الوريث المنتخب الاشقر..
تستعبد الامبراطورية..
ثلاثة رجال..

كانت دهاليز افكاره جميعها مظلمة وتنتهي بجدار اصم من التساؤلات.

ذلك الصـباح، كانت مها على موعد مع طائرة الخطوط الجوية العراقية، فوالدتها التي حصـلت على بعثة طبية تتحمل تكلفتها وزارة الصـحة اصـبحت جاهزة للسـفر الى تركيـا لاجراء عمليـة تبديل لمفصـل كتفها المصـاب بالتنخر، فيما سـتكون بنت خالتها مع والدتها في رحلتها العلاجية تلك، وستبقى هي في بغداد لانشغالها ببحثها الخاص بتخرجها.
بعد سـاعة ونصـف سـتكون والدتها قد اسـتقلت طائرتها متجهـة الى مطار اتاتورك الدولي فيما عادت هي نحو منزلها بسيارتها الصغيرة.

اضــفت غرابة النص الذي اســتلمه مهدي غموضا اكبر في راسه، فلغته الكتابية كانت غريبة وغامضة كغموض قلاع القرون الوسطى، كما لم تبدُ كشعر مقفى او نص مسموع سابقا.

يعدم، دون ان تقرا له وصية او رسالة..

وكمــا كان في النص ذاك، فلم يســتلم مهــدي من المخابــرات وكمحامي للرئيس المتوفي اية رسائل او موجودات من تركة المختار بعد وفاته، ولم يبلغ باي شي عنه. فاض فضــوله عما يمكن ان يكون المختار قد تركه لمحاميه وامتنعت المخابرات عن تسليمه اياه، بدا يفكر في الظهور اعلاميا كمحام للرئيس ليدلي بدلوه امام وسائل الاعــلام، لكنــه كان يعلم بان المخابرات تطبق عليه مــن كل الجهات وان اية حركة غير محســوبة قد تســبب له كارثة، حتى انه لم يرد على اتصــالات رفاقه و زملائه منذ علمه بوفاة الرئيس، ففضــول الاصدقاء والزملاء للتحدث الى مهدي عن وفاة المختار دفعهم الى الاستفســار منه شخصــيا عما حدث له، و لم يحصــلوا على اجابة على اتصالاتهم.

في الوقت نفســه، شــعر مهدي بنداء ضــميره الذي يســمعه كلمــا تذكر حلمه بالرئيس المختار وهو يصرخ:

سينهار كل شئ...

وكانه يطلب منه التحرك لانقاذ شئ ما سينهار ولايمكن لغيره ان يمنع انهياره، رغم انه لايملك ادنى فكرة عن ماهية ذلك الشئ، فضــلا عن عدم فهمه لعبارة المختار الغامضة في ذلك الطيف، فقد اضاف نص رسالة هذا الصباح غموضا اكبر على كل ماجرى له من احداث تاركا اياه يخوض وسط زوبعة من الافكار المتلاطمة.

فكــر بالاتصــال بزميل لــه في الجامعة ليشركــه في دوامة الافكار التــي وقع فيها واوقع بها مها ايضــا، لكن خشيته من ان تسوء الامور اكثر منعه من الاتصال باي شــخص حتى من المقربين، لم يكن له ســوى ان يعاود الاتصال بمها، هي الشخص الذي ســيحافظ على اسراره عميقا، تناول هاتفه المحمول وبدا يجري اتصاله بها، رن هاتفها وهي في الطريق نحو منزلها..

-"الو"..

-"صباح الخير مها، ارجو ان تكوني بخير"..

-"صباح النور اســتاذ، نعم لقد اوصلت والدتي الى المطار وهي بانتظار الرحلة الى تركيا الان"..

-"اها طيب".. لم يرد فتح الموضــوع على الهاتــف، واكمل.."هل بامكاننا ان نلتقي ؟"..

-"اها طبعا استاذ، في اي مكان تحب ؟"..

-"حســنٌ، ســنلتقي في شارع فلســطين عند ســاحة بيروت وعندها ســنقرر اين سنجلس"..

-"موافقة استاذ، ساكون هناك بعد 15 دقيقة"..

-"حسنا شكرا، الى اللقاء"..

اغلق مهدي هاتفه وبدا يحضر نفســه للقاء مها لمناقشــتها بموضــوع الرســالة الاخيرة.

في الغرفة ذات الجدران الخشبية، كان الرجل ذو البدلة الانيقة يقلب صفحات الانترنت ليتابع ردود افعال الوكالات على المؤتمر الصحفي الخاص بوزارة الداخلية الذي بثه التلفزيون العراقي مساء الامس، فقد تصدرت قضية مقتل الرئيس المختار الصفحات الاولى من العديد من الصحف المحلية والدولية، فيما كانت مواقع الانترنت مشغولة هي الاخرى بمناقشة القضية وتناقلها.

شعر بالضجر وهو يتابع الاخبار الالكترونية..

جميعها متشابهة..

اغلق شاشة حاسبه المحمول واخذ رشفة من فنجان قهوته.

....

في ساحة بيروت، كان مهدي العلي واقفا على الرصيف المقابل للجسر العابر فوق الساحة، تماما على الموعد، بعد دقائق، رصفت مها سيارتها امامه وطلبت منه الصعود، صعد وقد شعر بدفء الجو داخل السيارة، و دخل الى اعماق رئتيه العطر الجذاب لمها من ماركة "نينا ريتشي"..

-"صباح الخير"..

-"صباح النور استاذ، اين سنجلس ؟"..

-"قودي فحسب".

قريبا من الساحة ذاتها، طلب مهدي منها ان توقف سيارتها في احد مواقف السيارات، ترجلا متجهين الى مقهى قريب فتح حديثا، دخلا اليه وجلسا على طاولة معزولة، كان تصميم المقهى اشبه بالمقاهي البغدادية القديمة، فمقاعد الخشب واغاني الخمسينيات و الصور الابيض و الاسود التي تغطي الجدران هي ايقونة ذلك المكان الذي بدا شبه خال من الزبائن لكون الوقت مبكر لاستقبالهم.

جلسا متقابلين عند تلك الطاولة..

-"مها هل فكرتِ بالرمز ؟".
-"نعم استاذ طويلا، لسوء الحظ لم اجد ما يربط كل تلك الرموز !".
"ممم، طيب.. لقد طلبت منك ان نلتقي لاني تلقيت رسالة غريبة هذا الصباح من مستلم اسمه بلا رقم !".
نظرت له مها باستغراب و فضول في آن.
اخرج نقاله من جيبه و فتح الرسالة التي تسلمها مؤخرا، و اعطى الجهاز لها.
بدات عيناها تتقافزان على الكلمات.. فالسطور..

في الليل، سيخنق اخر واحدٍ في فراشه..
لانه انهمك كثيرا بالوريث المنتخب الاشقر..
تستعبد الامبراطورية، و يقوم مقامها ثلاثة رجال..
يعدم، دون ان تقرأ له وصية او رسالة..

قطبت حاجبيها و هي تقرا، قراته مرتين..
-"استاذ، يبدو هذا مالوفا !".
-"ماذا تقصدين ؟"..
-"لا ادري، لكنني سبق و ان قرات شيئا مشابها، اعني شيئا بهذه الطريقة في الكتابة".
-"مثل ماذا ؟".
-"لحظة من فضلك..".
اخرجت نقالها الذكي، فتحت الاتصال بخدمة الانترنت في المقهى وادخلت الكلمات الاولى من نص الرسالة في مستطيل محرك البحث.
بحث عن:
في الليل سيخنق اخر واحد في فراشه.

ظهرت دائرة البحث طالبة الانتظار، ثم نتائج البحث..
-"ماذا هناك ؟"، قال مهدي.
-"كما توقعت !"، ادارت مها شاشة النقال وقدمته امام استاذها..

نتائج البحث: كتاب القرون... نوستراداموس... يورك الجديدة ... نبؤات نوستراداموس... صخرتان عظيمتان.. دخان في مركز العالم..

شعر مهدي بالذهول لما يقرا، و بدا يرفع شريط الصفحة ويقرا المزيد.
قالت مها: "استاذ، عندما قرات النص ذكرني اسلوبه بشئ قراته قبل فترة، وبالفعل، فقد قرات منذ زمن ليس ببعيد بعضا من نبوءات نوستراداموس على الانترنت و التي تذكرتها حالما قرات هذه الرسالة".
ركز مهدي نظره في المحمول، اختار الخيار الاول من مخرجات محرك البحث حيث توجد كلمات من النص الذي بحثت عنه مها باللون الرمادي، فتح صفحة الويب، كانت صفحة لموقع عربي نقل الرباعيات الخاصة بكتاب القرون مع تفسير النبوءات، بدا يبحث في مئات النصوص عن النص الذي اراد البحث عنه.
نهضت مها وجلست الى جانبه تتابع معه بحثه.

كانت الرباعيات مرقمة نفس الترقيم الذي كان عليه كتاب القرون الذي كتبه نوستراموداس متنبئاً باحداث العالم القادمة، وتحت كل رباعية، كان يوجد تفسير للنبوءة التي تحملها او تاكيد عن تحقق تلك النبوءة والحدث الذي يعتقد ان تلك النبوءة تقصدها رغم كتابتها قبل حدوثها بمئات السنين.

مرر مهدي الصفحة الى الاسفل مارا بجميع نصوص نبؤات المئوية الاولى.
فكتاب النبوءات الذي طبع عام 1568 يتكون من اربعمئة نبوءة مقسمة على اربع

مئات حيث تتسلسل المئوية الاولى برباعيات تبدا بالرقم 1 وتنتهي بالرقم 100 ثم المئوية الثانية بنفس التسلسل وهكذا، قيل ان نحو 80% من تلك النبوءات كانت قد تحققت حتى الوقت الحالي فيما بقي نحو 20% منها غامضا.

انهى مهدي صفحة المئوية الاولى من المئويات الاربع دون العثور على النص المطلوب، و بدا باستعراض المئوية الثانية وهو يبحث عن تفسير النبوءة التي وصله نصها صباح اليوم من مرسل مجهول.

النبؤة العاشرة...

تابوت يوضع في مدفنٍ حديدي تحت الارض...

حيث سيحتفظ بابناء الملك السبعة.....

مرر مهدي الى النصوص التالية..

النبوءة الثانية و العشرون..

شيء يوجد دون حواس..

سيتسبب في وقوع نهايته الخاصة به بوسيلة ما....

مرر اكثر باحثا عن نص الرسالة التي وصلته.. فقد تحل اللغز!

النبؤة السابعة و الثلاثون..

قبل الغروب بوقتٍ قصير..

يشتبك الفرقاء في معركة، امة عظيمة في حيرة..

و لما غلبت، لا يجيب الميناء البحري..

الجسر و القبر كلاهما في اماكن غريبة..

ليس هذا مايبحث عنه ايضا، مرر الى النبؤة التالية، ولم تكن ايضا ما يريد. مرر مرة اخرى، و ظهر امامه النص:

في الليل سيخنق اخر واحد في فراشه..

لانه انهمك كثيرا بالوريث المنتخب الاشقر..

تستعبد الامبراطورية، و يقوم مقامها ثلاثة رجال..

يعدم، دون ان تقرأ له وصية او رسالة..

صدم مهدي ومها لرقم تسلسل النبوءة...

الرقم 39 يظهر ثانية..

من كتاب *القرون* هذه المرة.

الفصل 37

في ذلك الصباح، كان البروفسور سالم جرجيس لايزال في دائرة الطب العدلي تحت رقابة مشددة، احس بذلك كاقامة جبرية، لن يستطيع التحرك قبل ظهور نتائج الفحوصات المختبرية، ستاخذ عملية الفحص والتحليل لاحشاء الرئيس المختار نحو 72 ساعة من استئصالها على الاقل، هذا ان عملت المختبرات باقصى مالديها من جهد للخروج بنتيجة التحاليل وتسليمه اياها، لم تتوقف اتصالات اللواء ماهر عبد الفتاح لمدير الدائرة منذ الليلة الماضية، فهو مستمر بمتابعة مجريات عمل الطب العدلي فيما يخص عملية تشريح جثة الرئيس المختار، وطبعا للاطمئنان على مجريات عمل البروفيسور.

كان مهدي يشعر بصدمة شديدة بعد ان اكتشف ان النبوءة التي تسلمها هاتفه المحمول هذا الصباح هي النبوءة رقم 39 من المئوية الثانية لكتاب نوستراداموس. "استاذ، لنقرا تفسير النبوءة قد يقودنا ذلك الى شئ ما"، قالت مها.

وافقها مهدي في رايها، وبدا يقرا تفسير النبوءة مما تحقق من حدث تاريخي ويعتقد ان نوستراداموس كان يقصد ذلك الحدث بنبوءته التاسعة والثلاثين تلك..
النبوءة 39 – التفسير:

"وفاة لويس بوربون كونديه 1830:
وجد اخر رجل من ال كونديه وهو لويس، مخنوقا في احدى الليالي من عام 1830، لكن ليس في فراشه، و انما متدليا من سقف غرفة النوم الخاصة به، من المحتمل انه تعرض للقتل بسبب الدعم الذي ابداه في قضية دوق بورودو، الكونت دي شامبور، الذي يصفه نوستراداموس بحق بانه منتخب، لانه كان حفيد شارل العاشر و وريثه

على العرش الفرنسي، اما الثلاثة الذين اغتصبوا السلطة فيمكن تفسيرهم اما بانهم الانظمة الثلاثة التي تلت شارل العاشر، و لويس فليب و الجمهورية، و بعد ذلك ال بونابرت، او يمكن ان يشير البيت بدقة اكبر الى الرجال الثلاثة الذين حاكوا الدسائس ضد اسرة كونديه و شارل العاشر و دوق انغوليم و دوق بورغونييه. يقول لوبيليتييه ان كونييه كان اشقر الشعر و كان قد كتب وصية لصالح دوق بوردو، و يقال ان هذه الوصية استبدلت بها وصية اسبق منها كتبت لصالح دوق اومال، ابن لويس فيليب الذي اصبح ملكا عام 1830".

انهى مهدي قراءة النص بصوته، بدا كانه لا يجد ربطا بينه و بين الاحداث الجارية، كذلك قالت عيني مها التي كانت منصتة له تماما.

-"لم اتوصل الى شيء له علاقه بما يجري"، قال مهدي.

-"ولا انا استاذ، اعتقد ان اللغز ليس في التفسير، بل في الرقم !".

-"تبا لذلك ! انها لعبة حقيرة !"، قال هو.

-"استاذ، عد الى النبوءة نفسها لعل فيها ما يفسر اختيارها من قبل المرسل".

رد مهدي: "حسنا، لنبدا بالتفكير فيها شطرا شطرا".

قرا مهدي الشطر الاول من النص..

في الليل سيخنق اخر واحد في فراشه..

نظر الى مها التي قالت: "الامر واضح استاذ، فالرئيس قتل خنقا كما شاهدنا في الشريط الرصاصة".

رد مهدي: "تماما".

اكمل القراءة..

لانه انهمك كثيرا بالوريث المنتخب الاشقر..

-"مم، استاذ هل حدثك الرئيس عن وريث ما له في الحكم مثلا ؟".

رد مهدي قائلا: "ابدا مها، النظام الجمهوري في البلاد لايورث الحكم كما تعلمين، ثم ان المختار لم يكن متزوجا حتى وفاته، الامر لايرمز لوراثة الحكم، هناك شئ مقصود اخر لا ادري ماهو".

-"قد يكون شخصا مقربا اعده المختار لوراثة الحكم منه ؟"، قالت مها.

-"لا، لا اعتقد".

-"حسنا، لننتقل الى العبارة التالية ونرى"، قال مهدي.. و اكمل: "المنتخب الاشقر".

ردت مها و هي تفكر بعمق: "ممم، الاشقر !".

-"نعم لست اعرف ان كان ذلك يشير الى شيء ما او ان النص اختير ليرسل لي لان المفتاح يقع في عبارة اخرى منه"، قال مهدي.

-"هل من شيء اخر ممكن ان تشير له كلمة الاشقر ؟".

فكر مهدي وهو يغوص في عمق افكاره بحث في دهاليزها، ثم عاد طافيا الى سطحها مجددا، كل ما وجده في ذهنه مرة اخرى...

فراغ تام.

-"ليست لدي ادنى فكرة"، قال و هو يمسح عينيه من تحت نظارته.

-"طيب، وما العبارة التالية ؟"، قالت مها.

اكمل مهدي: "تستعبد الامبراطورية، ويقوم مقامها ثلاثة رجال".

كانت مها تشعر بالضياع هي الاخرى وهي تستمع لتلك الكلمات، هل ارسلت الرسالة لتشير فقط الى الرقم 39 مجددا ام ان فيها معنى اخر؟، يجب ان تعني شيئا، فالشطر الاول منها يحمل تفاصيل موت الرئيس خنقا وهذا مايؤكد وجود معنى في باقي اشطر النبوءة.

-"استاذ اية امبراطورية من الممكن ان تستعبد ؟، الم تقل لي بان الرئيس كان يسمي العراق (بلاد الشمس) ؟ العراق كان امبراطوريات متعاقبة فيما سبق من الاشورية والبابلية وصولا الى العباسية حيث كانت بغداد عاصمة اكبر الامبراطوريات انذاك، ما رايك ؟".

رد هو: "لا اعلم مها، ثم من سيستعبدها مثلا ؟".

-"هذا هو السؤال !".

استطرد مهدي: "ومن هم الرجال الثلاثة؟ الحكم الجديد في العراق لايسمح للاشخاص كافراد بالحكم في البلاد كما كان سابقا، النظام برلماني منذ عام 2003".

ردت مها و هي تتكئ على كرسيها الخشبي: "توقف عن التفكير هكذا استاذ ! دعنا نشرب شيئا الان".

اغلق مهدي شاشة نقاله و نزع نظارته: "ساشرب فنجان قهوة، ماذا عنكِ ؟".

"كما انت استاذ !".

طلب مهدي النادل وهو يجول بافكاره في مجموعة الالغاز المحيرة التي اربكت تفكيره منذ ليلتين.

....

في الجانب الاخر من العالم، كانت حركة غريبة تحدث في اسواق البورصة وحركة العملات، الاعلام الاقتصادي يضج بتقاريره حول هبوط مطرد باسعار معظم اسواق الاسهم واقبال متزايد من العملاء على المصارف لسحب اموالهم وودائعهم، وحديث عن بعض المشاكل الاقتصادية، فيما بدات بعض المصارف الامريكية تعاني من حالة اعسار مصرفي، وهي حالة تحدث عندما يكون حجم المطلوبات للزبائن اكبر من حجم الموجودات.

تلك هي الخطوة الاولى لتلك المصارف نحو *الافلاس*.

الفصل 38

عاد مهدي الى منزله في حي زيونة بعد ان انهى لقائه مع مها حيث استقل سيارة اجرة الى المنزل، فيما عادت هي الاخرى الى منزلها عندما بدات السماء تصب وابل امطارها على بغداد.

شعر مهدي بان الامر يزداد جدية مع كل اشارة يوحى اليه بها، وان عليه ان يجد ربطا حقيقيا لكل تلك الاشارات يوصله الى ما يجب ان يعرفه بالضبط. عاد يسترجع العلامات في ذهنه.. الرقم على جدار الزنزانة.. رقم الاية المكررة على شريط المحاكمة.. لوحة الصواريخ وعدد الصواريخ التي تحملها.. نبوءة نوستراموداس التاسعة والثلاثين..

اشعل سيكارة وهو يعيد فتح صندوق الرسائل في هاتفه المحمول وقراءة الرسالة النبوءة.

كان مما زاد في استغرابه ان يكون بعض نص النبوءة مشابها للاحداث التي واجهته تماما وحاملا الرقم المطلوب في الحين ذاته.

يجب لهذا اللغز ان يحل.

وضع نقاله جانبا لياخذ قسطا من الهروب عما هو فيه، امسك جهاز الريموت كونترول وشغل التلفاز فيما راح دخان سيكارته يملا المكان.

بينما هو يقلب محطات التلفاز، لفت نظره شريط احمر اسفل احدى القنوات، كان خبرا عاجلا بخصوص الازمات المالية التي بدات تحصل في عدد من البلدان، لم يهتم لذلك الخبر، فاختصاصه كقانوني لايفرض عليه متابعة اسواق المال والعملة، كما انه غير مهتم بذلك اساسا، فرغم ان والده كان خبيرا اقتصاديا ومستشارا للرئيس في الشأن الاقتصادي، الا انه لم يكن يعر الاقتصاد اي اهتمام يذكر.

ضغط على جهاز التحكم مجددا، تحول بين عدد من القنوات، استوقفه خبر عاجل اخر..

ارتفاع مطرد في اسعار الذهب العالمية بفعل زيادة الطلب.

كان ذلك الخبر العاجل يعرض اسفل شاشة تعرض صورا لعملية طباعة عملة امريكية من فئة 100 دولار كصور مرافقة لتقرير اقتصادي صوتي. رغم عدم اهتمامه بشؤؤن الاقتصاد، الا ان مهدي شعر بان اخبار المال هذا اليوم تحتل مساحة زمنية اكثر من المعتاد على شاشات القنوات المختلفة، دفعه فضوله الى رفع صوت التلفاز والاستماع الى بعض تلك التقارير.

في ذلك الحين، كانت المشكلة الاقتصادية قد بدات بالاستفحال اكثر في بعض الدول الراسمالية. من المؤكد ان تلقي بظلالها على اقتصاد دول اخرى، فالدولار الامريكي مثلا شديد الارتباط باقتصاد معظم الدول، وان اية مشكلة تواجهه ستواجه اقتصاد تلك الدول لامحالة، سيما وان اعمال التجارة التي تتم على مستوى بلدان وشركات عملاقة تتم فيها عمليات التحويل المالي بالدولار الامريكي واليورو الاوربي بشكل رئيسي، ثم تاتي العملات الاخرى كالجنيه الاسترليني والين الياباني تباعا.

بدوره، كان الرجل ذو البدلة الانيقة قد بدا يتابع من غرفته ذات الجدران الخشبية تلك الاخبار باهتمام بالغ، تنقل بين المحطات التلفزيونية ليستمع الى اخر مستجداتها، فيما كان حاسبه المحمول هو الاخر يعرض من على متصفحه عدة نوافذ لمواقع اقتصادية تهتم باسعار صرف العملات واحوال الاسواق.

عاد للتساؤل: بم يمكن ان يفكر مهدي الان ؟

في تلك الاثناء، كان قد مضى على مهدي نحو ساعة وهو يتابع اخبارا اقتصادية بهذا الاهتمام للمرة الاولى في حياته، انتبه الى الاخبار المتلاحقة عن الارتفاع المطرد لاسعار الذهب والبلاتين في الاسواق العالمية رغم الفوارق الطفيفة بين القراءات السابقة والتالية لتلك الاسعار، في الوقت الذي تشير فيه المؤشرات على شريط الشاشة الى تذبذب واضح في اسعار صرف العملات العالمية الرئيسية.

لم يفهم مهدي مايجري من جلبة اعلامية، وعلى سبيل الفضول، تناول هاتفه المحمول واجرى اتصالا هاتفيا مع احد زملاءه الاساتذة في الجامعة، كان الدكتور حسام محمد صالح استاذا في علم الاقتصاد بكلية الادارة والاقتصاد في جامعة بغداد وتربطه بمهدي علاقة زمالة وصداقة منذ زمن ليس ببعيد، اراد مهدي ان يفهم مايجري على شاشات التلفاز مستعينا بزميله ذاك، رن الهاتف المحمول لدى الدكتور حسام.
المحامي مهدي العلي.

-"السلام عليكم دكتور"، قال مهدي.
-"اه اهلا استاذ مهدي، كيف حالك ؟".
-"الحمد لله دكتور، لم نلتق منذ فترة..".
-"صحيح، اخبرني استاذ مهدي، اين انت بعد اخبار وفاة الرئيس ؟".
شعر مهدي بالحرج من سؤال الدكتور حسام، لم يرد الحديث بذلك على الهاتف.
-"موجود وبخير، اخبرني عنك".
-"انا الحمد لله، استاذ مهدي اريد ان افهم المزيد حول وفاة المختار، حدثني عن ذلك".

-"نعم دكتور، توفي الرئيس والتحقيق جار، سيطول هذا الحديث، دعه لوقت لاحق".
-"كما تحب، لكني ساطيل عليك النقاش حين نلتقي، لست مصدقا لما عرضته الداخلية بخصوص وفاته بشكل طبيعي كنتيجة لتحقيق اولي لكنني.."..
-"دكتور ارجوك !"، قال مهدي بنوع من الغضب، "ساشرح لك ذلك لاحقا"، اكمل: "اردت سؤالك عن امر جديد بحكم تخصصك الاقتصادي".
رد الدكتور حسام: "اه طبعا، من المؤكد انك ستسال عن الاخبار الاقتصادية الاخيرة"، قال ذلك مازحا.
-"نعم، كيف عرفت ذلك ؟".
-"لانك الشخص الثالث الذي يتصل بي حتى الساعة من زملائنا الاساتذة يسال حول الامر !".
-"بالطبع، فالامر مثير للفضول دكتور، اخبرني ماذا يجري الان في الساحة الاقتصادية ؟، انا قانوني وتخصصي و اطلاعي لايسمح لي بفهم مايجري".
رد الدكتور مهدي: "لاتقلق استاذ مهدي، مايجري هو بداية ازمة مالية قد تحل قريبا، حدث هذا قبل سنوات واستطاع العالم تجاوزه، لكن كن متيقنا انه حدث عابر، ثم اننا بعيدون كل البعد عن مايجري، اقتصادنا لن يتاثر".
اجاب مهدي: "لكن هل لك ان توضح لي اكثر ما الذي يجري دكتور ؟".
-"استاذ مهدي، عندما تصاب بعض الدول والشركات بازمة مالية غالبا ماتكون مفتعلة، يهرع زبائن البنوك لسحب ودائعهم وتامينها في مكان اخر غير المصارف، ستصاب تلك المصارف بقلة في احتياطها المالي وتطلب قروضا من جهات اخرى، ستتذبذب العملة بين ارتفاع لكثرة الطلب وانخفاض لقلة الثقة بها وسيتوجه الناس لضمان قيمة مالديهم نحو شراء الذهب فهو الوحيد القادر على المحافظة على قيمته، ولكثرة الطلب عليه سيؤدي ذلك الى ارتفاع سعره".

بدا ان الامور تتضح لمهدي اكثر.. اجاب:

"اها، لقد اتضحت الصورة الان رغم انني لا اعلم كيف بدات هذه الازمة".
رد الدكتور حسام ضاحكا: "اوه استاذ مهدي، كل ما استطيع ان انصحك به هو ان كنت تعيش في تلك البلدان فاشتري ذهبا باموالك الان !".
-"حسنا"، رد مهدي، "عندما اكون هناك سافعل !".
-"نعم استاذ، الذهب، الطبيعة الام ياصديقي !".
-"طيب دكتور، ممتن لك على معلوماتك المهمة جدا، اعدك بلقاء قريب".
-"طبعا، لكنه لن يكون لقاءا اقتصاديا فساستجوبك انا هذه المرة عما جرى للرئيس"قال الدكتور حسام.
-"ان شاء اللّه دكتور، اعدك بذلك".
-"حسن استاذ مهدي، كن مطمئنا عن حال البلد الاقتصادي".
-"شكرا لك دكتور، الى اللقاء".
-"الى اللقاء".
اغلق مهدي الاتصال مفكرا بما قاله الدكتور عن الازمة الاخيرة، علقت عبارة (الطبيعة الام) في ذهنه.
تذكر حوارات الرئيس المختار الطويلة حول الهوس الاقتصادي الذي كان ينتابه، كان كثير الشك بالاقتصاد العالمي ماجعله يبرر افعاله بالحصول على عائدات من مختلف المصادر حتى غير المشروعة منها ليواجه اي ازمة مالية محتملة باحتياطي ضخم من العملات الصعبة والذهب.

فجأة، تذكر الرسالة التي سلمها المختار له في احد لقاءاته به في زنزانته ايام المحاكمة، حينها كان قد قال له: "ستفهم ماكتبته هنا في الوقت المناسب !".
شعر مهدي بان عليه قراءة الرسالة مجددا، فهوس الرئيس الاقتصادي قد يكون له علاقة بالازمة الحالية.

تحرك نحو خزانة ملابسه واخرج صندوقا معدنيا برقم سري، فتح الصندوق واخرج الظرف الذي تحويه الرسالة التي سلمها اياه المختار طالبا منه ان يعده بان لا تظهر للعلن الا في حينها المناسب، وقتها لم يفهم مهدي معنى (حينها المناسب)، كما لم يكن قد فهم ذلك حتى الساعة، اخرج الرسالة وفتحها وبدا بقراءة جزئها الاول..

كما قد حصل قبل حين..
سيحصل الان..
كروش ستنتفخ..
ورقاب ستعلق على المشانق..
يضرب ما سكته بابل من جديد..
ويستحيل القطن الى رماد..
ينزح النازحون..
و يهرب الاثرياء من بطش الجوعى..
تقوم الدائرة على الفاعل رغم جهلها بما فعل..
حبيبتي..
ستدركين كم كنت على صواب..
حينما فعلت كل مافعلت..
من اجل ان نحيا بالعيش الذي نريد..
في وقتٍ ينهاُر كل شئ حولنا..
بلا هوادة..

ابحثي في ذاتك عن النجاة..
لقد رميت لك الطوق..
فامسكيه بقوة..
لاتمدي له يدك قبل الاوان..
فسيستحيل حبل مشنقة..
ولا تتاخري عليه بعد الاوان..
فسيكون كل شئ قد انتهى..

قرأ مهدي ذلك النص معترفا لنفسه بصعوبة فك شفرته، الا ان شيئا ما فيها ذكره بما اخبره الرئيس به ذات مرة.
قدح ماتذكره براسه عائدا به الى احد لقاءاته بالمختار في زنزانته، يومها كان الرئيس قد اخبر مهدي بانه قد فعل مايجب ان يفعله للحفاظ على مستقبل البلاد من خطر اقتصادي داهم، لقد اخبر الرئيس مهدي بما فعله بالضبط.. بما خبأه بالضبط..!

سيضرب ما سكته بابل من جديد..
و يستحيل القطن الى رماد..

من وحي تلك الذكرى، تحرك مهدي مسرعا الى هاتفه المحمول وفتح رسالة نبؤة نوستراداموس التي تسلمها صباحا، قرا النص من جديد..

في الليل، سيخنق اخر واحد في فراشه..
لانه انهمك كثيرا بالوريث المنتخب الاشقر..

ذعر لما اتضح امامه.. مرسلوا الرسالة يبحثون عما خباه الرئيس لانقاذ البلاد..

عما خنقوا الرئيس من اجله في فراشه..

انهم يبحثون عن المنتخب *الاشقر*..

انهم يبحثون عن..

الذهب..!

الفصل 39

التاسعة مساءا بتوقيت بغداد.

انهت حماما شتويا ساخنا وخرجت من بين ذرات البخار المندفع من باب الحمام وهي تلف شعرها وجسمها بمنشفتين زهريتيين، كانت مها بجسمها الغض تخطو نحو غرفتها لترتدي ملابسها، دخلت الغرفة وهي تدندن، رمقت اوراق بحثها المتناثرة على السرير بلا مبالاة واستوقفها منظر جهاز حاسوبها المحمول الذي تركته على السرير وقد اسودت شاشته بعد دخوله في وضع حفظ الشاشة المؤقت، خلعت نعليها وجلست على السرير ومددت ساقاها عليه، تناولت حاسبها وحركت مؤشر الفارة، ظهرت صفحة المتصفح كما تركته على موقع فيسبوك، نظرت الى خانة الرسائل التي كانت تشير الى تسلمها رسالة جديدة.

وضعت ساقاعلى اخر ممدوتين على الفراش وجعلت حاسبها على فخذيها وفتحت الرسائل.

Mahdi Al-Ali (1)

ضغطت على مربع الرسالة الواردة وفتحت مربع الحوار.

"مها لقد حللت اللغز".

كان مهدي قد ارسل تلك الرسالة بعد ان توصل الى حل افتراضي للالغاز التي ارقته منذ ليال، ابتسمت مها وهي تشعر بدفعة ارتياح لرسالة استاذها الجديدة، بدات تكتب على لوحة المفاتيح.

"حقا ؟ اخبرني استاذ".

لم يتم العرض مؤقتا، فقد كان مهدي منشــغلا باعادة قراءة رســالة الرئيس التي لايــزال الكثــير منها غامضــا تماما، كان يحاول فــك معاني الكلمــات التي كتبها المختار في زنزانته فيما امتلات منفضــة الرماد امامه باعقاب السجائر التي دفنها في تلك المنفضــة تباعا، مرت عشر دقائق منذ ان ارســلت مها رســالتها دون رد من مهدي الذي كان مشغولا عن جهاز حاسوبه.

فجاة، رن الهاتف المحمول الخاص بمهدي بنغمته الافتراضــية، التفت الى المنضــدة المقابلة للاريكة ونظر الى نقاله.

مها الطالبة.

مد يده لتناول النقال الا ان الاتصال تم قطعه، عرف ان مها ارادت تنبيهه الى وجودها على موقع فيســبوك حاليا، فقد اخبرها مهدي ســابقا بتقليل اســتخدام النقال معه الا للضرورة كونه يعتقد ان الخط الذي معه مراقب، او استخدام الاتصال دون التحدث عن قضية المختار وما تلاها من تطورات.

نهض الى حاسبه المحمول الذي تركه على الاريكة المقابلة، فتح جهازه الذي تركه في وضــع سبات وتلقى رســالة مها على مربع الدردشــة على فيسبوك وبدا بالرد عليها.

-"اهلا مها".

ردت مها التي كانت تنتظره بلهفة و فضول.

- "اهلا استاذ، اخبرني بما تمكنت من فهمه".

- "حسنا مها، هل اخبرتك سابقا عن رسالة الرئيس التي تركها بحوزتي من قبل؟".

- "كلا لم تفعل".

- "طيب، لقد ترك المختار لدي رســالة بخطه قال لي ان حينها ســياتي وستفهم ماكتبت فيها".

- "نعم ؟".
- "وقد طلب مني ان اعده بالا اظهرها للعلن حتى يحين وقتها".
- "وما هي الرسالة ؟"، قالت مها.
- "رسالة غامضة قراتها فتذكرت مافعله الرئيس في حكمه وما حوكم من اجله".
- "طيب ؟".
- "لقد اخبرني المختار بما كان قد خبأه لضمان مستقبل البلاد، انه الشئ الذي يبحثون عنه".

اجابت مها مستغربة:
- "هل حللت النبوؤة ام ماذا ؟".
- "نعم، الوريث المنتخب الاشقر هو ماتريده الجهات التي تلعب لعبة الرموز، لقد فهمت مايعنيه ذلك".
- "استاذ لم افهم شيئا، ما علاقة الرقم 39 بكل هذا ؟".
- "حسنا ساخبرك بما فهمت".
بدأ مهدي يشرح لمها ماتمكن من فهمه من كل تلك الالغاز المحيرة.

- "اسمعي مها، استخدمت الجهات التي قامت بقتل المختار ورسم الرقم 39 على جدار الزنزانة وارسال الاقراص ذات الاعادات وجعل المؤتمر الصحفي امام لوحة الصاروخ وبعث رسالة النبوؤة كل ذلك منبهةً الى الرقم 39 للاشارة الى شئ ما".
- "وما هو".
- "مافهمته انهم ارادوا ان يشيروا بذلك الى الجهات العالمية التي ستثير المشكلة الاقتصادية العالمية التي كان المختار يستعد لمواجهتها".
- "اها".

- "و كما تعلمين، فان انصـــار نظرية المؤامرة يلقون باللوم في الازمات الدولية على الماسونية العالمية دائما".

- "صحيح !"، كتبت مها وقد بدات الامور تتضح امامها.

- "وفي اذهان الكثيرين، فان اسرائيل هي احدى ايادي الماسونية، وان كان هذا صحيحا او لا فان نظرية المؤامرة تربط دائما اسرائيل بالماســونية خصوصـــا في اذهان العرب رغم ان الحركة تجمع العديد من الجنسيات والديانات حول العالم".

- "تماما !".

استمر مهدي:

- "اشـــاروا بالرقم 39 على تلك الالغاز للاشارة الى اسرائيل، فالرابط التاريخي الابرز بـــين العراق اسرائيـــل كان ضربة العراق لها بـ39 صـــاروخ بغض النظر عن الحروب العربية ضـــدها و التي اشـــترك العراق في جميعها، ثم انهم عززوا الفكرة باظهار لوحة الصاروخ".

- "ممم".

- "ارادوا اخبـــاري بان"الماســـونية" ممثلـــة باسرائيل والجهات المســـيطرة على العالم ســـتقوم بالازمة العالمية المفتعلة، ثم ارسلوا رسالة نوستراداموس للاشارة الى ما خباه الرئيس من اجل انقاذ العراق من تلك الازمة".

صدمت مها لذلك التفسير الذي جاء به مهدي.

-"تماما استاذ، تفسير موفق للغاية".

اكمل مهدي:

- "تعمدوا ارسال النبوؤة التي تشير الى الوريث المنتخب الاشقر وهو ما خباه الرئيس، يعتقدون باني اعلم بمكان ذلك الشئ".

- "وماهو ذلك الشئ ؟".

- "الذهب !".
- "ذهب ؟؟؟"، ردت مها باستغراب.
- "نعم مها، لقد خبا الرئيس المختار اطنانا من الذهب واخبرني عنها لكنه لم يخبرني ابدا بمكانها، لقد استعاض عن ذلك باعطائي رسالة غامضة".
- "تقصد الرسالة التي بحوزتك ؟".
- "بالضبط"، واكمل، "يجب فك شفرتها لمعرفة مكان الذهب، لكني لا اعلم من ستكون الايادي التي ستوضع عليه ان عثرنا على مكانه".
-"استاذ، لمَ لم تسالك الجهات التي تطاردك بالغازها عن مكان ذلك الذهب بشكل مباشر دون القيام بعملية ارسال الالغاز؟".
- "هذا مالم استطع معرفته، الى جانب ان الاعلام الحكومي لم يتحدث قط بخصوص ذلك الذهب الذي خباه المختار رغم انهم يبحثون عن اي شي بامكانه ان يدين الرئيس".

شعرت مها بان حلقة من الاحداث لاتزال مفقودة.
- "مممم لست افهم ذلك، بامكانهم استجوابك واخبارهم بالحقيقة، ثم كيف لمخزون مقدر بالاطنان من الذهب كما قلت ان يختفي عن اعين حكومة البلاد ؟".
- "مها، المختار كان متيقنا بان الذهب سيظهر الى العلن في الوقت المناسب، لا ادري كيف كان يشعر بهذا الشعور".
- "وماهو الوقت المناسب ؟".
- "لاادري"، اجاب مهدي، "لقد اخبرني بان اظهر للعلن ذلك في وقته المناسب، وحسب مافهمت، فان الازمة المالية العالمية هي الوقت المناسب لظهور الذهب، هذا مافهمته من احد زملائي الاقتصاديين رغم انه اكد لي ان اقتصادنا لن يتاثر، الذهب هو المنقذ لكن هل هذه هي الازمة ام لا ؟ لا اعرف".

ردت مها:

- "لقد ظلمنا المختار حينما اتهمناه بالاختلاس وغســيل الاموال"، واكملت، "لقد فعل ذلك من اجل انقاذنا".

- "تماما مها، اسمعي، غدا سنلتقي، ذلك ضروري".

- "مؤكد استاذ، اشعر بفضول كبير لقراءة تلك الرسالة".

- "طيب، اسف على ازعاجك".

- "بالعكس استاذ، ساتصل بك غدا".

- "طيب الى اللقاء".

- "الى اللقاء".

اغلق مهدي حاسبه المحمول وعاد يتابع اخبار الاقتصاد من جديد، فيما عادت مها لمراجعة الدردشة مع استاذها لفهم ماقاله بشكل اعمق.

الفصل 40

في منتصــف تلك الليلة، كان مهدي قد فتح رسالة الرئيس مجددا وعاود قرائتها، اكمل مقطعها الثاني والاخير.

ثلاثة رجال ينقذون الامبراطورية..
اولٌ فعل..
وثانٍ يحمل سر الاول..
وثالثٌ يكشف الستار..
تتبع ارواح الموتى الاحياء..
في قبرٍ ازرق..
يقومُ على اعمدةٍ من ارواح..
في العمود الرخامي الاول..
في اللبنةِ الرابعة والاربعين..
يقف الرجل الثاني حاملا حمامة الزاجل..

كانماينهي طرف الرسالة الايسر السفلي توقيع المختار بخط يده.
احس مهدي بان المقطع الثاني معقدٌ جدا ويصعب تحليله وفك شيفرته، قراه اكثر من مرة دون ان يصــل الى ضــفة ادراك لمقصــد الرئيس في ذلــك المقطع، الا ان جل اهتمامه و انتباهه انصب على السطر الاول من ذلك النص.

ثلاثة رجال ينقذون الامبراطورية.

فمجــرد قراءة مهدي لتلــك العبارة، عــادت الى واجهة افكاره رســالة النبوءة التي وصلت الى هاتفه المحمول.

تستعبد الامبراطورية ويقوم مقامها ثلاثة رجال.

تشابه كبير.

لقد ترك المختار لغزا حله شبه مستحيل، ازداد شكه بخصوص سؤال علق في ذهنه هو الاخر.. هل هذه هي الازمة الي توقعها المختار ؟
تذكر مهدي كلمات زميله الاستاذ حسام بشان الازمة...
اقتصادنا لن يتاثر.

تسال ان كان عليه ان ينتظر اكثر قبل البحث عن المفقود ام ان لحظة البحث قد حانت.
نظر الى الرسالة مجددا.
اول فعل..
وثانٍ يحمل سر الاول..
وثالث يكشف الستار..

شعر بان تلك السلسلة لن توجد بسهولة، تسائل ان كان مايقصده الرئيس باؤلئك الرجال هو رجال حقيقيون ام انه تمثيل لشئ اخر.
في خضم تلك المعمعة الفكرية، طوقت افكاره اسئلة اخرى.
ان تم العثور على الذهب بعد فك الشفرة، من الذي سيضع اليد عليه ؟
لماذا لم يعترف المختار للمحكمة عما فعله وخباه ؟
لماذا لم يقم بايضاح ما قام به امام المحكمة ؟
لماذا لم يعلم احد بمكان الذهب ؟

احس بان دماغه صار يزداد كبرا بفعل تلك الاسئلة كبالون يقترب من الانفجار.

اراد استرجاع كل مايخص ماجرى له منذ ان رن هاتفه المحمول في تلك الليلة باتصال من القصر عندما طلب منه رجل عرف نفسه على انه (النقيب سلام) الخروج الى الشارع واستقلال سيارة الدفع الرباعي.
جال بافكاره حول لقاءاته بالرئيس في حفلات ذكرى التنصيب السنوية وعلاقة الرئيس بوالده المستشار، مر بدهاليز تلك الذكريات كمنقب عن اثار امتدت لعشر سنوات من حكم الرئيس محمد المختار، انعطفت به افكاره نحو حواراته مع والده حول الحكم ومنصبه كمستشار لرئيس الجمهورية.

كان والد مهدي رجلا مخلصا للمختار واقتصاديا بارعا، لكنه عانى في اخر ثلاث سنوات من حياته من عزلة خانقة اثر وفاة زوجته والدة مهدي في حادث سير، ماجعله منكبا على عمله كمستشار للرئيس في النهار ، باحثا عن انيس يقضي معه وقته في حديث دافئ في المساء، فكان مهدي يشعر بوحدة والده فيطيب من خاطره بان يفتح معه المواضيع ويعد له جلسة هادئة في حديقة المنزل يشاطر بها اباه الشاي وحديثا عن احب المواضيع اليه، الاقتصاد.
رغم ان مهدي كان يشعر ببعد افكاره وتوجهاته عن توجهات ابيه الاقتصادية، لكنه كان يتحدث مع والده بها لعلمه بان الاخير يحب الحديث بتلك المواضيع.

بتذكره لتلك الليالي الحنينة مع والده، عاد مهدي الى حواره معه ذات ليلة عندما اخبره اباه عن اول وزير للمالية نصب في اول حكومة عراقية، وما قام به من اجل البلاد من تاسيس لنظام اقتصادي مستقل ومتين، يتذكر مهدي ذلك الحديث جيدا بكل تفاصيله، لقد حدثه والده عن داهية الاقتصاد العراقي ووزير ماليته الاول حسقيل ساسون.

كان ساســون عراقيا يهودي الديانة، تســلم في الثالث عشر من اب من العام 1923 ابان الحكم الملكي مســؤوليته كمفاوض مع البريطانيين حول امتياز شركة النفط العراقية - التركية، وهي شركة بريطانية، وكان مما قرره ساســون بصرامة ان يكون الدفــع للعــراق من عوائد تلك الشركة كحصــة للبلاد بالشــلن الذهبي كســعر للنفط المباع، ورغم اعتراض البريطانيين على ذلك، الا ان اصرار ساســون على وضع عبارة (من الذهب) في العقد دفع البريطانيين الى الرضوخ لمطلبه، فاصبحت عوائد العراق تدفع بالشــلن الذهبي بدلا من العملة الورقية البريطانية، مادعم اقتصاد البلاد بقوة بســبب ثبات قيمة الذهب بعد ان تذبذبت قيمة العملة البريطانية في ما تلا تلك الحقبة من احداث.

الذهب، الطبيعة الام ياصديقي.

عــادت تلك العبارة التي قالها الدكتور حســام محمد صــالح الى ذهن مهدي من جديد بعد تذكره حديثه مع والده عن حســقيل ساسون . لقد كان الرئيس المختار مصيبا بكل ماقام به.

تذكــر مهدي بعض الدعاوى التي اثيرت على المختــار في المحاكمة . كان الى جانب دعوى دعم القراصنة الافارقة دعاوى اخرى كثيرة، احداها كانت عن عملية استيلاء على كميات من الذهب مــن خزانة البنك المركزي للبلاد، نفذ المختار تلك العملية بالتعــاون مع مخابراته في عمل بارع للغاية، بعدهــا تم الاعلان عن فتح تحقيق فيما حدث لاســكات الراي العام، واعلن حينها المختار ان النقص الذي حصــل في خزينة البنك من الذهب بفعل تلك السرقة يجب ان يعوضــه العراق بشراءه كميات تسد النقص بعملته الصعبة، اراد تبديل عملته الصعبة الورقية بالذهب المشترى من الخارج بشــكل لايثير الشكوك امام المنظمات العالمية عما يفعله العراق مستغلا تلك الحجة، فلو عمل المختار على شراء الذهب بشكل مباشر من السوق العالمية،

لكانت بعض المنظمات والدول قد تنبهت الى حركة المختار المريبة وجمعه للذهب المثير للتساؤلات، فقام بعملية الاستيلاء على بعض ذهب البنك و تخبئته ثم شراء الذهب علنا بحجة السرقة التي حصلت على خزينة ذهب الدولة ما ابعد الشبهات عما قام به.

كانت تلك العملية الجنونية التي ارتكبها المختار والتي تلاشى الحديث عنها لاحقا بوعود حكومته بالقبض على الفاعلين احدى التصرفات التي ترجمت خشيته من الازمة العالمية القادمة، و هي ما اثارها الادعاء العام ضده في المحاكمة.

لقد كان الرئيس يريد الحصول على الذهب والاموال التي يستبدلها لاحقا بالذهب باسرع وقت ممكن وبشتى السبل، فقد كان هناك كابوس اخر يطارده، وهو كابوس سعي بعض الدول الكبرى في العالم للحصول على طاقة بديلة غير النفط، وبما ان النفط هو المصدر الاول والرئيسي لعائدات العراق فان عثور تلك الدول على مصدر طاقة اخر لها كتقنية المفاعل البارد (Cold Fusion) والنفط الحجري، سيغنيها عن النفط العالمي الذي يشكل نفط العراق جزءا كبيرا منه ويدر على البلاد اموالا طائلة، وبالتالي فان عائدات العراق ستنحدر مسببة تراجعا في ايراداته، لذا، اراد المختار فعل المستحيل لاستغلال حاجة العالم لنفط العراق في الوقت الراهن وتامين مستقبل البلاد باحتياطي من الذهب الممكن استثماره في انشاء مصادر دخل غير النفط مستقبلا قبل ان ياتي يوم تقل او تنتفي به الحاجة الى نفط العراق.

لقد كان بارعا للغاية.

ليس فقط في كيفية جمع الذهب، بل كيفية اخفاءه عن الانظار الى الحد الذي لم تعلن اي جهة معرفتها بما قام به حتى الان، كل ماتركه المختار هو شيفرة تدل على رموز وعبارات غامضة يجب ان تؤدي الى ايجاد ذلك الكنز الذي لايبدو ان احدا يعرف الكثير عنه سوى تلك الجهات التي تحاول تنبيه مهدي الى ماخباه الرئيس، والتي يبدو انها تعتقد انه يعرف سرا يؤدي الى ايجاده.

هذا مافهمه مهدي من مناجاته تلك الليلة، كان يتخبط في افكار شائكة، تلك الافكار قطعت عندما رنت الساعة الثمانينية البغدادية في صالة بيته معلنة تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

الفصل 41

التاسعة صباحا بتوقيت بغداد.

كانت سيارة الجيب الشيروكي السوداء قد بدأت تخطط شارع منزل المحامي مهدي العلي جيئة وذهابا ببطء وقد استقلها عنصران مجهولان. بدت وكأنها دورية مراقبة يبرز من سطحها هوائي اسود يتمايل مع حركة السيارة ذات الدفع الرباعي.

ذلك الصباح وكعادته، كان مهدي قد اعد فنجان قهوته الصباحية واضعا رسالة الرئيس على طاولة المطبخ ليرمقها بنظرة تفكير اثناء حركته في مطبخه.

تتبع ارواح الموتى الاحياء..
في قبر ازرق..
يقوم على اعمدة من ارواح..

بينما كان يرتشف فنجان قهوته الساخنة الذي اعده للتو، رن هاتفه المحمول بنغمته الافتراضية.
مها الطالبة.

كان تركيز مهدي على المقطع الثاني من رسالة الرئيس قد انساه موعده مع مها التي اتفق معها على حضورها الى منزله اليوم. قرأ اسمها على شاشة جواله بعد ان وضع نظارته الطبية وتذكر الموعد، فتح الخط واجاب.
- "الو.. صباح الخير استاذ.. ارجو الا اكون قد ايقظتك".
- "اهلا مها، ابدا انا مستيقظ"..

- "طيب استاذ هل بامكاني المجيء الان ؟".
- "آه طبعا، ساكون بانتظارك".
- "حسنا، عشرون دقيقة وساكون قد وصلت".
- "حسنٌ، سانتظرك".
- "مع السلامة استاذ".
- "مع السلامة".

اغلق مهدي الخط واعد الجزء الاول من الرسالة مع الاخر واضعا اياها في جيبه وانتظر مجيء مها ليخبرها بما استطاع ان يفسره من تلك الرسالة الغامضة ومازال مستعصيا منها عن الحل عليه حتى الان.

في ذلك الصباح، بدات اولى تقارير المختبرات الخاصة بتحليل احشاء الجثة 3297 تصل الى البروفسور سالم جرجيس وقد تطابقت نتائجها مع ما استكشفه في ذهنه كسبب لوفاة الرئيس المختار بمجرد كشفه عن الجثة في تلك الليلة، لكن ذلك لايهم، فتقرير الوفاة معد مسبقا بامر من اللواء ماهر عبد الفتاح.

في غرفته ذات الجدران الخشبية، كان الرجل ذو البدلة الانيقة لايزال يتابع تداعيات الازمة المالية العالمية، لقد بدا يحصل ماكان متوقعا، فقيمة الدولار بدات تنخفض باطراد بسبب تلك الازمة، فيما لايزال الذهب يواصل صعوده الجنوني ليبلغ ارقاما بدات تبدو انها ستكون عن قريب.. قياسية.

لدى وصول سيارة مها النسائية الى شارع منزل مهدي في حي زيونة، كانت سيارة الجيب شيروكي السوداء تتابع تماما توقف سيارتها امام باب منزل مهدي، شهد الاثير المحيط بالشيروكي في تلك الاثناء صدور اشارات اتصال ارسلتها السيارة



ذات الدفع الرباعي السوداء الى جهة ما، اعلمت تلك الجهة بتفاصيل مايجري تماما في شارع منزل مهدي.
ترجلت مها من سيارتها الصغيرة وضغطت على جرس الباب، كانت الشيروكي لاتزال تراقب وهي تمر في الشارع ببطء باستمرار، خرج مهدي ورحب بها ودخل الاثنان الى داخل منزل المحامي.

"استمر بالمراقبة والرصد".
كانت تلك اخر عبارة تلقاها الرجلين في سيارة الشيروكي..
باللغة الانكليزية.

جلست مها على الاريكة مقابل مهدي الذي اخرج من جيبه ورقة الرسالة الاولى.
"اعتقد انني اصبت في التحليل هذه المرة".
ردت مها: "كلي شغف لرؤية الرسالة استاذ".

وضع مهدي ورقة بيضاء من غير تخطيط على الطاولة المنخفضة، كان المكتوب عليها بقلم حبر ازرق، نظرت مها اليها و تناولتها.
شعرت بالفضول وهي تنظر الى خط يد رئيس الجمهورية القتيل محمد المختار والذي ترك كنزا لبلاده وحافظ عليه لانقاذها بل قتل من اجل ان يحافظ عليه لوقته المناسب.
سحبت نفسا عميقا بعد ان انهت قراءة مافي الورقة الاولى وقالت"حسنا استاذ، اخبرني بماتعرفت اليه".
قال مهدي: "طيب اقراي لي الرسالة وساخبرك بما فهمته منها".

بدات مها بالقراءة: .

"كما قد حصل قبل حين، سيحصل الان". نظرت الى استاذها.
"نعم مها"، رد مهدي، "انه يقصد الازمة المالية. لقد وقعت ازمة مماثلة في ازمة الكساد العالمي في الثلاثينيات. كانت الازمة تلك قد تسببت في كوارث اقتصادية عالمية كبيرة. كما ان ذلك قد حدث مجددا في العام 2008 لكن بوطاة اخف. وهو هنا تنبه الى ان ذلك سيحصل مجددا. هذا مافهمته من هذه الكلمات".
"واعتقد انك قد اصبت في ذلك استاذ"، هز مهدي راسه، واكملت:
"كروش ستنتفخ. ورقاب ستتدلى على المشانق".

اشعل مهدي سيكارة وقال:
"مها. ان لكل ازمة مالية اسباب. لاتتصوري ان تلك الازمات تتم من دون اياد خفية تتلاعب بها. لقد اخبرني والدي ببعض المعلومات عن ذلك. ان الهدف من صناعة الازمات هو استفادة منظمات عالمية متنفذة جدا منها واحكام القبضة على اقتصاد العالم. اما عن نفوذ تلك الجهات فيصل الى التحكم حتى بقرارات دول عالمية عظمى، وبالتاكيد، حالما يحققون ما ارادوه من ازمات فستتضاعف ثرواتهم اكثر وهذا ماقصده المختار بالكروش التي ستنتفخ. اما اصحاب المصارف الصغيرة المفلسة بفعل تلك الازمات فسيدفعون مابحوزتهم لزبائنهم ثم يفلسون. ما يجعل امامهم احد الاخيارين. اما الاستدانة من تلك القوى المتنفذة او الافلاس واقدام بعض مالكي تلك المصارف على الانتحار، او ان تقام ضدهم الدعاوى ويتلقون الاحكام هذا ما اشار له المختار بالرقاب التي ستتدلى على المشانق".
كانت مها تنظر بذهول الى استاذها الذي سرد لها كل تلك المعلومات مستعينا بما اتضح من رسالة الرئيس وماكان يتحاور به مع والده في تلك الامسيات الماضية. امتصت كلمات مهدي. ثم عادت تنظر الى الرسالة واكملت:
"يضرب ماسكته بابل من جديد. ويستحيل القطن الى رماد".

ابتسم مهدي وهو يتذكر ذلك الحديث مع الرئيس ذات مرة حين اخبره بما فعله بالضبط وقال:

"لقد كان الرئيس يثق بالذهب اكثر من العملة الورقية مها، مهما كان مصدر تلك العملة والقوة التي تتمتع بها، انه يقصد عودة الذهب كمصدر للقوة، ماسكته بابل هو العملة المعدنية.. الذهب، الفضة و النحاس، انه يشير الى عودة التعامل بالمعادن كالذهب و الفضة بهذه الطريقة لان الحضارة العراقية القديمة كانت الاولى في التاريخ التي اتخذت العملة المعدنية بديلا عن المقايضة لشراء وبيع السلع، وهو يلمح هنا الى عودة التعامل بالمعدن حين تستحيل العملة الورقية الى رماد".

"لكن لماذا اسمى العملة الورقية بالقطن تحديدا ؟"، قالت مها.

اجاب مهدي: "لانها ببساطة ليست مصنوعة من الورق، بل من القطن !".

فغرت مها فاها وهي تستجمع كل ما يقوله استاذها، دفعها فضولها الى اكمال قراءة الرسالة:

"ينزح النازحون، و يهرب الاثرياء من بطش الجوعى".

نفث مهدي دخان سيكارته و قال: "باختصار مها، ستدب الفوضى في العالم اذا كانت هذه الازمة هي الانهيار الذي قصده المختار، سيبحث الناس عما يسدون به رمقهم بعد ان تنحدر قيمة نقودهم الى الحضيض، لقد قال العرب ذات مرة: (عجبت لمن لا يجد في بيته رغيف خبز ولايخرج على الناس شاهرا سيفه)".

شعرت مها بخطورة مايجري، ان صح ان الازمة الحالية هي بداية الانهيار الاقتصادي العالمي فتلك ستكون كارثة بامتياز.

عادت الى الرسالة واكملت:

"تقوم الدائرة على الفاعل، رغم جهلها بما فعل".

نظرت الى مهدي، احسست بالغصة التي اعترته حين سمع تلك العبارة. اطلق مهدي زفيرا وقال: "لقد كان الرئيس يريد الحفاظ على السر عميقا، لم يشا ان يخلص نفسه من المحاكمة والحكومة الجديدة عن طريق اخبارهما بما فعله بالضبط. كان يعلم بانه سيكون الضحية".

ضمت مها شفتيها متاسفة لكلامه عن المختار، ثم عاودت القراءة:

"حبيبتي..

ستدركين كم كنت على صواب..

حينما فعلت كل مافعلت..".

قاطعها مهدي مكملا:

"من اجل ان نحيا بالعيش الذي نريد..

في وقتٍ ينهارُ كل شيءٍ حولنا.."

و قالا معا: "بلا هوادة !".

اتكأ مهدي وقال: "انه يحادث *بغداد* !".

....

كان سائق الجيب الشيروكي ينظر الى ساعته وهو يراقب منزل مهدي، شعر بالملل من مهمته التي يرافقه بها زميل له اكثر صبرا على المراقبة والانتظار، رفع صوت مسجل السيارة وبدءا يستمعان الى موسيقى الريف الامريكي، بينما بدات سماء بغداد كانها تستانف زخ امطار الامس.

لم يلحظ الرجلان ان احدى كاميرات المراقبة المثبتة على جدران احد المنازل القريبة كانت تصور تحركات سيارتهما ومرابطتها المتواصلة للشارع. ففي حي زيونة و بعض الاحياء الاخرى في العاصمة، من الطبيعي ملاحظة وجود كاميرات مراقبة فوق المنازل وهي توجه عدساتها نحو الاسيجة الخارجية لها ونحو الابواب كاجراء ضد السرقة، الا ان تلك الكاميرا بالذات كانت تقوم بواجب مختلف تماما.

الفصل 42

"ابحثي في ذاتك عن النجاة..
لقد رميت لك الطوق..
فامسكيه بقوة.."..

كانت مها لاتزال تقرا رسالة الرئيس بشغف وتنتظر تفسيرات استاذها للنص الذي تركه المختار.
"يلمح الرئيس هنا"، قال مهدي، "الى ان الذهب الذي يخبئه هو في بغداد نفسها، ابحثي في ذاتك، مها، بغداد ليست بالمدينة الصغيرة، سيكون البحث شاقا".

تسائلت مها: "استاذ، الم يلمح لك الرئيس عن اي مدلولات حينما اخبرك عن الذهب ؟ اية اماكن، اي اشخاص ؟".
اجاب مهدي واثقا: "ابدا، مافي يدك من رسالة هو كل ماتسلمته منه بخصوص الذهب".

اعادت مها النظر في الرسالة واكملت القراءة:
"لاتمدي له يدك قبل الاوان فسيستحيل حبل مشنقة، ولا بعد الاوان فسيكون كل شيء قد انتهى".
اطفا مهدي سيكارته وقال بنبرة غضب: "وكيف لنا ان نعرف الوقت المناسب؟".
سحب نفسا عميقا واكمل: "انه يريد العثور عليه في الوقت الذي يكون فيه الذهب منقذا بلا استعجال او تاخير، لقد وصف العثور عليه قبل اوانه بحبل المشنقة، اما التاخر في العثور عليه فهو امر واضح، فسيكون الانهيار قد دمر اقتصاد البلد تماما، لكن اي انهيار ؟ و متى ؟ الحالي او غيره ؟.. لا اعرف !".

هزت مها راسها وهي تتخيل حجم المسؤولية التي القاها الرئيس على محاميه، تزاحمت الافكار والاسئلة في راسها..

كيف اخفى المختار الكنز حتى عن اعين الدولة ؟

اين ذهب من ساعده على اخفاءه ؟

قالت: "استاذ، يجب ان يكون هناك اخرون يعرفون بمكانه، لانه لايمكن لشخص واحد القيام بكل تلك المهمة".

اخرج مهدي الورقة الثانية من الرسالة من جيبه وقدمها لها: "قد يجيب هذا على تساؤلاتك !".

نظرت مها الى الشطر الثاني من الرسالة، لايزال خط الرئيس يتحدث على الورق امامها، نظرت الى النص المرتب على الورقة كشعر حر... وقرات:

"اولٌ فعل..

وثانٍ يحمل سر الاول..

وثالثٌ يكشف الستار..".

قالت متسائلة: "من هم هؤلاء الثلاثة ؟".

اجاب مهدي: "مهما يكونون، يجب التعرف عليهم، افترض الاول هو الرئيس نفسه فهو الذي فعل الامر برمته، اما الثاني فقد اتت على ذكره تفاصيل غامضة في باقي النص، اكملي".

نظرت الى الورقة واكملت..

"تتبع ارواح الموتى الاحياء..
في قبرٍ ازرق..
يقوم على اعمدةٍ من ارواح.."،

قال مهدي: "هل فهمت من ذلك شيئا ؟".
لم تجب مها واكملت بصوتها..

"في العمود الرخامي الاول..
في اللبنة الرابعة والاربعين..
يقف الرجل الثاني حاملا حمامة الزاجل.".

نظرت الى مهدي وقد احست باندماج كلي مع كلمات الرئيس، "كيف يمكن لقبر ان يتكون من اعمدة من رخام ولبنات من هذا العدد ؟"، قالت.

نهض مهدي وقد غاص عميقا هو الاخر بتلك الكلمات. استانفت مها: "استاذ. قلت ان المختار قد لمح الى ان الطوق الذي فسرته على انه الذهب موجود في بغداد".
اجاب مهدي: "تماما، ابحثي في ذاتك عن النجاة !".
سالت مجددا: "هل تعرف شيئا عن قبر ازرق في العاصمة ؟".
جال مهدي بافكاره: "مها، المقابر في بغداد قليلة كما تعلمين فالمقبرة العراقية الكبرى هي في وادي السلام بمحافظة النجف بل هي من اكبر المقابر على وجه الارض كلها".

"واذا اردت التفكير بتلك المقابر القليلة في العاصمة"، قالت مها، "قد يكون المختار قد دفن كنزه في احداها او قرب احداها".

تسمر مهدي مكانه وقد واتته فكرة ذكية، جلس امام مها وقال: "هل تعتقدين ان المختار وبالقائه اللوم على نظرية المؤامرة اراد الربط بين الكنز ومقبرة الانكليز في بغداد ؟".

صعقت مها لتلك الفكرة، قد يكون صحيحا ان يربط الرئيس كنزه بمقبرة الانكليز !، الا انه لا قبر ازرق في ذلك المكان.

تقع مقبرة قتلى القوات البريطانية في منطقة الوزيرية في سط بغداد على جانب الرصافة، وتضم رفات اكثر من 2000 جندي انكليزي وبولندي وهندي وسيخي ومسلم قضوا ابان الحملة البريطانية على العراق في الحرب العالمية الاولى، كما ان من بينهم بضعة جنود اتراك قاتلوا الى جانب الامبراطورية البريطانية ضد الدولة العثمانية التي كانت بريطانيا تخوض الحرب ضدها، وجميع اولئك الجنود بجنسياتهم المختلفة يمثلون قوات الكومنولث التي حاربت العثمانيين وانتزعت العراق من احتلالهم له والذي دام نحو اربعة قرون، حيث تمكنت القوات البريطانية من دخول بغداد في اذار من العام 1917، ويشمخ وسط المقبرة بارتفاع ثلاثة امتار شاخص على شكل قبة رمادية يمتد تحت ظلها قبر الليوتانت جنرال فريدريك ستانلي مود قائد الحملة البريطانية على العراق، والذي قتلته الكوليرا في 18 نوفمبر 1917، حيث ان ذلك الوباء لم يكن رحيما معه ومع قواته كما لم يكن العراقيون كذلك ابان فترة الاحتلال الانكليزي لبلادهم.

بين كل تلك الافكار حول مقبرة الانكليز، كان مهدي ومها يفكران بامكانية ان يكون المختار قد قصد تلك المقبرة بدفنه سرا فيها، لكن ذلك لن يكون الذهب على الارجح، فلا يمكن العبث في تلك المقبرة بسهولة كونها مكان مكشوف لايفصل بينه وبين المارة سوى سياج حديدي، الى جانب ان السفارة البريطانية تتابع عن

كثب حال تلك المقبرة وتتكفل بين فترة واخرى بصيانتها، لذا فان اي عمل كهذا قد تعتبره تلك السفارة تخريبيا وقد يحدث ذلك جلبة اعلامية وهذا اخر شيء قد يريده المختار ان يحدث وهو يحفظ كنزه. اضافة الى ان السفارة التركية تقع على الجانب الاخر من الشارع مايجعل تلك المنطقة ميزة و مراقبة، ويبدو ان الاتراك قد اختاروا هذا المكان لسفارتهم لرفع علمهم على مبناها ليكون مواجها لمقبرة اعداء الامس البريطانيين كنوع من اثبات الوجود. رغم انه وعلى مسافة قريبة وفي منطقة باب المعظم، توجد مقبرة القتلى الاتراك التي تضم رفات نحو 32 جنديا تركيا احيطت مقبرتهم بسياج حديدي انيق. فيما تمتد بين قبورهم طرق من المرمر الابيض الممتد بدءا من بوابة علقت عليها يافطة تحمل عبارة (مقبرة الشهداء الاتراك) الى جانب العلم التركي.

"استاذ. لايمكن ان تكون تلك مقبرة الانكليز"، قالت مها. "ان المختار واضح في كلماته، قبرٌ ازرق. ومقبرة الانكليز لايوجد فيها اي لون عدا الشواخص الرمادية و البيضاء للقبور".

"لادري لماذا اشعر بانه يقصدها يا مها"، قال مهدي.

عادت مها للنظر في الرسالة..
تتبع ارواح الموتى الاحياء..

"الاحياء"، علقت في ذهنها تلك الكلمة. ففي الديانة الاسلامية وقرانها المقدس، اكدت الايات على ان"من يقتل في سبيل الله"هو حي يرزق.

"انها مقبرة شهداء اسلامية استاذ"، قالت هي.
"كيف ؟"، سأل مهدي بلهفة.

اجابت مها: "لايمكن ان يكون الموتى احياء الا عندما يكونون شـــهداء حسب ماجاء في القران، المختار اشار الى الموتى الاحياء، و هو كثير الاستشهاد بالنصوص القرانية كما راينا في المحكمة، اي انه مؤمن جدا بالقران".

قطـــب مهدي حاجبيه وقال: "من الممكن ذلك، لكن لاتوجد مقابر شـــهداء بارزة في بغداد، لقد دفن شهداء الحروب في مقابر متفرقة في البلاد".

امعنت مها النظر مجددا في الرسالة.

في قبر ازرق يقوم على اعمدةٍ من ارواح...

تذكرت احدى سفراتها المدرسية حين كانت طفلة، و عادت الى تلك الذكريات التي لم تمح من ذهنها حتى اليوم، اغمضـــت عينيها و هزت راسها لما راته من مفاجاة.. ثم قالت:

"استاذ، لقد كان المختار بارعا في رسم الكلمات..".

"كيف ؟"، قال مهدي..

"انه يقصد *نصب الشهيد* !".

الفصل 43

في الجانب الاخر من العالم, كانت حالة الهلع المصرفي قد تفشت في الولايات المتحدة الامريكية بشكل واسع, وبدات عملية التهافت على البنوك من قبل المودعين لسحب ودائعهم بشكل جنوني بعد ان اشيع خبر اعلان احد المصارف افلاسه, و توالت اخبار انهيارات البورصة.

لم تنفك شاشات التلفزيون عن متابعة حالة الهبوط الذي يتعرض له الدولار في الولايات المتحدة وبعض الدول المرتبطة به بشكل مباشر, حيث كان من اهم الاخبار ان اعلن البنك الفدرالي الامريكي والمعروف بـ(FED) عن نيته خفض الفائدة على قروضه بشكل كبير لتجنب الكارثة التي قد تحدث كما حدث عام 2008, حينما حاول ذلك البنك رفع الفائدة قليلا ما فجر ازمة مالية دفعت بـFED الى خفض الفائدة مجددا الى مايقارب الصفر.

(انا اسف ياصديقي, لقد كنت مخطئا, اقتصادنا سيتاثر ان استمر الحال كذلك).
كان مهدي قد تسلم تلك الرسالة من زميله الدكتور حسام محمد صالح الذي كان قد طمانه في الامس على الاقتصاد الوطني وهاهو يعتذر الان على خطاه في التقدير.

شعر مهدي بشد اعصابه بعد قراءته الرسالة واخبر مها عما جرى من اتصال بينه بين الدكتور حسام حول الازمة الاقتصادية الراهنة وماتعنيه هذه الرسالة الان.
احست مها بانها كانت محظوظة لتشهد معتركا كهذا سيحدد مصير البلاد, و سرت فيها رعشة من الحماس للبحث عن كنز المختار.

"استاذ، لقد حان الوقت لنتحرك !".
هز مهدي راسه بالرفض: "من سيضمن ان هذه اللحظة المناسبة للبدء بالبحث؟".
ردت مها: استاذ، ان الدكتور حسام يبدو الان واثقا من خطورة الوضع، من رايي ان نذهب فورا الى نصب الشهيد ونبحث عما يريد الرئيس ان نبحث عنه".
"ليس قبل ان التقي بالدكتور حسام اولا مها"، اجاب مهدي.

احست مها بخيبة امل لما قاله، الا انها هي الاخرى كانت بحاجة الى التعرف على مايجري حول العالم بالضبط.

"هل ستخبر الدكتور عن السر استاذ ؟".
"ابدا مها"، قال مهدي، "لكنه سيتنبه الى اهتمامي بالجانب الاقتصادي لهذا الحد، يجب ان اقنعه بان ذلك هو مجرد فضول".
"طيب ساخلصك من هذه المشكلة".
استغرب مهدي ماقالته، "كيف ؟".
"استاذ"، اجابت مها، "الدكتور حسام يعمل في كلية الادارة والاقتصاد وهي بناية منفصلة عن جامعتنا، لن يعرف باني طالبة لديك، قل له باني طالبة في كلية الادارة والاقتصاد التابعة للجامعة المستنصرية وبحاجة الى خبرة استاذ في كلية الادارة والاقتصاد من احدى الجامعات الاخرى لاعداد بحث حول الانهيار الاقتصادي العالمي".

ضحك مهدي من كلامها بعمق، "وان سالك عن معلوماتك الاقتصادية ايتها القانونية ؟ لن ادافع عن طالبة كسولة مثلك".
ضحكت مها وقالت: "دع الامر لي استاذ ولنتصل به".

بعد دقائق، كان مهدي قد انهى اتصاله مع الدكتور حسام طالبا زيارته وقد تلقى منه ردا بالايجاب ممزوجا بروح دعابته المعهودة.

في غرفته ذات الجدران الخشبية، كان الرجل ذو البدلة الانيقة يذرع الغرفة جيئةً و ذهابا بعد سماع اخبار الصباح الاقتصادية.
اوشك الكابوس على الحدوث.

تحرك نحو مكتبه المصنوع من خشب الصنوبر القاسي، رفع سماعة الهاتف واجرى اتصالا قصيرا ثم اغلق الخط.
لقد بدا مهدي بالتحرك.

....

بعد ان هدات الامطار اليناير ية الغزيرة، كانت سيارة مها قد تخطت شارع منزل مهدي وهي تقل مهدي و مها متجهة للخروج من حي زيونة الى شارع فلسطين الرئيسي، لم يلحظ الاثنان انهما متابعين من قبل سيارة جيب شيروكي سوداء بهوائي على سقفها.

بعد ثوانٍ من اغلاق سماعة الهاتف، تلقى الرجل ذو البدلة الانيقة اتصالا، هز راسه مستمعا ثم اغلق الخط، تناول هاتفه المحمول واجرى اتصالا مع احدهم ثم انهى المكالمة وقد شعر بتوتر شديد.

الفصل 44

يقع منزل الدكتور حسام محمد صالح في حي الجادرية وسط بغداد. وهو من الاحياء القريبة لنهر دجلة في رصافة العاصمة. كما ان ايقونة هذا الحي هو المجمع الرئيس لجامعة بغداد كبرى جامعات البلاد. والتي يشمخ في بوابتها قوسها الشهير غير المكتمل الالتقاء من الاعلى والذي صممه المهندس المعماري الالماني والتر كروبس عام 1957 للاشارة الى ان العلم والمعرفة لامحدودين.

ما ان وطات عجلات سيارة مها ارض شارع فلسطين متوجهة نحو الجادرية. حتى اختفت سيارة الشيروكي مبتعدة عنها وسالكة طريقا اخر. فيما كان شيء صغير اسفل غطاء الاطار الخلفي لسيارة مها يومض بضوء احمر متقطع.

بعد ان اقتربت سيارة مها من تقاطع الجامعة التكنلوجية داخلة منطقة الكرادة باتجاه الجادرية. كانت سيارة اجرة صفراء قد بدات بتتبعها عن كثب. لم ينتبه الاثنان في السيارة الى ان عجلة الاجرة كانت ورائهما.

في غرفة اللواء ماهر عبد الفتاح. رن الهاتف على مكتبه باتصال من مدير دائرة الطب العدلي. اجاب اللواء على الاتصال. وشعر بالارتياح لقرب اكتمال الاجراءات الصورية لتشريح جثة الرئيس المختار.
سيعلن الى العالم قريبا عن ان الرئيس توفي اثر سكته قلبية مفاجئة وسيسدل الستار على هذه القضية. خصوصا وان العالم ينشغل الان بفوضى تساقط البنوك في بعض الدول الكبرى الواحد بعد الاخر بسبب الازمة المالية الراهنة.

في مكان ما في العاصمة بغداد. تلقى رجل اشقر ضخم الجثة نداءا عبر جهاز خاص اخبره بان الهدف يتوجه غربا بسيارة نسائية صغيرة. امر بمتابعة مراقبة الاشارة الصادرة من تلك السيارة عبر جهاز التتبع ذو الوميض الاحمر الملصق اسفلها.

كان ذلك الرجل هو سكوت اوزيلينغ مسؤول احدى الشركات الامنية الخاصة في بغداد. و هو رجل اربعيني امريكي الجنسية يتمتع بقوام عضلي ممشوق وله لحية شقراء اسفل حنكه ويحمل على ذراعه الايسر وشم على شكل وجه نمر يبدو كأنه ناتئ من ذراعه لدقة رسمه بابعاد ثلاثية.

منتظرا تحديثا على المعلومات التي وردته عن اتجاه مهدي. نهض اوزيلينغ من مكتبه ليعد لنفسه قدرا من مخفوق مسحوق البروتين مع الحليب. فيما حملت لافتة سوداء خلف مكتبه صورة وسطها بدت كانها نسخة من وشم النمر على ذراعه واسفلها كتبت العبارة الانكليزية Black Sand.

تعتبر بلاك ساند من اكثر الشركات الامنية الخاصة في العالم رعبا. ولها الالاف من المرتزقة المنتشرين حول العالم والذين يتمتعون بقوة جسمانية وتدريب عال ومسلحين باحدث الاسلحة الخفيفة والمتوسطة. الى جانب عجلاتهم المصفحة وطائراتهم المروحية الصغيرة من طراز بيل وهيوي. تقدم تلك الشركة خدماتها للحكومات والشخصيات حول العالم لقاء اجور باهضة. ويحمل مرتزقة البلاك ساند مختلف الجنسيات الا انها شركة خاصة امريكية الصناعة.

في بغداد. كانت الحكومة العراقية الجديدة التي تسلمت الحكم بعد اقصاء الرئيس المختار قد استخدمت شركة البلاك ساند للقيام بمهام حماية شخصيات نافذة في البلاد. ذلك الامر تم بموجب اتفاق بعض الشخصيات في الحكومة والبرلمان العراقيين مع تلك الشركة للعمل على تمرير قرار استخدام البلاك ساند مقابل حصول تلك الشخصيات على عمولة من المال المدفوع للشركة من قبل الحكومة العراقية.

كانت مســالة فساد مالي بحته، الى جانب ضغوط مارستها جهات امريكية على الحكومــة العراقية للســماح لتلك الشركة بتقديم خدماتهــا في العراق بعد رحيل الرئيس المختار عن دفة حكم البلاد.

....

ضغطت مها على جرس منزل الدكتور حسام محمد صالح حيث كانت مع مهدي بانتظــاره وقد حملت عددا من الاوراق و قلم في يدها للتظاهر بكونها طالبة جائت لتســتقي معلومات عــن بحث تخرجها، خرج لهما الدكتور حســام بابتســامته العريضــة وادخلهمــا الى منزله، فيما كانت ســيارة الاجرة قد مــرت للتو من امام منزل الدكتور حسام ناقلة مايجري الى الجهة التي ارسلتها بتلك المهمة.

في تلــك الاثنــاء، كانت كاميرا المراقبة المثبتة على المنــزل المقابل لمنزل مهدي لاتزال تراقب الشــارع ومنزل المحامي بالخصوص، وقد لاحظت عودة سيارة الشيروكي الى ذلك الشارع من جديد وهي تسير بسرعتها المنخفضة.

الفصل 45

احس مهدي ومها بالدفء حالما دخلا صالة منزل الدكتور حسام محمد صالح. نظر مهدي الى الاثاث الكلاسيكي في الصالة والذي لم يتغير منذ سنواتٍ عرف بها الدكتور حسام. كانت صالة منزله شبيهة بمنازل الجنرالات الانكليز المتقاعدين. مدفاة زيتية وراس غزال محنط معلق في الجدار. فيما كانت قطته البيضاء المرقطة بالاسود "تارا" نائمة قرب المدفاة قريبا من كرسي هزاز يستخدمه الدكتور.

جلس الاثنان على اريكة تقابل الكرسي الهزاز للدكتور حسام الذي تركهما لوحدهما ودخل المطبخ. كان حسام يعيش منفردا في داره الواسعة تلك بعد ان خرج ابنيه من البلاد كلاجئين في احدى الدول الاوربية. فيما كانت زوجته مسافرة لتلبية دعوة ابنائها لزيارتهم.
ما ان عاد الدكتور الى الصالة. حتى شم مهدي ومها رائحة القهوة العربية التي اعدها لهم. اضفت ابتسامته الهادئة الاطمئنان على نفس مها التي كانت تشعر بغرابة المكان.

"حسنا استاذ. قلت لي بان طالبتك بحاجة الى المساعدة". قال الدكتور مقدما القهوة لهما.
"هذا ما اتصلت بك من اجله دكتور". قال مهدي وهو يبدا باعداد اجوبته لذلك الاختلاق.
"ما اسمك ؟". قال الدكتور لمها. اجابته بخجل. ثم قال لمهدي "من اين سنبدا الان استاذ ؟".
اجاب مهدي متمتما: "احم. دكتور. اعتبرني انا الطالب واريد ان افهم الانهيار الاقتصادي حق الفهم".

ضحك الدكتور حسام بعمق وقال: "طيب ياصديقي، ساشرح لكم الامر".

سحب نفسا عميقا واكمل: "يجب ان نفهم ان مايجري ليس محض صدفة، و ان من يملك صناعة المال بامكانه ان يدمره لماربه الخاصة بالطبع، ما نحن مقبلين عليه هو عصر نهاية العملة وسيادة المزارع والمعادن".
"المزارع ؟"، قال مهدي.
"نعم"، اجاب حسام، "ان كانت لديك مزرعة صغيرة فقد تبقيك حيا حين تستحيل العملات الورقية الى رماد".
عادت لذاكرة مهدي كلمات رسالة المختار:
يضرب ماسكته بابل من جديد..
ويستحيل القطن الى رماد..

"اكمل دكتور"، قالت مها وقد تظاهرت بتدوين ما سيقوله حسام في اوراقها..

تحدث الدكتور حسام: "لنبدا من البداية، منذ ان كان البشر يعملون بنظام المقايضة، ادخلت بعض حضارات العالم القديمة كالحضارة العراقية الذهب والفضة والنحاس كمسكوكات يتم بموجبها شراء السلع والخدمات، ولما كان الناس يخشون على ذهبهم من السرقة، اخترع احدهم خزانة حصينة ليحفظ بها ذهب اولئك الخائفين على ذهبهم، وبمقابل ذلك سلمهم عقودا وسندات لضمان حقهم في ذهبهم الذي اؤتمن عليه، من ذلك برزت فكرة صناعة العملة الورقية والتي اصبحت بديلا سهلا وناجحا عن استخدام الذهب، فانتشرت بذلك فكرة المصارف وايداع النفائس مقابل السندات والعملات، الى هنا كان كل شيء على مايرام، حتى امتدت ايادي الطامحين الى استعباد البشر الى المال وبدا ذلك في القرون الوسطى في اوربا، و تحديدا في فرانكفورت في المانيا".

نظر مهدي ومها بعضهم الى الاخر.. و اكمل الدكتور:

"كانت تلك بداية المؤامرة، حيث اجتمع ثلاثة عشر من كبار تجار الذهب والفضة ليبدأوا عملهم عند مصرف امشيل مايرباور والمعروف بروتشيلد، تلك العائلة اليهودية، وقرروا فرض سيطرتهم على الثروات والموارد الطبيعية والبشرية في العالم باسره عن طريق توحيد ثرواتهم كقوة مالية واحدة، فدبروا العديد من المكائد وعمليات التصفية ضد من وقف في طريق مشروعهم الشيطاني الرامي الى استعباد بني البشر عن طريق الاقتصاد، حدث ذلك بعد ان وجد المرابون اليهود انفسهم امام سخط الحكومات الاوربية التاريخي و الممتد منذ القرن الثالث عشر، حين قامت تلك الحكومات بترحيلهم قسرا بسبب مراباتهم التي مارسوها على الاخرين واحيانا على الفقراء اليهود انفسهم".

ارتشف شيئا من قهوته واكمل:

"لنعد الى روتشيلد وعائلته، لقد كان لليهودي لامشل موسى بلور ابنا اسمه امشل مايرباور، دربه والده على الصرافة والمال، توفي حين كان الابن في عامه الحادي عشر من العمر، بدا الابن حياته ككاتب في مصرف اوبنهايمر واثبت جدارته في كل مايتعلق بالصرافة، ما حدا بصاحب المصرف ان يدخله كشريك في مصرفه، ثم لم يلبث حتى عاد الى فرانكفورت ليدير المؤسسة المالية التي تركها له والده، اما تسمية روتشيلد فقد استقاها من الدرع الاحمر الذي كان موضوعا من عهد الاب فوق تلك المؤسسة، فقرر مايرباور اتخاذ ذلك الدرع اسما للعائلة، و(روت شيلد) بالالمانية تعني الدرع الاحمر.. وهكذا صارت عائلة روتشيلد".

استمر حسام شارحا فيما قفزت تارا الى حجره..

"كان لمايرباور خمسة اولاد اصبحوا بفعل تدريب اباهم عباقرة في المال والاقتصاد، حتى ان احدهم كان في الواحد والعشرين من العمر حين اوفده ابوه الى انكلترا للامساك بزمام اقتصادها، وكان ذاك هو ناثان روتشيلد، اما ابوه فقد اجتمع في فرانكفورت مع اثنا عشر من كبار الاغنياء لتوحيد الثروات معهم وتاسيس مجموعة اقتصادية واحدة سيكون لها الاثر في اثارة المشاكل الاقتصادية لصالح تلك الايدي".

"اثنا عشر رجل فقط ؟"، قالت مها.
"نعم مها، وستعرفين ما قام به هؤلاء الافراد".

اكمل حسام :
"كانت سيطرة روتشيلد قد فرضت على فرنسا بعد اتفاقه والاثنا عشر رجلا على خطة ينتهي بتنفيذها باحكام السيطرة على فرنسا اقتصاديا عن طريق مناوراتهم بثرواتهم متحدة، ماسيخلف ظروفا اقتصادية قلقة وحرجة، بحيث تتفشى البطالة في فرنسا بشكل واسع، وبذلك سيلقى اللوم على الملك والبلاط وطبقة النبلاء ورجال المصانع، الى جانب الطابور الخامس الماجور الذي سيعمل على اشاعة الخوف والفوضى، ثم يخرج من يطالب بالحقوق والانتفاض على السلطات، وفجاة بعد الثورة، سيجد الناس انفسهم امام حرية تامة، ماسيسمح باثارة النزعات الطبقية داخل المجتمع.
تلك الاجواء ستسمح للمتامرين بمد ايديهم نحو الاقتصاد، اما الحكام الجدد فليس امامهم سوى الاستدانة من اولئك الاثرياء لانعاش الاقتصاد المتهالك، وهذا طبعا يتم بالمراباة التي يطبقها المتامرون بثرواتهم على تلك الحكومات الفتية، مايجعل ناصيتها بيد اولئك الاثرياء وعلى راسهم روتشيلد".



قال مهدي و قد بدا مندمجا مع حسام: "لكن دكتور، الم تشعر تلك الحكومة بتلك اليد العابثة رغم كل ما فعلت ؟".

ضحك الدكتور وقال: "بل فعلت يا صديقي، لقد تلقت حينها ماري انطوانيت ملكة فرنسا رسالة من شقيقتها تنبهها فيها بوجود مؤامرة يلعبها اصحاب المصارف الكبار، لكن ماري لم تصدق ذلك، فلم تكن مقتنعة بان الماسونية في فرنسا باستطاعتها ايصال راسها الى المقصلة".

"الماسونية ؟"، قال مهدي متفاجأً.

اجاب حسام: "الماسونية ياصديقي ترتبط وثيقا بعائلة روتشيلد والمتحالفين معها، ان اهم اسلحة تلك الحركة طيلة تاريخها كانت الاقتصاد، الاعلام و القوة العسكرية، لذا فان خطأ ماري انطوانيت بتقدير قوة الماسونية في فرنسا اوصلها الى المقصلة فعلا، بعد ان عمل الماسونيون على تشويه سمعتها بيد وتجويع الفرنسيين بيد اخرى عن طريق المناورة بثرواتهم الضخمة، فثار الشعب الفرنسي على لويس السادس عشر وزوجته ماري انطوانيت وقضوا عليهم في ثورتهم الفرنسية".

"لكن الفرنسيون"، قالت مها، "اصبحوا احرارا بعد تلك الثورة وهم يحترمونها جدا"، اجاب الدكتور: "هذا صحيح، لكن الحرية تلك خدمت المتامرين ايضا، بل هي حريتهم بالتحكم بمصائر الشعوب، فالحكومات التي تشكلت بعد الثورة وجدت نفسها مستعبدة من المصرفيين الاثرياء الذين قدموا خدماتهم كمنقذين للاقتصاد الجديد، بينما هم يحكمون قبضتهم عليه".

"اذاً"، قال مهدي، "فرنسا كانت ضحية اولى لهم".

"وتلتها بريطانيا"، اجاب حسام، "فبعد اجتياح نابليون بونابرت لاوربا واعلان نفسه امبراطورا، كان ناثان روتشيلد قد وزع اخوته الاربعة على اوربا للتحكم في اقتصاد الامم الاوربية، وجعلوا من سويسرا مقرا لقيادتهم، لذا، بقيت سويسرا محايدة حتى يومنا هذا، الم تتسائلا عن سبب عدم خوض سويسرا لاية حروب حتى اليوم ؟، و ان اهم بنوك العالم تتخذها مقرا لها ؟".

تبادل مهدي ومها نظرات الاستغراب.. اكمل حسام:

"ان الربح الاكبر لروتشيلد ومن معه هو تجارة الحروب، فهم يثيرونها بين اي طرفين متقاربي القوة من اجل الكسب المادي واغراق الامم بالديون ثم القبض عليهم باموالهم، فسيطروا على مصانع السلاح وصناعة السفن والمناجم وافران الفولاذ وغيرها مما يستخدم لصناعة السلاح، هل تصدقون بان مادمر جيش نابليون لم يكن برد روسيا ؟ لقد كان قطع المؤنة عن جيشه بواسطة النظام الخفي، استطاعوا اجباره على ترك العرش في النهاية، فقد دمروا جيش نابوليون بشبكة من عملائهم استخدموهم لبث الاضطرابات والفوضى في جيشه، وهو امر لاتصمد امامه اقوى الجيوش، وعملوا على الجبهتين المتحاربتين معا، فهم يصنعون الحرب ويمدونها الى الحد الذي يشبع نزواتهم الجشعة ثم يوقفونها متى شاؤا وبالطريقة التي يشاؤون".

قال مهدي و قد عدل جلسته: "وماذا حدث مع بريطانيا ؟".

رد حسام: " لقد استعان ناثان روتشيلد الذي كان في باريس بشبكتين من العملاء، الاولى تعمل على معرفة نتائج المعركة التي يخوضوها نابليون ضد الجيش الانكليزي وكانت تلك معركة واترلو بينهما، والثانية في انكلترا تبث الاخبار التي

سيوصلها ناثان روتشيلد الى هناك، ولما تاكد ناثان من انتصار القوات الانكليزية، ارسل انباء معكوسة الى انكلترا وبث اشاعة هزيمة قواتها، فدب الرعب في نفوس الانكليز وانهارت السوق المالية انهيارا شديدا، وهبط سعر الجنيه الاسترليني الى شلن واحد فقط، عندها انتقل ناثان بسفينة صغيرة الى انكلترا وقام هناك بشراء كل مايمكن شراءه من سندات واراض واسهم وممتلكات هو وشركائه، وعندما وصلت الاخبار الحقيقية عن انتصار انكلترا، عادت الاسعار الى طبيعتها فحقق روتشيلد وحلفائه ارباحا خيالية، وفي ثلاث سنوات من التامر على فرنسا وبريطانيا، وصلت ثروة عائلة روتشيلد الى نحو 6 مليارات دولار بمختلف العملات، بل كانت تزيد بنحو 7% سنويا وهو رقم خيالي قياسا بقوة الدولار في تلك الفترة".

كان مهدي ومها يشعران بالصدمة لكلام الدكتور حسام الذي استرسل قائلا:

"واحتفالا بذلك النصر، اقرضت مؤسسة روتشيلد الحكومة الانكليزية 18 مليون جنيه استرليني لاصلاح الخراب الذي احدثته الحرب مع فرنسا، ولما مات ناثان روتشيلد، كانت قبضته قد احكمت على مصارف انكلترا".

"استاذ"، قالت مها، "انت شديد الايمان بنظرية المؤامرة !".
ضحك الدكتور حسام، و نهض حاملا قطته متجها الى مكتبته المهيبة، مر باصابعه على عدد من الكتب المرتبة ضمن الرفوف، و التفت الى مهدي و مها و قال:

"من الممكن تزييف التاريخ لعامين.. ثلاثة.. لكن لا يمكن تزييفه الى الابد، ما امامكم، كتب نصفه من قبل امريكيين و انكليز و صينيين، جميعهم اتفقوا على ان المؤامرة واحدة، و هي كما شرحتها لكم !".

افلت تارا و عاد ليجلس قبالة مهدي و مها. بينما اشعل مهدي سيكارة. ضاق اتساع عينيه و قال: "وماذا حدث بعد سقوط اقتصاد انكلترا بايديهم دكتور ؟".

تنهد حسام و قال:

"كانت وجهتهم التالية هي امريكا. حين التقى شركاء روتشيلد مع بنيامين فرانكلين. العالم و السياسي الامريكي. حينها عزا فرانكلين ازدهار المستعمرات الامريكية الى اصدار الامريكيين عملتهم بانفسهم بما يتناسب مع الحفاظ على اقتصادهم. تلك المعلومة لفتت انتباه ال روتشيلد. وكان الهدف استصدار قانون يمنع اصدار المستعمرات الامريكية لعملتها بنفسها. وتلك الامكانية جائت من كون امريكا لاتزال ولايات متفرقة تابعة للاستعمار البريطاني الذي احكم ناثان روتشيلد السيطرة عليه بالامس. كما انه في الحين ذاته. كان امشل ماير روتشيلد لايزال في المانيا يمد بريطانيا بالمرتزقة الالمان مقابل 8 ليرات استرلينية لكل جندي. فكان نفوذه كافيا لاصدار القانون المطلوب للسيطرة على اقتصاد امريكا. وهكذا لم تعد للاوراق المالية الامريكية قيمة تذكر. فكان على المستعمرات الامريكية ان تودع في بنك انكلترا المسيطر عليه اصلا من قبل روتشيلد مبالغ وضمانات للحصول على العملة المطلوبة لها. لقد بدأ الاستياء في امريكا يتفاقم بين الامريكيين من النظام الجديد. وادرك القليلون منهم ان الضرائب الباهضة والعقوبات الاقتصادية التي فرضت عليهم انما تضعها اياد جشعة خفية سيطرت على الخزينة البريطانية".

شعر مهدي بكلام حسام كماءٍ يروي ارض فضوله المتعطشة. اكمل حسام مستطردا:

"بعد استقلال امريكا واعلان جورج واشنطن رئيسا لها. كانت الصدامات المسلحة بين البريطانين وابناء المستعمرات قد بدأت. ذلك الصراع الذي دام سبعة

اعـــوام تعـهـد فيـه المرابـــون بتمويله. لقـد جنـوا منـه ارباحـا طائلـــة عـن طريـق مـد الحكومـة البريطانيـــة بالمرتزقة الالمـــان حتى اعلن استســـلام الجيش البريطاني واســـتقلال امريكا رسميا عام 1783. لقد كان الخاسر الوحيد هو الشعب البريطاني. فقد ازداد الدين القومي البريطاني بشكل هائل مما مهد لتفكيك الامبراطورية البريطانية على ايدي المرابين.
اما امريكا الفتية. فقد انشا اولئك المرابون فيها ما اسموه البنك الفدرالي كمصرف تابـع للقطاع الخاص و كداعم لابقاء اصـــدار العملة بيد الحكومة المنتخبة. الا انه كان يعمـــل عكس ذلك تماما. فكان راســـمال المصرف الاتحادي هـــذا 12 مليون دولار علـــى ان يقترض من مصـــرف انكلترا 10 ملايـــين دولار ويســـاهم بالمليونين الاخرين اثريـــاء امريكا. وهنا. عادت امريكا الى المرابين المســـيطرين اصـــلا على بنك انكلترا. ولم يكتفوا بذلك فقد احكموا قبضـــتهم على ماتبقى من الخزانة الامريكية بعد ســـنوات. واشـــتروا ما مقداره 250 الف دولار ليعود الى ملكيتهم ايضا. فاصبحت الخزينـــة الامريكيـــة بكاملهـــا تحـــت ايديهـــم. كما منعـــوا لاحقا بفعـــل نفوذهم بالكونغرس المصرف الامريكي من حقه باصـــدار عملته الخاصـــة. بحجة ان النقد الذي يصـــدره الكونغرس سيكون عديم الفائدة في الخارج. في حين ان النقد المستند الى قروض وضـــمانات سيتمتع بضمانه قانونية. وهكذا. احكموا سيطرتهم على المال في امريكا. وهنا و في هذه المرحلة. لعب الاعلام لعبته. بان روج لافكار الرفاهية والبنـــاء. فاســـتثمر الامريكييـــون اموالهم. عندها. اصـــدرت مجموعة روتشـــيلد تعليمات سرية بالتوقف عن تقديم العروض والضـــمانات. وضغط العملة المتداولة في الاســـواق. ماخلف ازمة مالية حادة ادت الى انهيار اقتصـــادي مريع وانخفضـــت الاسعار كما حصل في انكلترا. فاشترى المرابون عقارات و ضمانات بملايين الدولارات. وازدادت بذلك ســـيطرتهم على اقتصاد امريكا الفتي. وعندما تنبه الامريكيون الى افعال القوى الخفية. احدث المرابون حربا جديدة لافقار الخزينة الامريكية حتى تركع لطلب المزيد من القروض. وحصـــل ذلـــك. وافق المرابون على منح المزيد من القروض مقابل تجديد امتياز مصرف امريكا ليستمر بلعبته تلك".

شـــعر مهدي بثقل كلام الدكتور حســـام على ذهنه لثرائه بالمعلومات الاقتصادية التاريخية التي ضخها فجاة عليه.
"دكتور هلا تحدثنا عن ازمتنا الحالية ؟".
نظـــر له حســـام نظرة جدية وقال: "اســـتاذ مهدي، ينبغي ان تعـــرف ان الزمن الذي يتقـــدم منذ ذلك التاريخ الى اليوم يقلل يوما بعد يـــوم من قيمة الدولار الامريكي، تلك هي نقطة البداية ان اردت التحدث عن زمننا الحالي".

"كيف ؟"، قال مهدي.

رمق الدكتور قطته التي ربضت عند المدفأة ثم قال:
"لقد احكمت عائلة روتشـــيلد السيطرة على الاقتصاد الامريكي عندما اسست البنك الفدرالي الامريكي و المعروف بـFed، و المتخصـــص بطباعة العملة، بل انها ومـــن معها مـــن عائلات كبرى كعائلة روكلفـــر وعائلة مورغان، قد اطاحت بســـتة رؤســـاء امريكيـــين تجاسروا على الوقـــوف بوجه تطلعاتهم الاقتصـــادية عن طريق محاولة اولئك الرؤســـاء الحد من ســـيطرة البنك الفـــدرالي الامريكي على الدولار".
تنهد وقال، "وكان اخر اولئك الرؤساء جون كنيدي الذي اغتيل امام كاميرات التلفاز علنا.
اليـــوم، لايســـمح للكونغرس ولا المخابـــرات الامريكية ولا حتـــى الرئيس الامريكي بـــان يملي على البنـــك الفدرالي مايجب عليه فعله وما لا يجب، ببســـاطة، هم من يطبعون عملة الدولار بالقدر الذي يناسب حاجتهم وفي الوقت المناسب".

"حتى الرئيس الامريكي ؟"، قالت مها باستغراب.

"نعم مها"، اجاب حسام، "بالمناسبة ليس للورق ثقة ابدا كعملة، الثقة الوحيدة هي للذهب ولناخذ مثالا عن ذلك، لقد استقر سعر الدولار الامريكي لاكثر من مئة عام لانه كان لايطبع الا اذا كان لدى الخزينة الامريكية مايعادله من الذهب، حتى تورطت امريكا في حرب فيتنام التي انهكت اقتصادها كثيرا مما دفع الرئيس نيكسون عام 1970 لاعلان فك ارتباط الدولار بخزين الذهب ليوفر مساحة حرية طباعة الدولار دون تقيد بحجم خزينه الذهبي، منذ ذلك الحين بدا البنك الفدرالي هذا بطباعة العملة وفق مايتناسب مع طلبها في السوق وبدون تحدد، وكلما استنفذت المصارف خزينتها بالاقراض طبع لهم البنك الفدرالي ذاك الدولار بالارقام المطلوبة، ومنحها لتلك البنوك بفوائد طبعا، ماسبب زيادة في كمية الاوراق المالية من الدولار مقابل انخفاض قيمتها الشرائية، اسالك سؤالا مها: ماذا يمكنك ان تفعلين الان اذا اعطيتك 400 دولار وارسلتك الى السوق ؟".

فكرت مها وقالت مبتسمة: "ساشتري فستانين راقية مع حقائب واحذية بكعوب عالية !".

ضحك الدكتور حسام عميقا وقال: "يالعقل النساء كم هن مبذرات !".

طأطأت مها راسها خجلا، و نظر لها حسام نظرة حادة وقال:
"هل تعلمين بان هذه الـ400 دولار عام 1920 كانت ستحصل لك على سيارة جديدة من شركة سيارات امريكية وحديثة وبموديل تلك السنة ؟".

بلعت مها ريقها متفاجئة، اكمل حسام: "هل لاحظتم انخفاض قيمة الدولارعبر هذه السنين؟ تلك السيارة بالامكان شراءها بـ20 اونسة ذهب، اما الان فان سيارة من نفس الطراز بموديل هذا العام ستكلفك عشرات الالاف من الدولارات... لكن

بعشرين اونسة ذهب ايضا !".

قالت مها مترددة: "تعني ان الذهب لم يتغير قيمته كما المال؟".

"تماما". قال حسام. "الطبيعة الام عزيزتي، هذا مايفسر انخفاض قيمة الدولار، الطباعة المستمرة له التي تسبب تضخم العملة، اي انخفاض قيمتها".

"دكتور". قال مهدي وهو يحك اذنه. "لم تخبرنا عن ازمتنا الحالية".

"لم الاستعجال يا صديقي؟". قال حسام. "لكل حدث اصل، وان اردت سبق استعجالك فساخبرك بما يجري اليوم، كما اخبرتكم فان الكم الهائل من الدولار المتوفر الان في امريكا والعالم سيخضع لهزة متعمدة يقوم بها احفاد رجال المال الذين سيطروا على اقتصادات فرنسا وبريطانيا وامريكا في السابق، والذين شرحت لكم ماقاموا به الان، كل مايقومون به هو اثارة حالة الرعب والهلع بين الناس عن ازمة اقتصادية، وذلك لاياتي من فراغ، فسادة المال يسحبون اموالهم دفعة واحدة من اسواق البورصة مايدفعها للانهيار، تنجم عن ذلك حالة الهلع الاقتصادي، سيقبض الناس على مالديهم من اموال دون تبديده بينما يسعى الاخرون الى سحب ودائعهم من المصارف التي تبدا بالافلاس اثر ذلك، وتتساقط الواحد تلو الاخر كاحجار الدومينو بسبب الاعسار المصرفي الذي تتسبب به زيادة المدفوعات للمودعين مقابل قلة الواردات. انهيار المصارف هذا سيزيد من حالة الهلع الاقتصادي، ومن اجل ان تعمل الدولة على طمانة الشعب و تدفعهم الى بذل ما لديهم من المال في شراء السلع و الخدمات و اعادة النشاط الاقتصادي، ستقوم بطبع المزيد من العملة عن طريق البنك الفدرالي وضخها الى السوق، فحالة القبض على المال ستسبب البطالة والكساد. فتعمل الحكومة على اعادة

النشاط للسوق عن طريق ضخ المزيد من الدولار، الا ان الهلع الاقتصادي لايزال موجودا، فتطبع الحكومة المزيد والمزيد من المال ثم بحركة اعلامية اقتصادية واحدة يطمئن السوق الى الاستقرار، سيعمل المواطنون على صرف مالديهم من كميات اصبحت هائلة من المال بسبب الطباعة المستمرة للعملة وتوفرها، وعندما يبدأون لشراء السلع والخدمات مطمئنين للاستقرار المتحقق، سيغرق السوق بالدولارات الكثيرة وستقوض قيمته، مايعني بداية الانهيار الاقتصادي بالنسبة للدولار وهذا مانعيشه حاليا".

"ماغاية من يتلاعب هكذا في كل ذلك ؟"، قالت مها.

"ولو افترضنا"، قال مهدي، "اننا في بلادنا استبدلنا ما لدينا من العملة الصعبة (الدولار) باليورو، هل سيجنبنا ذلك ماسيلحق بالدولار من ضرر ؟".

رد حسام: "اليورو الين واليوان جميعا، عندما ينهار الدولار، ستعتمد الولايات المتحدة على على انزال مالديها من عملات اجنبية لامتصاص دولاراتها الزائدة من السوق لارجاع قيمتها، وبذلك ستنخفض قيمة تلك العملات لكثرة ضخها من قبل الولايات المتحدة، ولتجنب تلك الدول انهيار عملاتها ستقوم بانزال مالديها من دولار للبيع.
تخيل ان الصين حدها تمتلك نحو اربعة تريليونات دولار امريكي وستقوم ببيعها في السوق لاستعادة قيمة عملتها، سيحقق ذلك انهيار الدولار تماما، كذلك اوربا واليابان، تريليونات الدولارات التي في ايديهم ستباع لانقاذ عملاتهم مايسبب نهاية الدولار، وهكذا تسعى كل دولة لانقاذ عملتها ببيع العملة الاخرى، وفي النهاية، ينهار المال بكل عملاته حول العالم ويكون عصر الذهب قد بدا، اما عن غاية من يتلاعب بالمال في كل ذلك، فانه طوال قرون من سيطرة بارونات المال والعملة على

اقتصـــادات دول العـــالم، فقد حققوا الحصـــول عـــى كميات هائلة مـــن الذهب في ايديهم، ولدى انهيار العملات الورقية و البورصـــات ســـيعود العالم الى الذهب، اي انه ســـيعود اليهم، ســـتكون تلك مرحلة اعادة الدول بناء اقتصـــادها وفق النظام الجديد، مايعني الاســـتدانة والاقتراض وتقديم التنازلات لهم للحصول على الذهب، اي ان العالم برمته سيركع لهم ولذهبهم، هذه هي الغاية النهائية".

فكـــر مهدي في الحصـــول علـــى اجابة عما يجـــول في ذهنه من التفكـــير بالتوقيت المناسب للبدء بالبحث عن كنز المختار.
"طيب دكتور، هل يكفي مالدينا من ذهب في خزينة البلاد للنجاة من هذه الكارثة؟".

اجـــاب حســـام: "قطعا لا، مانملكـــه من اطنان مـــن الذهب لن يكفـــي، ولا تنس ان العـــراق لايزال مدانا للعديد من الدول والشركات في العالم بســـبب حروبه المتكررة والمســـتمرة، نحن بحاجة الى اطنان اضـــافية من الذهب للنجاة، على الاقل لتكون تلك الكميات نواة بناء النظام الاقتصـــادي الجديد للعراق وفق النظام الاقتصـــادي الجديد في العالم".

ســـال مهدي مجددا: "لو كان لدى العراق منجم من الذهب مثلا، هل يتوجب عليه الشروع فورا باســـتخراج الذهب منه ام ان عليه الانتظار حتى يصـــل سعر الذهب الى ذروته ؟".

فكر حسام قليلا ثم قال: "مهدي، اذا كان ذلك المنجم بحاجة الى اشهر لاستخراج مافيه من الذهب فسيكون الاوان قد فات، نحتاج الى الذهب الان وهذا مستحيل.. الانهيار قادم لا محالة !".

اتكأ مهدي وهو يشعر بثقل المسوؤلية التي القيت عليه..
يجب البحث عن كنز المختار.. الان !

"طيب دكتور ناسف لاننا شغلناك كثيرا باسئلتنا، يجب ان نذهب الان"، قال مهدي و قد اشار لمها بالنهوض.

رد حسام: "الى اين؟ لم تخبرني عما جرى للرئيس المختار؟".
اجاب مهدي: "سأخبرك بكل التفاصيل حال تأكدي مما حدث دكتور، اما الان فعلينا الذهاب".

لم يعجب حسام كثيرا برد مهدي، لكنه قال: "حسنا، اتمنى ان تكون طالبتك قد استفادت من حديثنا، بل اتمنى ان تنجز بحثها قبل ان يكون الاوان قد فات واصبح مافيه شيئا من التاريخ ".
ابتسم مهدي واطفا سيكارته، نهض ومها استعدادا للمغادرة وقد نهض حسام لتوديعهم.

....

بعد ربع ساعة من مغادرة مهدي ومها لشارع منزل الدكتور حسام بسيارة مها الصغيرة، تفاجأ حسام باربعة رجال يقتحمون منزله مرتدين ملابس مدنية وهم يشهرون مسدساتهم، اعصبوا عينيه واقتادوه و قطته تارا التي اصر على اخذها معه بسيارة دفع رباعي الى جهة مجهولة.

الفصل 46

كانت سيارة مها تشق طريقها في شوارع بغداد التي لاتزال مبللة بفعل زخات الامطار المتقطعة.

"الى نصب الشهيد مها"، قال مهدي ذلك وهو يشعر بالخوف لما كان قد سمعه من الدكتور حسام عن الانهيار القادم. "يجب ايجاد الذهب في اسرع وقت ممكن".

ضغطت مها على دواسة الوقود وهي تحاول المناورة بين السيارات والاسراع بالوصول الى وجهتهم المطلوبة. فنصب الشهيد يبعد عن منطقة الجادرية مسافة نحو ربع ساعة بالسيارة. حاولت مها الاسراع لبلوغه وهي تشعر بالفضول عما خباه الرئيس هناك.

يقع نصب الشهيد العراقي وسط جانب الرصافة من بغداد بين شارع فلسطين وطريق قناة الجيش السريع. شيد عام 1986. ويتكون بشكل رئيسي من قبة عباسية شطرت الى نصفين وهي تشهق بارتفاع 40 مترا وقد تم اكساءها بالقرميد الازرق المقاوم للظروف الجوية. ويرتفع من بين نصفي القبة الهائلين علم عراقي بارتفاع 3 امتار برز من الارضية وقد التف عليه علم اخر اشارة الى ان قبر الشهيد قد انشطر فيما لاتزال روحه المتمثلة بالعلم على اتصال بالسماء. والى القرب من العلم الملتف. يقع ينبوع ماء دائري الشكل وقد برزت من وسطه نافورات تغدق الماء الذي ينهال على ارضية في الطابق السفلي من النصب كرمزية الى تجدد الدماء للدفاع عن البلاد. ويحيط بينبوع الماء ذاك اطار اسود نقشت عليه ابيات شعر عربية نقلت عن شعراء عرب وقد كتبوها بحق الشهداء. و تنتصب القبة المشطورة ومابينها من علم وينبوع ماء على منصة دائرية من المرمر الابيض قطرها 195 مترا.

وهي تجثم على متحف سـفلي يمتد على طول اتساع المنصة بشكل دائري، بينما يجثم هذا الطاقم باكمله على بحيرة صناعية واسعة، واستخدم الخداع البصري في ذلك النصـب بشـكل واضح، فالمرور بالسـيارة في الشـوارع المحيطة به يبدي شكل شـطري القبة منطبقتان على بعضـهما، فيما يبدان بالانشطار تدريجيا مـع اسـتمرار المشـاهد بالتحرك ليفصـحا عمـا بينهما من علـم عراقي يلتف نحوالسماء، ثم مايلبثا ان يعودا للانطباق من جديد.

كانت لاتزال سـيارة الاجرة تراقب عن كثب توجه سـيارة مهـا عابرة الخط السريع باتجاه شـارع فلسطين، فيما كانت معلومات ذلك التوجه تصل اول باول الى الجهة التي ارسلت تلك السيارة.

في مكتبـه، كان اوريلنيـغ لايزال يتابع الاخبـار التي ترده عن جهاز التتبع الملصـق اسفل سيارة مها.

الفصل 47

في ذلك المساء، كان البروفيسور سالم جرجيس قد تسلم التقرير النهائي لسبب وفاة صاحب الجثة 3297، وكان السبب كما فهمه من حالة الجثة حين شاهدها للمرة الاولى..

اغتيال بمادة سيانيد الهيدروجين.

تعتبر مادة سيانيد الهيدروجين من اكثر الغازات استخداما في عمليات الاغتيال الصامتة، حيث انها من المواد الشديدة السمية القاتلة والتي لاتاخذ وقتا في قتل الضحية اذا ما اعطيت بجرعة كافية، وتكفي منها كمية لاتتجاوز 0.2 من الغرام لقتل ضحية بالغة، ويستخدم السيانيد كمادة سائلة لغاز مضغوط يتحول عند انفلاته الى غاز قاتل، وهو غاز ليس له لون ورائحته اشبه برائحة اللوز المر.

وفسيولوجيا، فان دخول شاردة السيانيد الى جهاز الدوران يحول خضاب الدم الى مادة سيانيد الهيموغلوبين، وهوشكل غير فعال في نقل الاوكسجين الماخوذ من عملية التنفس الى اعماق الانسجة، حيث يتسبب دخول الغاز في تسارع تنفس الضحية وشعوره بالاختناق ثم مايلبث ان يفقد الوعي، عندها يتوقف القلب ويحدث الموت المفاجئ.

طوى البروفسور جرجيس اوراق نتائج التحاليل التي وصلته وخطا عائدا الى غرفته في مبنى دائرة الطب العدلي.

في تلــك الاثناء، كان اللواء ماهر عبد الفتاح قد انهى اتصــالا مع مدير دائرة الطب العدلي، اغلق الهاتف وامر احد مساعديه بارسال عجلة تابعة للمخابرات لاحضار البروفســور ســالم جرجيس الى المنطقة الخضراء من اجل البدء بتحضــيرات مؤتمر صحفي امام وسائل الاعلام سيشرح فيه جرجيس كرئيس للجنة التشريح سبب وفاة الرئيس كما هو مخطط له.
بالسكتة القلبية.

....

كانت الســلطات العراقية قد اغلقت نصــب الشــهيد العراقــي بوجه المواطنين والســياح بعد احداث 2003، حيث تســلمت النصــب من القوات الامريكية التي اتخذته لفترة مقرا لها، وســمحت تلك الســلطات لاحقا لبعض طلبة السفرات المدرسية بدخوله فقط، فنصب بهذه الضخامة والاهمية لايمكن افتتاحه بشكل كامــل في تلك الظروف خصوصــا مع وجــود امكانية اســتهدافه من قبل جهات متطرفة.
وصــلت سيارة مها الى المدخل الرئيسي لنصب الشهيد في شارع فلسطين، اشار احد افراد الشرطة للسيارة بالتوقف، وعند توقفها، اقترب رجل الامن من نافذة مها التي انزلتها وهي تستقبل الشرطي بابتسامة فاتنة.

"الى اين سيدتي ؟"، سال الشرطي.

"ارجــو المعذرة"، قالت مها، "لكننــي اعتقدت ان بامكاننا زيارة النصــب والدخول اليه"، ثم اســتطردت، "اســمي مها، وانا اعلامية جديدة في صحيفة خاصة، وددت التجول في النصب مع السيد مهدي لاعداد مقال صحفي عنه بعد احداث 2003، نتمنى ان تساعدنا !".

قطب رجل الامن حاجبيه فيما اخذت عيناه تتطلعان على جمال مها وانوثتها الطاغية.

"طيب"، ونظر الى مهدي، "وماعمل الاستاذ مهدي ؟".
تلعثمت مها قليلا، الا ان مهدي انقذ الموقف: "في الحقيقة، فانا صديق والدها، وهذه زيارتها الاولى للنصب، لقد جئت معها كمرشد سياحي باعتباري قد زرت النصب من قبل، لن نستغرق اكثر من نصف ساعة هنا".

تراجع الشرطي واخرج جهاز الاتصال خاصته واجرى نداءا اوضح فيه لرئيسه مايجري، انهى الاتصال واقترب منهما، "انسة مها، هل من هوية تثبت عملك كصحفية ؟".
اجابت مها مبتسمة: "قلت لك، لازلت جديدة في هذه المهنة، قد يمنحني ذلك التقرير الهوية كصحفية مقبولة في تلك الصحيفة".

"طيب"، قال الشرطي، "بامكانكما رصف سيارتكما عند المدخل والمضي مشيا الى داخل النصب".
"شكرا لك"، قالت مها، "سازودك بنسخة من العدد الذي سينشر فيه التقرير".

ابتسم الشرطي فيما حركت مها السيارة ورصفتها عند المدخل.
"ايتها الكاذبة البارعة!"، قال مهدي وسط ضحكات مها التي شعرت بامكانيتها في الخداع.

على مقربة من النصب وفي شارع فلسطين، كانت سيارة اجرة صفراء قد توقفت وترجل منها رجل اربعيني وقد فتح غطاء محركها، تظاهر باصلاح عطل في السيارة بينما كان يراقب دخول مهدي ومها الى داخل "نصب الشهيد".

الفصل 48

كان مهدي ومها قد عبرا مدخل نصب الشهيد مشيا واصبحا على الطريق المؤدي الى نصفي القبة الزرقاء، حيث كان عليهما ان يسيرا لخمسمئة متر على المرمر الابيض الممتد من المدخل الى مركز النصب، نظر مهدي الى مها التي كانت تخث الخطى الى جانبه، "مها، ما الذي جعلك متاكدة من ان المختار يقصد هذا المكان برسالته ؟".

اجابت مها، "استاذ ببساطة، فان القبر الازرق هو النصب، اما عبارة يقوم على اعمدة من ارواح فان الصحن الرئيسي للنصب يجثم على متحف اسفله، وحسب معلوماتي فان جدران ذلك المتحف حفرت عليها اسماء الجنود الذين سقطوا في الحرب على شكل اعمدة، يجب ان نعثر على العمود الاول ونبحث فيه عن الاسم الرابع والاربعون وهو ما اشار له المختار باللبنة الرابعة والاربعين".

كان مهدي يستمع اليها وقد اعجبه تفسيرها الذي بدا منطقيا جدا.

تتبع ارواح الموتى الاحياء..
في قبرٍ ازرق..
يقوم على اعمدةٍ من ارواح..
في العمود الرخامي الاول..
في اللبنة الرابعة والاربعين..
يقف الرجل الثاني حاملا حمامة الزاجل..

كان مهدي قد زار النصب ايام حكم نظام صدام حسين، وهو يعرف جيدا ان الجدران الداخلية للمتحف والخارجية للخندق المحيط به تغص باسماء مئات الالاف من الجنود.
استرجع ذكرياته، كان مما يذكره جدران محفورة عليها اسماء مرتبة ابجديا مع حروف تشير الى رتب المقاتلين، "لااذكر من اين تبدا واين تنتهي، سنسال احدا ما مها".

وصل الاثنان الى درج يقود الى اسفل الصحن الذي يتربع عليه نصفا القبة، نزلا الدرجات واصبحا في الخندق المحيط بالمتحف الارضي من الخارج، اصبحت الحدائق المحيطة بالخندق خلفهما وهما يواجهان جدار الاسماء امامهما وقد توسطه باب من الزجاج يبدو انه المدخل الرئيسي للمتحف الارضي، كان الباب يبدو مغلقا، نظرا الى الجدار الرخامي الذي يطوق المتحف من الخارج، فيما كان السقف فوقهما جزءا من القرص الواسع الذي تنتصب فوقه القبة بنصفيها.

نظرت مها الى عامل نظافة كان يمر قريبا وقالت: "لنساله استاذ". اومأ مهدي ونادت مها على العامل الذي اقترب والقى التحية.

"من فضلك، وددت ان اسال عن المدخل الى متحف النصب". اشار العامل الى باب قريبة على اليمين، شكرته مها وخطت مع مهدي الى الباب.

لدى دخولهما الباب، وجد مهدي ومها نفسيهما يطلان على قاعة صغيرة للمؤتمرات بمقاعد حمراء داكنة على شكل مدرج، استمرا بالتقدم فصادفهما شاب في العشرينات من العمر.
"تفضلا !". ابتسمت له مها وقالت: "انا مها، صحفية..".

قاطعها الشاب مبتسما وقال: "صاحبة التقرير الصحفي، لقد كنت بانتظاركما، اخبرني امر قوة الحماية بقدومكما، تفضلا من هنا".

نظرت مها الى مهدي وفهم الاخير نظرتها..

يجب ان لايرافقنا هذا الشاب!

لم يرد الاثنان اطلاع احد على مايبحثان عنه.

"وددت ان.."، قالت مها للشاب، "اشكرك على لطفك، السيد مهدي يعرف النصب جيدا، سنكون بخير وحدنا، اذا احتجنا اي مساعدة سنخبرك".

قطب الشاب حاجبيه وقال: "حسنا، ادخلا من قاعة المؤتمرات وانزلا الى بداية المتحف وتجولا انطلاقا منها فيه، غرفتي هنا ان احتجتما اية مساعدة"،. واشار الى غرفة كانت اعلى قاعة المؤتمرات.

شكر مهدي الشاب وانطلقا نازلين الى ارض القاعة، كانت باب صغيرة في تلك القاعة تؤدي الى مدخل المتحف، عبرها مهدي ومها فوجدا نفسيهما في مكان فسيح، لفتت انظارهما على اليسار ارضية دائرية بلون فاتح وقد توسطتها قطعة مكعبة بدت كمقعد صغير، نظر الاثنان الى السقف الذي يعلو الدائرة، كان العلم العراقي البارز بين القبتين يبدو من الاسفل وقد دخلت اشعة الضوء من حافاته الزجاجية لتنير الارضية الدائرية، بدا مشهدا خلابا.

انعطف الاثنان الى اليمين حيث بداية المتحف، كان على يسارهما حاجز زجاجي تبدو خلفه المياه الساقطة من الينبوع في الاعلى، استمرا متقدمين نحو بداية المتحف الواسع، كان المتحف يمر بشكل دائري قطره 190 مترا حيث يستطيع السائر فيه ان يكمل دورة كاملة مارا بالجدران ذات الاسماء و المعارض الزجاجية لمقتنيات ضحايا نظام البعث، حيث تم استبدال مقتنيات الجنود الذين سقطوا في

الحـــرب العـراقيـة الايرانيـة بمقتنيات مـواطنين وسيـاســيين ورجـال دين اعـدمهـم نظام صـدام حســين، وبعـد ذلـك وبعـد المرور بالمتحف الـدائري الواسـع، يجـد الـسـائر نفسـه في ذات المكـان الـذي انطلـق منـه بعـد اتمامـه الـدوران لـ 360 درجـة.

تابع مهدي ومهـا الاحرف التـي تبدا بهـا اسـمـاء الجنـود المحفورة علـى الجدران الداخليـة للمتحــف، لاحظـا ان تلك الاســمـاء تبدا باحرف متـأخـرة في حــروف الهجـاء العـربي، اســتمرا باحثيين عـن الحرف (أ) كحرف اول في الاسمـاء علـى امل العـثور علـى العـمـود الاول منهـا.

ذهلت مهـا لما تشـاهـده مـن متحف واسع تحت النصـب، فتلك هـي المرة الاولى لهـا هنـا منذ ان زارت النصـــب كطفـلـة في المدرسـة الابتـدائيـة حيث زارتـه في سـفـرة مـدرسـيـة ذات مرة، كـان المنـظـر رائعـا، فتحـت سـقـف مـرتفـع وانـارة خـلابـة، كـانـت الارضـيـة اللامعـة مـن المرمر تعـكـس انـارة السـقـوف المستديرة علـى طـول المتحف الـدائري الـفـسـيـح، تابـع الاثنـان الاسمـاء علـى الجـدران، لم تكـن الا تبتعـد عـن الحروف الـهجـائيـة العـربيـة الاولى.

في تلك الاثنـاء، كـانت لاتزال ســيـارة الاجرة متـوقـفـة علـى مقربـة مـن النصـــب، ولازال الـرجـل الاربعـيـنـي يتظاهـر باصــلاحهـا، حيـث بـدات الـســمـاء بـانـزال قـطـرات زخـة اخـرى مــن امطـارهـا، مـا اضـــطـر الرجـل الى اغـلاق غـطـاء المحـرك والـدخـول الى ســيـارتـه وقـد فتح اشـارتـي السـيـارة الـصـفـراوين وبقـي يراقب مـن داخـلـهـا.

امـا ســكـوت اوزيلينغ، فقـد كـان مرتاحـا في مكـتبـه وهـو يتابع عـن طريق فـريق المراقبـة خـاصتـه تحركـات سيـارة مهـا، وهـو يعـلـم الان انـهـا مـركـونـة عنـد بوابـة نصـب الشـهـيـد في شـارع فلسطين.

بعد مضي نحو ربع ساعة قضاها مهدي ومها في البحث عن اسماء الجنود البادئة بحرف (أ)، وجدا نفسيهما تحت العلم المعلق في سقف النصب مجددا، لقد عادا الى ذات النقطة دون العثور على مرادهما.

"اخشى ان علينا ان نسال الشاب الذي التقانا لدى دخولنا"، قال مهدي.
ردت مها مازحة: "لاتقلق استاذ، لقد عرفت امكانياتي في التظليل، لنمضِ ونساله".

ابتسم مهدي نصف ابتسامة وخطى مع مها الى قاعة المؤتمرات مجددا في الطريق الى غرفة الشاب، صعد الاثنان الى غرفة الشاب الذي كان يجلس خلف حاسوبه، القيا التحية، قالت له مها: "استمتعنا جدا بالتجول في المتحف، فقط اردت ان اسال عن المكان الذي تبدا منه الاسماء، فلم نعثر عليه داخله".

ابتسم الشاب وقال: "لو انكما سالتماني لما احتجتما الى البحث عنه في المتحف، فبداية الاسماء تبدا في الجدار الخارجي لمتحف النصب و ليس الداخلي منه !"، استغرب الاثنان مما قاله، نهض الشاب وخطا نحو باب الغرفة: "اتبعاني".

تحرك الاثنان خلفه وهو يسير عائدا الى الباب المؤدي الى الخندق الخارجي المقابل للحدائق، شعر مهدي ومها بنقاوة الهواء البارد حيث كانت السماء تزخ رذاذا من المطر الذي كان يحميهما منه السقف الدائري لصحن القبة المنشطرة، بعد خطوات قليلة نحو السلم الذي دخلا منه الى الخندق، توقف الشاب ونظر اليهما ثم اشار الى الجدار الرخامي.

"من هنا تبدا الاســماء"، قال الشــاب و هو يشــير الى قطعة من الجدار. نظر مهدي ومهــا الى الجــدار المحفور عليــه اســماء المقاتلين. وفعــلا، كانت جميع الاســماء المحفورة عليه تبدا بالحرف (أ). اقترب مهدي من الجدار واقتربت معه مها. لقد كانت رتب الجنود مكتوبة بحروف مختصرة تســتبق اســمائهم. في تلك الاثناء، نادى احد العاملين في النصــب على الشاب الذي رافق مهدي ومها. استاذن منهما وانصرف تاركا اياهما امام العمود الاول من اسماء الجنود.

نظر مهدي الى الجدار المقصود. و بدا يقرا الاسماء المكتوبة بدءاً من الاسم الاول:

جـ أ ابا الغائب علي حسن..

"لقد وصلنا استاذ. يجب ان نعد حتى الاسم الرابع والاربعين"، قالت مها.

بدا الاثنان بالعد:

جندي اباذر ابراهيم صالح سعيد

ن ع اباذر جابر عداوة منوفي

عدا حتى وصلا الى الاسم الرابع و الاربعون كما اشارت رسالة الرئيس. و قرآ الاسم معا:

جـ أ ابراهيم احمد محمود

نظرت مها الى مهدي وقالت مستغربة: "ممم. وماذا يعني ذلك ؟".

كان مهدي صامتا وقد كتف ذراعيه ووضع يده على فمه..

كسر صمته بكلمات قليلة..

"مها..

انه اسم *والدي* !".

الفصل 49

الثالثة مساءا بتوقيت بغداد.

كان مهدي ومها يقفان امام الاسم الرابع والاربعين من العمود الاول من اسماء الجنود المحفورة على الجدار الخارجي لخندق نصب الشهيد. فيما راحت السماء تزيد زخ امطارها على النصب الهائل الشامخ فوقهما.

تذكرت مها اسم والد استاذها حين استرجعت ذاكرتها اسم مهدي الكامل الذي كتبته على غلاف بحث تخرجها الذي تعده. حيث كتب اسم استاذها الكامل كمشرف على البحث.

البحث باشراف
أ.مهدي ابراهيم احمد محمود العلي.

كان مهدي لايزال محدقا باسم والده امامه. لقد كان ذلك اسم احد الجنود المحفورة اسمائهم على جدران النصب وهو مطابق تماما لاسم والده. وقد استغل المختار تلك المطابقة ليشير الى والد مهدي كرجل ثان... يقف حاملا حمامة الزاجل.

"استاذ". قالت مها. التفت اليها مهدي وقد شعرت بمرارة احساسه وهو يواجه هذه الصدمة. "اسفة للغاية. لكن يبدو ان المختار كان يثق بوالدك كثيرا. لدرجة انه جعله واحدا من ثلاثة رجال ائتمنهم على ذلك السر".

"تماما مها". سحب نفسا عميقا. "والان. مالعمل ؟".

ضمت مها شفتيها ثم قالت: "في العمود الاول، في اللبنة الرابعة والاربعين، يقف الرجل الثاني حاملا حمامة الزاجل".

ادرك مهدي ان عليه الوثوق بتحليلات مها، فتحليلها لعبارة (قبرٌ ازرق يقوم على اعمدة من ارواح) كانت مصيبة تماما.
"حمامة الزاجل، حسب اعتقادي"، قال مهدي، "فان والدي قد ترك رسالة هو الاخر، فحمام الزاجل يرمز الى الرسائل التي كان يتم تداولها عن طريق تلك الطيور قديما".

"هذا مافكرت به تماما استاذ"، قالت مها، "لنعد الان الى المنزل ونفكر بما يمكن ان يتركه والدك من رسالة".
اوما مهدي براسه واتجه الاثنان نحو السلم المؤدي الى الطريق الواصل الى مدخل النصب حيث سيارة مها، فجاة سمعا صوتا من ورائهما.

"ايها السيد"، التفتا اليه، كان الشاب قد عاد اليهما معتذرا عن الانشغال عنهما، اومأ مهدي بيده وقال: "شكرا لك، سيكون تقريرا مفصلا"، اشار الشاب بيده واستدار عائدا الى مكتبه داخل مبنى النصب.

واجه مهدي ومها الامطار وهما في طريقهما نحو المدخل الذي تركا عنده السيارة، التفتت مها لتلقي نظرة اخيرة على القبة المنشطرة الهائلة خلفها، كانت تبدو عملاقة وهي تنتصب تحت الامطار التي غسلتها، وحولت لونها الى الازرق الداكن.

الفصل 50

استقل مهدي ومها السيارة متجهين الى حي زيونة، كانت الامطار قد بللت بعضا من ملابسهما، شكرا عناصر الحماية و تحركت مها بسيارتها باتجاه الشارع الرئيس.

في تلك الاثناء، تحرك الرجل سائق سيارة الاجرة متتبعا سيارة مها وقد بدأ اتصالاته الى الجهة التي ارسلته، استمر مراقبا سيارتها اثناء عودتها الى حي زيونة.

من مكتبه، كان سكوت اوزيلينغ قد اعطى اوامره الى سيارة الشيروكي بالاستعداد لقدوم السيارة التي تقل المحامي الى شارع منزله في الحي، تلقى العنصران في السيارة ذات الدفع الرباعي التعليمات و بقيا في حال مراقبة.

- "ماذا تعتقد ان تحتوي رسالة والدك استاذ ؟"، قالت مها و هي تعبر بحذر التقاطع العائد الى حي زيونة بسيارتها.
- "اخشى ان تكون الرسالة في مكانٍ لا اعرفهُ مها"، رد مهدي.
- "لا اخيفك سرا استاذ، انه رغم خطورة ما نقوم به الا انني اشعر باني أؤدي عملا هاما للبلاد، فكيف انت ؟".

ضحك مهدي و قال: "عندما اخترت ان تكوني محامية فانك على الطريق الصحيح للمتاعب !".
ابتسمت مها وقد ضغطت على دواسة الوقود، دقائق و سيصلان الى منزل مهدي.. متبوعين بسيارة اجرة و بصحبة جهاز تتبع ملصقٌ اسفل سيارتهما.

الفصل 51

الثالثة و النصف مساءا بتوقيت بغداد.

كان البروفيسور سالم جرجيس قد وصل الى مقر الاقامة الصغير داخل المنطقة الخضراء. اخذ جرعة قصيرة من استراحة قلقة و هو يعد ما يجب اعداده للمؤتمر الصحفي الذي عليه ان يقوم بتقديمه بامر من اللواء ماهر عبد الفتاح.
سيكون على مدير الطب دائرة الطب العدلي انجاز المصادقة على التقرير المطلوب ان يخص وفاة الرئيس المختار. ففي حالة مطالبة اي من الجهات برؤية التقرير العدلي للرئيس فسيكون جاهزا ورسميا. وقد تم ابلاغ وزارة العدل رسميا عن طريق مدير الطب العدلي بسبب وفاة المختار. مؤكدا لرواية ان الرئيس قد قضى.. بالسكتة القلبية.

طرق باب شقة البروفيسور. كان جرجيس يعلم بمن سيكونون ضيوفه. فقد تلقى قبل قليل اتصالا من جهة مخابراتية اعلمته بانها سترسل عنصرين منها لترتيب عملية تقديم المؤتمر الصحفي من قبل البرفيسور. سيتم تقديم المؤتمر.. مساء اليوم.

بعد دقائق. كان عنصرا المخابرات يناقشان مع البروفيسور جرجيس ما يجب و ما لا يجب قوله امام الاعلام في ذلك المؤتمر. اضافة الى ذلك. فقد ابلغاه بانه من الممكن ان يعد الاعلام بنسخة الكترونية من التقرير العدلي لاحقا.

في تلك الاثناء. كان الرجل ذو البدلة الانيقة قد اغلق هاتفه بعد ان تم اعلامه باخر المستجدات حول ما ستقوم به وزارة العدل من مؤتمر صحفي للطبيب العدلي الذي اشرف على تشريح جثة الرئيس. اصبح مطمئنا الان. اشعل سيكارة بنية اخرى وراح يتابع اخر اخبار الاقتصاد العالمي.

كانت اسواق الاسهم العالمية في تلك الساعة قد بدأت تواجه تهاوٍ كارثي لها، حيث ان الدولار الامريكي قد ادخل صالة الانعاش بعد ان انحدرت قيمته بشكل غير مسبوق في تاريخه، فيما حافظ الذهب على ارتفاعه في ظل تلك الزوبعة من الانهيارات الاقتصادية.

نظر صاحب البدلة الانيقة الى مؤشر اسعار الذهب اسفل شاشة التلفاز و الماخوذ من مؤشرات ستاندرد اند بورز اكبر شركات نشر بحوث وتحليلات المال العالمي..

اوقية عيار 24 – السعر 2،144.20 دولار امريكي.

لقد تضاعف سعر الذهب مقابل الدولار، هز رأسه و هو يعلم بان تلك فقط..

البـــداية..

الفصل 52

متجاوزةً سيارة جيب شيروكي سوداء كانت تمر في الشارع، مرت سيارة مها لتصل الى منزل مهدي، رصفت سيارتها امام باب منزله و ترجل الاثنان منها على عجل، دخلا بسرعة الى داخل المنزل فقد كانت الامطار شديدة الغزارة في تلك الساعة.

كانت كاميرا المراقبة الموضوعة على المنزل المقابل لمنزل المحامي لا تزال تبعث بصورها الى الجهة التي وضعتها هناك، و من ضمن ما ارسلته من معلومات:
وصول المحامي و رفيقته الى منزله، واستمرار سيارة الجيب بالتحرك في ذلك الشارع، فيما كانت سيارة الاجرة الصفراء قد غيرت وجهتها الى جهة مجهولة عندما دخلت سيارة مها شارع منزل استاذها.

داخل منزل مهدي، خلعت مها حذائها و دخلت معه الى دفء صالة المعيشة، جلست على الاريكة فيما راح هو يوقد المدفأة وسط الصالة.

فجأة، وكصاعقة اصابت راسه، برقت لدى مهدي فكرة عن المكان الذي يمكن ان يتم البحث فيه عما تركه والده.

- "مها، اذا كان ثمة مكان للبحث عما يمكن لوالدي تركه لنا فيه، فسيكون جناحه الخاص خلف المنزل". قال وهو ينهض من امام المدفأة التي بدأت تتقد.

نهضت مها لتقترب طالبةً الدفء وقالت:

- "استاذ...". لم تكمل كلامها، فقد امسك مهدي بيدها و راح ينظر الى عينيها، قال لها: "مها، نحن الان مواطنَين تورطا في عملية انقاذ للبلاد، لم نعد استاذا و طالبة، لسنا بحاجة الى ان تناديني (استاذا) بعد الان !".

توردت وجنتاها خجلا: "لكن.. لا اعرف.. لا استطيع ان.!".

- "مها، "، قال بحده، "انا مهدي، و مهدي فقط، على الاقل خارج الجامعة".
ابتسمت مها و هي تنظر الى عينيه، "حسنا مهدي، اتفقنا ".

لم تفارق عيناه عيناها، فيما كان عطرها يجتاح منخريه، كانت عيناها تبرقان بلون نار المدفأة التي كانت تنظر اليها خجلا هاربةً من عينيه، كسرت الصمت و قالت: "حسنا مهدي، ماذا كنت تقول عن جناح والدك الخاص ؟".
عاد الى عالم الازمة التي يعيشها وقال: "اهاا، اسمعي، لقد كان لوالدي جناحه الذي كان يقضي وقت فراغه فيه، انه يتكون من صالة كبيرة خلف المنزل، وهي تحتوي على مقتنياته الخاصة و مكتبته التي يعتز بها، لقد طلب مني ان اعده بان لا ابيع المنزل اذا ما رحل هو عن هذا العالم، كما اوصاني بان لا افتح تلك الصالة الا للضرورة، وان فعلت، فلا احرك ايا من حاجياتها، لقد كانت المكان الذي يستريح فيه ويخطط به كمستشارٍ للرئيس، ويطرح افكاره لاحقا على المختار فيما يخص الاقتصاد، اتصدقين انني لمْ افتح ذلك الجناح منذ وفاته قبل سبع سنين ؟".

استغربت مها كلامه عن العالم الخاص بواحد من اقرب رجال الدولة للمختار، "سبع سنين ؟".

"نعم"، قال مهدي، "لا اعرف ما حل بذلك المكان الان، رغم انني املك مفاتيحه، اعتقد ان الوقت قد حان لفتحه حالا".
اومأت مها برأسها وقد شعرت بموجة فضول لما يمكن ان يكون عليه جناح مستشار الرئيس الخاص، ابتسم مهدي وقال: "و الان و بعد ان تبللنا هكذا، مارأيك بفنجان من القهوة ؟".

ابتسمت مها و هزت راسها نافية، "انا من سيعدها لك اليوم !".

اومأ موافقا و جلس على الاريكة قرب المدفأة. فيما راحت هي الى المطبخ القريب.

تناول جهاز الريموت كونترول و اشعل التلفاز بانتظار قهوة مها. لدى مروره بالقناة الحكومية، كان شريط الاخبار العاجلة اسفل الشاشة يشير الى ان وزارة العدل ستقوم في تمام الساعة السادسة و النصف مساءا بعقد مؤتمر صحفي هام بخصوص وفاة المختار. نادى على مها وقرأ لها الشريط بصوته. عادت الى الصالة لتتابع معه ما يظهرعلى شاشة التلفاز. نظر الاثنان معا الى الساعة على الجدار.. الرابعة مساءا..

ساعتان و نصف على واحد من اهم المؤتمرات الصحفية بعمر الحكومة الجديدة.

....

في تلك الاثناء، كان البروفيسور جرجيس قد التقى وفدا من وزارة العدل في مقر اقامته بعد ان غادره عنصرا المخابرات. و بدأ يرتب مع الوفد ماسيكون عليه المؤتمر الصحفي، فيما راحت قاعة المؤتمرات في الوزارة بالاعداد له، قبل ان يصل مراسلو وكالات الانباء اليها.

الفصل 53

الرابعة و النصف مساءا بتوقيت بغداد.

كان مهدي و مها قد انهيا تواً تناول قهوتهما وهما يتابعان التلفاز، اغمد مهدي سيكارته في المنفضة امامه، اطفأ التلفاز و اشار لها، "لنتحرك الى جناح والدي الان قبل ان يبدأ عرض المؤتمر الصحفي مها".

اومأت موافقة، نهض مهدي الى الفاترينة الموجودة في الصالة، فتح احدى ابوابها الزجاجية و اخرج علبة صغيرة، فتحها فتصاعدت منها موسيقى هادئة، مد اصابعه و اخرج منها مفاتيح ربطت بسلسلة تعلقت بها ميدالية على شكل الشعار الجمهوري العراقي، اغلق العلبة و اعادها الى الفاترينة واغلق بابها، اشار لها بالنهوض، و توجه الاثنان الى باب الصالة.

كان الجناح الخاص بوالد مهدي يقع في ظهر المنزل بشكل معزول، حيث يؤدي اليه ممر ضيق مكشوف من الاعلى و تحيط به من الجهتين مزهريات وضعت فيها نباتات مختلفة، اضطرت مها الى ارتداء حذائها مجددا، فذلك الممر كان قد ابتل بفعل زخات الامطار التي بدأت تخف في تلك اللحظات، توقف مهدي امام باب حديدي على يمينه و اخرج المفاتيح و ادارها في مكانها في الباب، فتح قفله ودفعه فاصدر صريرا كئيبا.

دخل الاثنان الى مكان مظلم، غرفة لم يبد منها شئ يرى بعد، الا انها كانت تحمل رائحة رطوبة قديمة يبدو انها انبعثت من سجادٍ متروك، مد مهدي اصابعه نحو الجدار وضغط على مفاتيح الانارة فتوهجت الاضواء الخافتة في تلك الصالة الطويلة، الصالة التي لم تفتح منذ سبع سنوات.

كان مشهد الصالة صادما ومدهشا لمها في الوقت نفسه. فغرت فاها وهي تنظر الى مكانٍ بدا اثرياً باثاثه و طراز تصميمه. لم تكن دهشتها اقل من دهشة مهدي الذي نسى كثيرا من تفاصيل ذلك المكان طيلة السبع سنين الماضية.

كانت الصالة مستطيلة الشكل. علقت على جدارنها صور والد مهدي مع الرئيس المختار في مناسباتٍ متعددة. الى جانب صور بالابيض و الاسود لمرحلة طفولة المستشار وسنوات دراسته. كما كان الشعار الجمهوري الاول المتمثل بالشمس السومرية معلقا على احد الجدران. فيما وضع الشعار الثاني المتمثل بالصقر العربي على الجدار المقابل. وكان تمثال من البلاستك قد البس زيا عسكريا يعود الى زمن الامبراطورية الاسلامية يقف متقلدا سيفه في احدى زوايا الصالة. ووضع مجسم بارتفاع مترين كتمثيل لمسلة حمورابي في زاوية اخرى. بينما امتدت في نهاية الصالة على عرضها. مكتبة خشبية كبيرة غصت بالمئات من الكتب. وكانت بقربها منضدة وضعت عليها ساعة رملية نفذ الرمل منها الى جزئها السفلي منذ زمن بعيد. فيما اكلت الرطوبة بعضا من الجدران و السقوف و اكسبت المكان برودة لاذعة.

غطى الغبار كل اثاث الغرفة. حتى الارائك الموضوعة في زاوية منعزلة منها. و تجمعت بيوت العناكب لتتحرك بفعل الهواء الخفيف كحركة الاشباح. كان التواجد في مكان مماثل اشبه بالوقوف على جبلٍ من الذكريات المنسية بالنسبة لمهدي الذي وقف في مكانه مكتفا ذراعيه ومستذكرا ما بقي في ذهنه من ذكريات في تلك الصالة. بينما خطت مها الى الامام و قد علتها دهشة غامرة. تقدمت وهي تتفحص بعينيها المكان بخطوات بطيئة.

ابتسم مهدي وقال لها: "حسنا مها، رايتِ المكان، فمن اين سنبدأ بالبحث في رايك ؟"، لم تجب مها، فقد سيطرت على ذهنها نشوة التواجد في مكان كهذا، تقدمت خطواتٍ نحو المقتنيات الغريبة المنتشرة في الغرفة و على جدرانها كغزو جيش من النمل الاحمر، شعرت بان عليها ان تخفف ضغط اقدامها خوفا من الاضرار بالسجادة المخملية الممتدة على طول الارضية، لقد كان كل شيءٍ آتٍ من زمنٍ مضى.

تبعها مهدي وهي تقترب من المكتبة الموضوعة في نهاية الصالة، مرت باصابعها على وجه تمثال الفارس البلاستيكي، ونظرت الى اصابعها التي اتسخت بفعل الغبار، تلمست سيفه وهي تنظر الى عينيه البارقتين بشموخ، قالت: "كم انا محظوظة يا مهدي !".
حك مهدي راسه مبتسما وهو ينظر اليها، اكملت خطواتها نحو المكتبة، ولفتت انتباهها الساعة الرملية الزجاجية الموضوعة على منضدة حديدية على الجانب، وقد غطي وجه المنضدة اسفل الساعة بقطعة من القماش الابيض.

كان مهدي يراقبها وهي تتجول في الغرفة، وضعت يدها على الساعة الرملية النافذة التوقيت منذ سبع سنين، التفتت الى مهدي تنتظر موافقته، فقد اخبرها بان والده لم يشا ان يحرك اي شيءٍ في الغرفة، الا انه اغمض عينيه و اومأ براسه موافقا، امسكت الساعة و همت بقلبها راسا على عقب لتبدأ العد من جديد، لكنها شعرت بمقاومة ما تسحب الساعة الى الاسفل، احس مهدي بان هناك خطب ما، اقترب منها، فقالت: "يبدو انها لا تريد ان تعد من جديد !"، رد وهو ينظر اليها: "اقلبيها، ان لي ذكريات مع هذه الساعة".

رفعت مها الساعة بشــكل اقوى، بدت مرتبطة بشئ ما من اسفلها. نظر الاثنان الى ما تحتها، كان خيط من الصوف قد تم ربطه بقاعدة الساعة من الاسفل، رفعت مها الســاعة اكــثر، بدا ان تحتها على المنضـــدة يوجد ثقب صـــغير مر منه الخيط المرتبط بقاعدة الســاعة، ما ان رفعت مها الساعة بشكل اقوى حتى بدأت قطعة القماش التي تغطي واجهة المنضـــدة الحديدية بالارتفاع. فقد كان طرف القماش السفلي مرتبطا بالخيط الصوفي المرتبط بقاعدة الساعة، قلبت مها تلك الساعة وبدا الرمل بالنزول، فيما تكشف ما وراء قطعة القماش التي ارتفعت جزئيا.

مــد مهدي يده و ابعد الســتار الابيض عما تحت المنضـــدة، و نظــر مع مها الى كان يخفيه وراءه.

خزنة حديدية بعجلة ارقام دائرية.

....

كان الرجل ذو البدلة الانيقة لا يزال يتابع اخبار الاقتصـــاد العالمية، نظر الى ساعته منتظرا حلول السادســة و النصــف للانتقال الى القناة الحكومية التي ســتنقل وقائع المؤتمر الصحفي لوزارة العدل.

لا يزال هناك متسع من الوقت.

في تلك الاثناء، كانت اســعار الذهب مقارنة بالدولار لا تزال تظهر اسفل الشاشة، وقد كان الدولار قد فقد الكثير من قيمته حتى الساعة.

ستبدأ الكارثة بالانتقال الى العراق.. قريبا.

لم يتذكــر مهدي ان والده كان يمتلك خزنة حديدية مضــادة للسرقة، التفتت اليه مها وقالت: "هل تعتقد ان.."، قاطعها: "نعم، علينا فتحها سريعا ".
كانــت الانارة الخافتة في ســقف الصــالة لا تبين بوضــوح وجه الخزنــة الرمادي، ما اضــطر مهدي الى اخراج نقاله و تشــغيل الضــوء المزود به، سلط النور على وجه الخزنة الحديدية.. و تفاجأ الاثنان بما كانت تحمله على وجهها.

لقد ترك المستشــار بخط يده كتابة بقلم عريض اســود عبارة (1000 و 1)، تبادل مهدي و مها نظرات الاستغراب مما قرآه للتو.. بهدوء، قال مهدي:

"مها.. السر يكمن في هذه الغرفة !".

الفصل 54

كان الظلام قد بدأ بالاقتراب من خط الطول الذي تقع عليه بغداد، هبت ريحٌ ماطرة على العاصــمة التي بدأت تســتعد لعاصفة جديدة ســتكون هذه المرة مختلفة تماما، ستكون.. اقتصادية.

كان مهــدي ومهــا يحاولان فهم العبارة التي تركها المستشــار علــى الخزنة، بدت مكتوبة بخط واضح و يد مسيطرة.. (1000 و 1).

غاصــت مها في التفكير بينمــا راح مهدي يذرع الغرفة بتوتــر كقطار ينفث دخان ســجائر نحو السقف، "الف وواحد"، قال، "لا يمكن ان يكون رقما لفتح الخزنة مها، كما لا يمكن لصــاحب خزنة ان يكتب رقم مفتاحها على بابها"، اجابت مها: "كم نحتاج من الارقام لفتحها ؟"، رد مهدي:
"ثلاثة ازواج من الارقام، لدي واحدة مثلها في غرفتي في الاعلى بحجم اصغر قليلا، ثلاثة ارقام يتم تدويرها بشكل معين قبل ان تصبح جاهزة للفتح".

فكــرت مها وهي تنظر الى الرقم جاثية على ركبتها بمواجهة الخزنة، "الف وواحد"، قالت، "مارايك في ان نجزء الرقم الى ثلاثة ازواج ؟".
ابتســم مهدي وهو ينفث دخان ســيكارته، "هل تعتقدين بان والدي ســيترك الامر بهذه السهولة ؟ ويكتب مفتاح الخزنة على بابها ؟".

تجاهلت ما قاله، وعزلت في ذهنها الارقام حسب ما اعتقدت بانه سيكون المفتاح... (1001).. يمكن ان يجزأ الى... ثلاثة ازواج !

"لنجرب مافي ذهني مهدي". نظر اليها وقال: "وماذا في ذهنك ؟".

اخرجت قلما من سترتها و كتبت على راحة يدها:

10

00

01

ادارت كفها لمهدي، نظر اليه وقال: "لا اعتقد بان الامر بهذه السهولة، ومع ذلك، لنجرب !".

جلس مهدي امام الخزنة فيما امسكت هي بنقاله لتنير عجلة الارقام، ادار العجلة الى اليسار ثلاث مرات ثم عاد الى اليمين ودوّرها ثلاث مرات اخرى ثم استقر على الرقم صفر، ليعد مفتاح الخزنة لمحاولة ادخال الارقام التي افترضتها مها، بدأ بتدويّر العجلة الى اليمين ليمر بالرقم 10 و يتجاوزه، و استمر مدوّرا العجلة من جديد ومر بالرقم ذاته مرة اخرى، وفي الثالثة، استقر على 10 وتوقف.
تم ادخال الرقم الاول.

كانت مها تنظر الى مايقوم به، نظر اليها وقال: "الرقم الثاني". قالت: "صفرا!". ادار مهدي عجلة التدوير الى اليسار مرتين متجاوزا الرقم صفر، ثم في الثالثة، استقر عليه، نظر اليها طالبا الرقم الثالث، قالت: "واحد".

ادار العجلة الى اليمين، تجاوز الرقم 1 مرة واحدة، و في الثانية استقر عليه.
تم ادخال الرقم الثالث و الاخير.

كان عليـه ان يعيد العجلة الى الصـفر، بحيث يتم اقفالها تلقائيا وتصـبح غير قابل للتدوير، ما يعني ان الخزنة اصـبحت جاهـزة للفتح، اما في حالة انفلاتها من دون اقفال، فذلك يعني ان الشفرة كانت خاطئة.
وضع العجلة على الرقم صفر...

الا انها لم تقفل.

نظر الى مها وقد ضم شفتيه، ثم قال: "مها، الشفرة خاطئة ".
تنهدت وهي تشعر بخيبة امل، ارجعت شعرها خلف اذنها و هي تنظر الى الكتابة على وجه الخزنة..
(1000 و1) شعرت بان تلك الكتابة لا تعني رقما بعينه، بل شئ اخر..
شئٌ ما..

نهض مهدي ووضع يديه على وركيه، نظر الى الجدران المكتظة بالتذكارات و الصور وقد شعر بالجزع، بحث بعينيه عن اية دلالة، اية اشارة، ادار نظره الى المكتبة الكبيرة على يساره، مر بعينيه على الملصقات التي تركها والده على رفوف المكتبة:

القسم العلمي.
القسم الاقتصادي.
القسم الادبي.

عاد جالسا امام الخزنة.. (1000 و 1)، فكر باستغلال المكتبة للبحث عن شئ ما يرمز الى الرقم 1000 و واحد، نظر مجددا الى المكتبة بتمعن..

"بماذا تفكر ؟"، قالت مها..

نهض وهو يتفحص اقسام المكتبة بعينيه التين زادتا اتساعا..

"افكر في.."، و وجد ما بحث عنه في اعماق ذهنه..

"الف ليلة و ليلة !".

الفصل 55

"انخفاض الطلب على النفط يخفض سعر البرميل الى 40 دولارا".

كانت تلك الشرائط العاجلة لا تفارق الجزء السفلي من الشاشة التي كان يراقبها صاحب البدلة الانيقة. فسلسلة الانهيارات الاقتصادية ولدت كسادا في الاسواق العالمية ما خفض الطلب على النفط. و بسبب قلة الطلب. انخفض السعر.
و لان تلك المشكلة عصفت بشكل مفاجئ وغير متوقع. حيث لم تتم دراستها حين وضع العراق موازنته المالية السنوية. فان استمرار انخفاض اسعار النفط سيؤدي الى عجز مالي غير محسوب سيتسبب بخلق مشكلة اقتصادية كبيرة للبلاد.

الذهب هو *المنقذ*.

....

امام المكتبة المهيبة لوالده. كان مهدي العلي يقف مع مها للبدء بالبحث عن كتاب"الف ليلة و ليلة" بين ذلك الكم الهائل من الكتب. بدآ البحث في القسم الادبي.

يتذكر مهدي ان والده كان يحتفظ بذلك الكتاب. فقد نصحه بقرائته منذ كان صغيرا. بل كان من اوائل الكتب التي قراها مهدي في صباه من مكتبة والده. ولولا ان والده كان يعتز بذلك الكتاب كثيرا لما كان قد نصح ابنه بقرائته.

كان الرف الاول من المكتبة يعنى بالكتب العلمية، والثاني بالاقتصادية، فيما كان الثالث يختص بالكتب الادبية، وهو ماكان مهدي يتلمس كتبه مارا بالعناوين وباحثا عن كتاب قد يفك شفرة الخزنة.

"ماذا تتوقع ان نجد فيه ؟"، قالت مها، "قد تكون احدى قصص الكتاب، فالف ليلة و ليلة هو مجموعة قصصية عربية قديمة"، قال مهدي وهو يقرأ العناوين امامه:
المستطرف في كل فنٍ مستظرف..
ديوان المتنبي..
مختار الصحاح..

و سحب من بين الكتب المجاورة كتابا عنوانه.. الف ليلة و ليلة..

كان الكتاب متهرئ الغلاف، وعبق لدى سحبه برائحة الغبار القديم المتكدس على اطرافه، فيما كانت اوراقه صفراء لا تتحمل التحريك غير الحذر، استدار مهدي عائدا الى منضدة وسط الصالة، وتبعته مها وهي تنظر الى مافي يده.

"يالها من نسخه قديمة مهدي !"، رد قائلا: "نعم، لم المسه منذ صغري".

اقتربت مها من المنضدة التي وضع مهدي الكتاب عليها و بدا يفتح غلافه بصعوبة، كان الاثنان مذهولين لما وجدا نفسيهما عليه من مطاردة لرموز و نصوص تتعلق بسرٍ كبير.
بدا مهدي يقلب صفحات الكتاب وقد علت وجهه الحيرة، فالكتاب يحكي قصصا مضى عليها مئات السنين روتها شهرزاد لشهريار على امتداد الف ليلة و ليلة، كما تقول الاسطورة..

لن يكون ذلك سهلا..

ترك مهدي الكتاب على المنضدة و استدار ليشعل سيكارة اخرى قد تهدئ مما هو فيه من الحيرة. استغلت مها التفاتته وامسكت الكتاب بكلتا يديها واضعةً قاعدته الوسطية التي تحمل اسمه على المنضدة. استدار مهدي و نظر اليها وهو ينفث دخان نفسه الاول. قال ضاحكا: "هل ستقرأين لي الطالع فيه ؟". نظرت له نظرة جدية وباعدت بين كفيها ليفتح الكتاب من وسطه. بان الورق الاصفر المتقادم عابقا برائحة ارث قديم. ونظر الاثنان الى ما ظهر بين الصفحتين..

بين الورق الاصفر للكتاب. كانت ورقة بيضاء مطوية قد وضعت هناك. ما سهل فتحه دون ان يتاثر. وظهر ما خبئ فيه. نظر مهدي الى مها مستغربا وسحب الورقة. اغلقت هي الكتاب و اقتربت تنظر معه فيها. فتحها بحذر. و بدا الاثنان يقرآن ماكتب على تلك الورقة..

كان النص غامضا بامتياز.

الفصل 56

ماكان سومَر تصنعُهُ.. تذكّرُهُ..
انائُها النذريُّ يحكي قصةَ الخلقِ..

وثورُ آشورَ سيقانٌ له ثبتت..
من الشمالِ و تمشي بجانب الشرقِ..

....

ملكُ الجهاتِ بنى قصراً فزججهُ..
و بدّل الطوبَ من تربٍ الى زرقِ..

شبعاد بدرُ الدجى قد زادَ حسنُ لها..
ما ترتديهِ و نورٌ كانَ كالبرقِ..

....

قيثارة الثور اوتارٌ لها نُزعت..
و استُبدِل الرأسُ من عبثٍ ومن سرقِ..

الخامسة و 20 دقيقة بتوقيت بغداد.

كان مهدي ومها ينظران الى ابيات الشعر الغريبة امامهما على الورقة، و التي ميز مهدي الخط الذي كتبت به، خط والده.

سـحب نفسا عميقاً من سـيكارته و نظر الى مها التي هزت كتفيها وهي تشعر بالغرابـة. فالمستشـار يروي معلومـاتٍ عن اثـارٍ عراقية تعود الى حضـارات مابين النهرين القديمة.

"ما علاقة هذا بمفتاح الخزنة ؟"، قالت مها وهي تعيد النظر في الورقة. امعن مهدي النظر في النص و قال: "بل لها علاقة.. وعلاقة مؤكدة".
"كيف ؟"، رد مهدي اخذاً الورقة بيده و مشيرا الى ابياتها: "انتبهي الى ترتيب الابيات. بيتان. بيتان اخرى، ثم بيتٌ واحد. قد يعني ذلك زوجين من الارقام. ثم بيت.. لا اعرف لم ترك وحيدا".

استـغربت مها كلامه. "كيف يمكن فهم ارقام من نص شـعري ؟"، رد مهدي حائرا هو الاخر. "قد يعني بها الازمنة التي تعود اليها تلك الاثار بحضاراتها المتعاقبة. او من ارقام السنين يمكن اشتقاق ارقام فتح الخزنة".
لم تقتنـع مها بما قالـه. اخذت الورقة من يده و نظرت بهـا. "ليس كذلك مهدي"، قالت. "الامر واضح !".
"كيف ؟"، ردت مها: "ما استطعت فهمه من النص عن الارقام هو البيت الثاني:

وثور اشور سيقانٌ له ثبتت..
من الشمال و تمشي بجانب الشرقِ"..

"تقصـدين الثور المجنح؟"، ردت مها وقد شعرت ببصـيص حلٍ للاحجية. "نعم"، واكملت:

"انه واضــح فيما كتب، فســاقا الثور المجنــح من الامام تصــطفان بهدوء جنب بعضــهما وهو ما قاله في البيت الشــعري، ولكنها من الجانب تبدو وكأنها تســير، واذا ما جمعنا الســيقان من الجانبين كان عددها خمس ســيقان لا اربع، وهو الخداع البصري الذي اســتخدمه ســكان بلاد مــا بين النهرين القدماء في صــناعة الثيران المجنحة . اسالني انا، فقد زرت المتحف من اجل بحث تخرجي مرارا!".

فهم مهدي ما تعنيه، اصبحت طريقة انتزاع الارقام من النص واضحة تقريبا..
ان كانت صحيحة !
سحب قلما من جيبه ورسم خطين افقيين على راحة يده، "مها، سنحل كل بيت على حدة لنجد الارقام".

عاودت النظر في الورقة و قرأت البيت الاول:

ماكان سومرَ تصنعُهُ.. تذكّرهُ..
انائُها النذريُّ يحكي قصةَ الخلقِ..

"انــاءٌ نذري ؟"، قالت، نظــر اليها مهدي وقال: "اها.. لقــد زرت المتحف الوطني ايام الدراســة الجامعية، وحســب ما اذكر فانــه كان اناءا عموديا منحوت عليه بضــع رســومات لا اذكرها بالتحديد، وقد وضــع في القاعة الخاصة باثار الســومريين، قرأت مــن علامة الدلالة بجانبه انه تعرض للسرقــة و الكسر باحداث العام 2003، لكن المتحف استطاع استعادته و ترميمه، اما عن الرقم فيه، فلا اذكر شيئا !".

وضـــعـت مـهـا الـورقـة عـلـى الـطـاولـة فـيـمـا خـرج مـهـدي لـيـرمـي بـعـقـب ســيـكـارتـه خـارج الـصـالـة، اخـرجـت نـقـالـهـا و فـتـحـت الاتـصـال بالانـترنـت وكـتـبـت في محـرك الـبـحـث: الانـاء الـنـذري.

عـاد مـهـدي و اقـترب مـنـهـا ثـم تـسـمـر في مـكـانـه فـجـأة..
"ما بك ؟"، قـالـت..
رد مـبـتـســمـاً: "خـلـت انـهـا لحـظـة خـصـوصـيـة و انـت تمـسـكـين نـقـالـك !"، ضـحـكـت مـهـا وقـالـت: "خـصـوصـيـة مـع مـن عـاشـوا قـبـل 5000 عـام !"، اقـترب مـهـدي مـبـتـسـمـا.

لم تـضـغـط مـهـا عـلـى عـنـاويـن ويـب لـلـحـصـول عـلـى الـشـرح، بـل تحـولـت الى خـانـة الـصـور لـتـلـقـي نـظـرة عـلـى شــكـل الانـاء، فـقـد كـان الـفـضـول يجـتـاحـهـا بـيـنـمـا خـانـتـهـا الـذاكـرة الـتـي لم تـســاعـدهـا عـلـى تـذكـر تـفـاصـيـل ذاك الانـاء الـذي رأتـه في المـتـحـف عـنـد زيـاراتـهـا لـه، ظـهـرت الـصـــور و بـدأ الاثـنــان يـنـظـران الـيـهـا، اخـتـارت احـداهـا و اصـــبـحـت بـحـجـم شـاشــة المحـمـول، مـا ان راى مـهـدي شـكـل الانـاء و الـنـحـت عـلـيـه حـتـى تـذكـر تـفـاصـيـل شـــكـلـه، فـالـنـحـوت الـبـارزة عـلـيـه بـشـــكـل دائـري اعـادت لـذهـنـه بـعـضـا مـن الـتـفـاصـيـل، اخـذ الـورقـة مـن عـلـى الـطـاولـة و عـاود الـنـظـر فـيـهـا:

انـائـهـا الـنـذري يـحـكـي قـصـة الخـلـقِ.
تـذكـر مـا يـعـنـيـه ذلـك، فـقـد عـصـفـت بـذاكـرتـه كـلـمـات دلـيـل المـتـحـف الـذي رافـقـه ورفـاقـه في المـتـحـف عـنـدمـا زاره مـعـهـم في ذلـك الـيـوم..

"عـثرت عـلـى الـرقـم مـهـا !"، قـال واثـقـا.
"كـيـف ؟"، قـالـت بـشـغـف وهـي تـرجـع شـعـرهـا خـلـف اذنـهـا.

"انــاءه الـنـذري يحـكـي قـصـــة الخـلــقِ".. اخـذ نـقـالـهـا مــن يـدهـا وازاح بـاصــابـعـه عـلـى الـصـورة لـيـكـبرهـا، وقـال:

"لـقـد شرح لـنـا الـدلـيـل – عـنـدمـا زرنـا المـتـحـف قـبـل سـنـوات مـع رفـاقـي في الجـامـعـة – مـا يعـنـيـه هـذا الاثر، انـه يـتـحـدث عـن مـراحـل الخـلـق مـن الـتراب الى الالـهـة"، وبـدا يـشـــير الى اجـزاء مـن الانـاء في الـصـورة واكـمـل:

"فـقـاعـدتـه هـذه تـشـير الى الارض الـتـي خـلـقـت اولا، ثـم تـاتـي الـطـبـقـة الـثـانـيـة الـتـي تـشـير الى خـلـق المـيـاه، وتـتـلـوهـا الـثـالـثـة وتـشـير الى خـلـق الـنـبـات، امـا الـرابـعـة فـهـي مـرحـلـة خـلـق الحـيـوانـات".

ثـم اشـار بـاصـبـعـه الى طـبـقـة خـالـيـة مـن الـنـقـش عـلـى طـبـقـات الانـاء:

"هــذه المـنـطـقـــة تـعـنـي فـترة اســـتراحـة الالـهـــة بـعـد خـلـقـهـــا تـلـك المـراحـــل الاربـعـة، لـتـسـتـانـف خـلـق الانـسـان في المـرحـلـة الـسـادسـة".

"تـقـصـد الخـامـسـة !"، ردت مـهـا.

"بـل الـسـادسـة"، قـال مـهـدي، و اكـمـل:

"فـمـرحـلـة الاســـتراحـة بـحـد ذاتـهـا هـي مـرحـلـة مــن مـراحـل الخـلـق، لـتـكـون مـرحـلـة خـلـق الانـســـان هـي الـسـادسـة، ثـم تـرك مـجـال بـيـنـه و بـين الالـهـة كـنـوع مـن مـنـح الالـهـة تمـيـزا و سـمـوا عـن الـبـشر، لـتـاتـي تـلـك الالـهـة وتحـل في المـرحـلـة الـسـابـعـة الى الاعـلـى و الاخـيرة، امـا عـن تـســمـيـتـه بـالـنـذري، فـهـو كـمـا تـريـن ان الانـســـان كـمـا هـو مـنـقـوش يـاتـي بـالـنـذور الى الالـهـة في الـطـبـقـة الاعـلـى".

"تـعـنـي انـه يـشـير الى الـرقـم سـبـعـة ؟"، رد مـهـدي: "اتمـنـى ان يـكـون تـفـكـيرنـا صـحـيـحـا ".

نـــاول الـنـقـال الى مـهـا، و تـنـاول قـلـمـه و كـتـب عـلـى راحـــة يـده اعـلـى الخـط الافـقـي الـذي رسـمـه:
.57

ادار يده الى مـهـا، قـالـت: "نـعـم، الانـاء الـنـذري سـبـعـة، و الـثـور المجـنـح خـمـسـة".
هـز مـهـدي راسـه، و عـادا يـنـظـران الى مـا كـتـب في الـورقـة:

مـلـكُ الجـهـاتِ بـنـى قـصـراً فـزجـجـهُ..
و بـدّل الـطـوبَ مـن تـربٍ الى زرقِ..

قـالـــت مـهـا: "اورنمـو، مـلـك الجـهـات الاربـعـة !"، ابـتـســـم مـهـدي و كـتـب في الخـانـة الـثـانـيـة عـلـى يـده الـرقـم 4، و اكـمـلا الـقـراءة:

شـبـعـاد بـدرُ الـدجـى قـد زادَ حـسـنُ لـهـا..
مـا تـرتـديـهِ و نـورٌ كـانَ كـالـبـرقِ..

"ثـلاثـة"، قـال مـهـدي..

لم تـفـهـم مـهـا لمـاذا، لانـهـا لا تـذكـر شـــكـل شـبـعـاد تـلـك، فـهـم مـهـدي مـن نـظـرتـهـا انـهـا لم تـفـهـمـه، تـنـاول نـقـالـهـا مـن عـلـى المـنـضـــدة وكـتـب بـاحـثـا عـن شـــبـعـاد في صـــفـحـة الـبـحـث و اخـتـار صـورتـهـا مـن الـنـتـائـج، ادار الـشـاشـة نـحـو مـهـا، ابـتـسـمـت و هـزت راسـهـا فـاهـمـةً مـايـعـنـيـه.

فشبعاد او (بوآبي) هو اسم امرأة قيل انها ملكة سومرية، صنع لها تمثال نصفي ملون ومزين بالاكسسوارات النسائية و القلائد، وقد ربط بشعرها الى الوراء ثلاث وردات ذهبية تعلو راسها، وهو ما اعتقد مهدي ان البيت الشعري يقصدها، الوردات الثلاثة.

.34

اورنمو.. و شبعاد..

"اتمنى ان لا نحتاج الى بيت شعر اخر"، قال مهدي، "فالخزنة لا تفتح الا بثلاثة ازواج من الارقام، و هناك بيت مفرد متبقي لن يشكل زوجا منها!".

قيثارة الثور اوتارٌ لها نُزِعَت..
و استُبدِل الرأسُ من عبثٍ ومن سرقٍ..

"القيثارة السومرية"، قالت مها، اومأ مهدي براسه، فشهرة القيثارة السومرية واسعة عالميا، اما في العراق، فقد رسمت كشعار لعدد من المؤسسات و اصبحت علامة تجارية لشركة صناعة السكائر العراقية، كما كانت تحملها بعض الطوابع كاثر يعتز به العراقيون.

كان البيت الشعري واضحا لمهدي في قصده للقيثارة السومرية، فهو يتذكر ان دليل المتحف قد اخبره بان اوتار القيثارة المصنوعة من الذهب قد تم نزعها منها خشية تعرضا للسرقة، كما تم استبدال راس الثور المصنوع من الذهب الخالص الموضوع عليها برأس مزيف، ليحتفظ المتحف بالرأس الاصلي مع الاوتار الذهبية في احد اقبيته السرية.

"كيف سنعرف الرقم الخاص بها ؟"، قالت مها، قرأ مهدي البيت مجددا وقد قطب حاجبيه:

اوتارٌ لها نزعت..

"الاوتار !"، قال وقد علت وجهه امارات فرح، "كم وترٍ فيها مها ؟.. تذكري !".
وضعت مها اصابعها على راسها و اغمضت عينيها.."مم، لا اعرف مهدي.. لا اعرف!"..
حاول مهدي تذكر زيارته لتلك الى المتحف مجددا، فاته ان يسال الدليل عن عدد اوتار القيثارة.
"نقالـك مـن جديد".. تناولت مها نقالها وكتبت في محرك البحث: القيثارة السومرية.

اراد مهدي الاطلاع على النتائج معها، لكنها ادارت النقال مانعةً اياه من المشاهدة وهي تبتسم.

"انانية !"، قال لها بنظرة مشاكسة، رغم انه كان يفكر في البيت السادس المفقود و الذي يجب ان يكمل الازواج الثلاثة من الارقام.

قرأت مها بعض السطور بنقالها، ثم اتسعت عيناها باستغراب، نظرت الى مهدي و قالت:

"لقد كان المختار موفقا باختيار مستشاره..
عدد اوتار القيثارة 11 وتراً..
لقد اكتملت الارقام!".

الفصل 57

الخامسة و 40 دقيقة مساءا بتوقيت بغداد.

شاقةً طريقها وسط زخات الامطار المتقطعة الى لا تزال تهطل على العاصمة، كانت سيارتا دفع رباعي تابعتين للحكومة العراقية قد خرجتا توا من المنطقة الخضراء الرئاسية متجهتين نحو منطقة الصالحية في كرخ بغداد حيث مقر وزارة العدل العراقية، حيث كان البروفيسور سالم جرجيس راكبا في احداها وقد رافقه عناصر امن بتدريبٍ و تسليحٍ عال.

السادسة و النصف.. موعد المؤتمر الصحفي.

بقلقٍ بالغ، كان اللواء ماهر عبد الفتاح يتابع اجراء اتصالاته مع مختلف الجهات للتنسيق مع وزارة العدل بشأن المؤتمر، لم يرد لجرجيس ان يخطئ باي تفصيل امام كاميرات وكالات الانباء العالمية ووسائل الاعلام، كما لم يرد لاحدٍ من جهة الحكومة ان يتحدث الى البروفيسور بشأن وفاة المختار، فأي فضحٍ لحقيقة ماحدث سيطيح برأس اقوى رجال المخابرات.. مديرها العام.

....

امام خزنة والده، كان مهدي يجلس على ركبتيه الى جانب مها وقد امتلا املا بأن تكون الارقام المستقاة من رسالة الوالد تحمل مفتاح تلك الخزنة الغامضة، لم تكن الصالة الا لتغرق من صمتٍ كونكريتي تخترقة هسهسة خافتة جدا لحبات الرمل النازلة من الساعة الرملية نحو النصف الزجاجي السفلي منها.

سحب مهدي نفسا عميقا و بدأ بتدوير عجلة الارقام، اداره في الاتجاهين عدة مرات كما هو مطلوب ثم بدا بالتدوير باتجاه الرقم الاول:

57

ثبت المفتاح على الرقم الاول، ثم عاد ليدوره ليصبح جاهزا للوقوف على الرقم الثاني:

34

اخيرا، اصبحت لحظة الحسم قريبة جدا، رقمٌ واحد، اما ان يفتح الخزنة السر، او ان مهدي و مها سيقضيان ساعات في ذلك المكان المتروك يبحثان عن مفتاح جديد.
كانت عينا مها مستقرتين على عجلة الارقام التي بدأ مهدي بتدويرها راجعا بعكس اتجاه عقارب الساعة.

مر على الرقم 11 مرة واحدة، و اداره بنفس الاتجاه، مر به ثانيةً، ثم في الثالثة.. استقر عليه..

تم ادخال الارقام كاملة:

57

34

11

بقلبٍ يخفق كدمّام حرب، نظر مهدي الى مها وقال: "يجب ان تعاد العجلة الى الصفر الان، ثم يجب ان تقفل عليه، ان افلتت مجددا.. فالارقام خاطئة !".
اغمضت مها عيناها بدأت تدعو لان تكون الارقام صحيحة، وضع مهدي اصابعه على عجلة الارقام و بدأ يديره الى اليسار..
نحو الصفر.

بتركيز عال، كانت مها تنظر الى اصابع مهدي المرتبكة، وقد اخترقت اصوات تكتكة الدرجات صمت الغرفة الثقيل..

5 .. 4 .. 3 .. 2 .. 1 ..

....

- "اين انت الان ؟"، قال سكوت اوزيلينغ لسائق الشيروكي عبر جهاز الارسال.
- "في نفس الشارع الذي حفظت كل مافيه !"، اجاب السائق..
- "حسناً، اية حركة تحدث اريد بها علما مباشرا".
- "كما تشاء ايها الكاوبوي"..

قال السائق وهو يقضم تفاحةً خضراء ويرفع صوت المذياع بموسيقى امريكية صاخبة، كان الظلام و الهدوء يخيمان على الشارع لولا صوت طرق الامطار على زجاج وسقف السيارة السوداء، فيما راح الراكب الاخر يكسر الملل بان يضغط على زناد مسدسه و يعيد سحب اقسامه، بعد ان اخرج مخزن الرصاص منه.

....

نحو الصفر..

توقف مهدي عن تدوير مفتاح الارقام حين وصل الى الرقم 1، درجة اخرى واحدة ستكشف ان كانت الارقام صحيحة ام لا..

درجة واحدة.. و ازاح يده عن عجلة الارقام..

"لماذا توقفت ؟"، قالت مها مستغربة، نظر اليها وقال: "انني متفائل بك، انت من سيضعها على الصفر، واثقٌ من انها ستقفل، وستصبح جازة للفتح حينئذٍ".

وافقــت مـهـا وقـد اعـتـراهـا الخـجــل، تحرك مـهـدي بركـبـيـه الى الـيـمــين خـطـوة واحـدة، و اقـتـربــت هـــي مـن الخزنـة اكـــثر، تـنـاول مـنـهـا الـهـاتــف المحـمـول وبـدا يـوجـه الـضــوء الى الـعـجـلـة.

وضـعـت مـهـا اصـابـعـهـا عـلـى عـجـلـة الارقـام لـتـحـركـهـا الى الـيـسـار.. درجـةً واحـدة.. نـحـو الـصـفـر..

ضـغـطـت عـلـى الـعـجـلـة بـاطـراف اصـابـعـهـا، ثـم ادارتـهـا الى الـيـسـار درجـة واحـدة..

بـعـد شــعـور قـصـير بمـقـاومـة طـفـيـفـة مـن الـعـجـلـة، اصـدرت طـقـة خـفـيـفـة، و اسـتـقـرت في مـكـانـهـا..

لـقـد اقـفـلـت..

الارقـام صـحـيـحـة.

الفصل 58

لم يستطع مهدي ومها اخفاء ابتهاجهما بعد ان اقفلت عجلة الارقام على الخزنة معلنةً صحة الارقام المدخلة فيها.
اصبحت الخزنة جاهزة للفتح.

نظر الى رفيقته الشقراء وقد شعر برغبةٍ عارمة لتقبيل اصابعها. شعر بذلك لاول مرة منذ ان عرفها لاول مرة طالبةً فيً صفه تجلس في الصف الامامي من المقاعد. الان، اصبحت كيانا لا يعرف بم يشعر تجاهه بالضبط !

مخفيا مشاعره تلك، قال لها: "قلت لك، انني متفائلٌ بك !". قالها من دون ان ينظر الى عينيها، فيما راحت هي تطقطق اصابعها خجلا وارتباكا.
رمقها بنظرةٍ غريبة، ابتسامة بعينيه، مع صمت تلاشى مع الصمت المطبق على المكان.

عاد لينظر الى العتلة الحديدية الموجودة على باب الخزنة محاولا الهروب من مشاعره الغريبة التي شعر بانه يحس بها لاول مرة في حياته تجاه امرأة. امسك العتلة بكلتا يديه، ثم حركها الى اليمين.

اصدرت العتلة صوت سحبها للالسنة الحديدية التي تقفل الخزنة، واصبح الباب جاهزا للفتح.
سحب الباب الحديدية الثقيلة باتجاهه، فيما راحت مها تمسك بنقاله و توجه الضوء الصادر عن مصباحه الى داخل الخزنة التي بدأت تتكشف شيئا فشيئا..

فتح مهدي الباب عن اخره و نظر مع مها الى داخل الخزنة التي انارها ضوء النقال،
كانت تحتوي بداخلها على رفٍ يتوسطها افقيا..
لكنها كانت *فارغة* تماما.

الفصل 59

بتوتـر بالغ، كـان الرجــل ذو البدلة الانيقة قد امر بنفجان قهــوة اخر وقد امتلا جو الغرفــةٍ بدخان ســيكارته البنيــة، لم يكـن التلفــاز ليتوقف عن عرض التقارير و التحليلات الخاصة باوضاع سوق العملة، لم يشعر بهذا الوضع المحرج من قبل. على المحامي ان يتحرك بسرعة.

نظر الى ســاعته، لم يرد ان يفوت المؤتمر الصحفي الذي اعلنت عنه وزارة العدل، لم يتبق الا نحو خمس و اربعين دقيقة على عقد ذلك المؤتمر.
لا يزال هناك متسع من الوقت لمتابعة اخبار الاقتصاد.

....

ضــاربا كفا بكف، وقف مهدي وقد اعتراه غضــبٌّ عارم نتيجة البحث المضــنية و التي انتهت بفتح خزنة تركها والده فارغة، جلس على الاريكة المكسوة بالغبار في احدى زوايا الصــالة الاثرية، نظرت له مها وهي تشــعر بالاسف لما الت اليه عملية البحث، سيكون عليها ان تهدئ مما هو فيه كي يستعيد الامل باستئناف البحث.

"مهــدي"، قالت وهي تجلس بجانبه، "لقد عبرنا مرحلة مهمة من البحث، يجب ان لا نستسلم"، و ارجعت شعرها خلف اذنها.
"مها، لم اعرف معنى للراحة منذ تلقيت ذلك الاتصــال المشؤوم في تلك الليلة، لا اعرف لماذا ترك والدي خيط البحث مقطوعا عند هذه المرحلة".

اجابت: "لا اعرف ان كان حدسي صحيحا، لكن شفرةً بهذه الطريقة المحكمة لايمكن ان تؤدي الى خزانة فارغة، يجب ان يؤدي ذلك الى معنى معين، ثم..."، و اعترتها نسمة حالة من الشك..

"هل من الممكن ان تكون الخزنة قد تعرضت للسرقة ؟!".

صدم مهدي لما قالت: "مستحيل !، سيقودني ذلك الى الجنون ان كان هذا صحيحا، لكن الصالة كما ترين، لم تطأ منذ سنين، و ليس هناك ما يعكر طبقة الغبار التي تكسو ارضيتها و السجادة الممتدة الا اثار اقدامنا التي تركناها منذ دخلناها قبل قليل، كما ان الخزنة مقفلة باحكام وليس هناك اثار عبث تركت عليها".

تلقت مها كلامه بقبول مطلق، وهي تنظر الى الغبار على الارضية و السجادة وقد عكرتها اقدامهما فقط، فلم تكن كذلك قبل دخولهما.

نهضت وهي تفكر في حل للمشكلة، خطت الى ستارة مشبعة بالغبار امام احدى نوافذ الصالة وازاحتها، نظرت من خلال النافذة الى السماء التي اطبق عليها الظلام تقريبا، القت نظرة الى ساعتها التي بدأت تقترب من حدود السادسة مساءا، وشعرت بان عليها العودة الى منزلها، رغم انها لا تريد ان تترك مهدي بهذه الحال.

استدارت عائدة للنظر اليه، تفاجأت بانها وحيدة في ذلك المكان الكئيب!، تقدمت تخطو نحو مخرج الصالة حيث الباب الحديدي، عبرت عتبته، لتطرق منخريها رائحة من دخان سجائر مهدي الذي اشعل واحدة خارجا، اقتربت منه تحاول تهدئته، التفت اليها و قال بنبرة متماسكة: "اوشك الليل على الحلول، عليك بالعودة الان".

"مهدي، لا تقلق، سافكر بالامر حتى اجد حلا لهذه المشكلة !".
هز راسه و عاد ليوصد باب الصالة، و تحرك مرافقا اياها نحو باب المنزل، حيث تركت سيارتها.

قال لها: "حاولي الوصول قبل المؤتمر الصحفي، لم يتبق سوى نصف ساعة على انعقاده".
"بالتاكيد"، قالت، "سابقى على تواصل معك، لكن ليس على الهاتف".
نظر اليها كأنه لا يريد لها ان ترحل وقال: "مها، قودي بحذر، ارجوك ".

ابتسمت و هي تومئ براسها ايماءة ثقة، و تحركت نحو الباب لتستقل سيارتها مغادرة نحو شارع فلسطين.

في تلك الاثناء، كان جهاز التتبع الملصق اسفل السيارة مستمرا بالوميض وهو يسلم موقعه الحالي الى البلاك ساند اولا باول، اضافة الى ماشاهده العنصران في سيارة الشيروكي من مغادرة للفتاة و ابلغا سكوت اوزيلينغ به، فيما كانت كاميرا المراقبة المثبتة على المنزل المقابل تراقب ما يجري بصمت.

الفصل 60

سينهار كل شئ..

بحزنٍ يطوقه من كل جانب، دفن مهدي سيكارته في مقبرة الرماد امامه وهو يجلس في غرفة المعيشة الخاصة به، موشكا على الشعور بالياس من نهاية سلسلة البحث عما تركه المختار، بعد ان وصل الى طريق مسدود.
كان يفكر بما يمكن ان يحدث للبلاد ان زادت حدة الانهيارات الاقتصادية في العالم، ستعلن الدولة تقشفها، وتزيد من حجم الضرائب لتحقيق العائدات، وترفع الدعم عن الوقود و الكهرباء وماء الشرب، ستسرح موظفين ليست بحاجة ماسة لهم، وتتفشى البطالة، سيحل الكساد وتبور السلع، حينها، سيخرج جيش من الجوعى وهم يصبون نقمتهم على كل ما في طريقهم، لا يمكن للشعوب ان تفهم ما تقصده الدولة حينما يتعلق الامر بالخبز، فالناس تدرك بان عليها محاسبة حكامها دائما لتضمن حقوقها من الضياع، وان موجات البشر في كل العالم تؤمن بان الثيران لن تحرث لها الحقول اذا لم تتبعها بسياطها، هكذا هم رجال السلطة، تتبعهم الشعوب بالمظاهرات و الاضرابات لتضمن استمرارهم بالعمل على السكة الصحيحة، او انهم سيحيدون عنها مفضين ببلدانهم الى الهاوية.

لقد ادرك مهدي خطورة ما سيحل اذا لم يعثر على كنز المختار في الحين الذي سيكون بامكان ذلك الكنز ان ينقذ البلاد، و ان كان الاوان قد فات، فسيُعثر عليه بطريقة او باخرى و يتعرض للنهب، وفوات الاوان كما ادركه مهدي، هو الحين الذي ستزول به حكومة البلاد من الوجود على ايدي الجائعين الثائرين، عندها، لن يستطيع احد ان ينقذ اي شئ، اضافة الى ان الاقتصاد سيكون قد انهار تماما.
باستطاعة رجل واحد ان يجعل كل شئ مختلفا.

فكـــر ان بامكانه المطاولة اكثر من اجل العثور على طوق نجاة البلاد. ســيحتاج الى التركيــز و الهدوء اكثر من اي وقت مضـــى ليفهم ما يريد صــانعو السر الوصــول اليــه من رحلــة بحث انتهــت بخزنة حديدية فارغة. كان يشــعر بان من اصــعب الحــالات على الانســان ان يقاتل من اجــل انقاذ وطنه. لكنه لا يملــك القدرة. بينما يرى رجال السلطة لا يفعلون شيئا رغم انهم يملكون مفاتيح صناعة المستحيل. الارادة هي ما يصــنع المعجزات. لكنها من دون ســلطة حقيقية كبندقية من دون ذخيرة. لا تصــلح ان تكون الا مضربا للكولف. ما يجعلها اداة رخيصــة تتخلى عن هدفها في القتال من اجل الوطن لصالح تجريدها من قوتها. التي ان وجدت. لجعلت المستحيل ممكنا.

بثــلاث دقات نســفت هدوء غرفة المعيشــة التــي كان يجلس بها. دقت الســاعة الثمانينية مالئةً اذان مهدي بضــجيجها الرنان معلنة تمام الســاعة السادسة و النصف مساءا.
موعد المؤتمر الصحفي لوزارة العدل.

الفصل 61

أُعلم سكوت اوزيلينغ للتو بان السيارة الصغيرة قد توقفت امام محل سكنى صاحبتها الشابة في شارع فلسطين، بينما بقي المحامي وحيدا في منزله. فقد كانت مها قد وصلت توا الى دارها و دخلت اليه. لم يتسن لها تغيير ملابسها. لقد توجهت مباشرة الى مشاهدة التلفاز لمتابعة انعقاد المؤتمر الصحفي الخاص بنائج التحقيق بوفاة الرئيس المختار.

في تلك الاثناء، كان اللواء ماهر عبد الفتاح يتابع بشغف كلمات المذيع على التلفاز و التي اعلن من خلالها الانتقال مباشرة الى قاعة المؤتمرات الصحفية التابعة لوزارة العدل لنقل وقائع ذلك المؤتمر. فيما كان مهدي ينتظر بفارغ الصبر انعقاده رغم ان التيار الكهربائي قد بدا بالتذبذب في داره بفعل العاصفة التي هبت فجأة و بدأت تصيب منظومة الكهرباء بحالة من الضعف و الشدة المتلاحقة..
المهم ان التلفاز لا زال يعمل.

على شاشة القناة الحكومية، ظهر رجل فارع الطول بشعرٍ اشيب من جوانبه وقد ارتدى بدلة رمادية، وقف على منصة تحمل شعار وزارة العدل، و الى اليمين خلفه، وضع علم عراقي، فيما امتلات المنصة امامه بقوس قزح من شعارات وكالات الانباء و القنوات الفضائية الموضوعة على لاقطات ملونة.

بصوت تملؤه الثقة، بدا الرجل على المنصة بالتعريف عن نفسه على انه البروفيسور سالم جرجيس الطبيب الشرعي ورئيس اللجنة المشرفة على عملية تشريح جثة الرئيس المعزول محمد المختار، اوضح انه الان بصدد الاعلان عما توصلت اليه لجنته من نتائج بشان وفاة الرئيس السابق.

كان البرفيسور يقف امام عشرات العيون من مراسلي كالات الانباء و الصحف و الفضائيات المحلية و العالمية، لكنه لم يكن يرى وجوه المراسلين بوضوح، فاضواء الكاميرات و الكاشفات المسلطة عليه حجبت عنه رؤيتهم، استعان بصوته للادلاء بما يريد ان يدلي به امامهم..

"وبصفتي الطبيب الشرعي الذي تم توكيله في قضية الاشراف شخصيا على عملية تشريح جثة الرئيس المختار، فانني اعلن امامكم عن نتائج ما توصلت اليه اللجنة، و اهمه، وما اؤكده، هو ان الرئيس محمد المختار قد فارق الحياة متأثرا.."..
تنحنح جرجيس، و تناول جرعة من الماء من قنينة بلاستيكية وضعت امامه على المنصة، فيما اتسعت عينا اللواء ماهر وقد اعترته موجه من القلق، اكمل البرفيسور:

"ان الرئيس المختار قد فارق الحياة متاثرا باصابته بالسكتة القلبية المفاجئة..".
تنفس اللواء ماهر الصعداء، اكمل جرجيس: "و اقول مؤكدا من خلال مشاهدتي الدقيقة لجثة المختار، ان السلطات قد بدت محافظة على سلامة الرئيس المعزول في محل احتجازه، الا ان السكتة القلبية و التوقف المفاجئ للقلب، هو امرٌ لا يمكن منعه باي حال من الاحوال...".

بنصف ابتسامة، وبكفٍ تحت خده، كان مهدي يتابع كلام البروفيسور جرجيس في المؤتمر الصحفي، و الذي لم يدم اكثر من عشر دقائق، تبعته عملية الاجابة على اسئلة الصحفيين و التي دامت عشر دقائق اخرى..

لا زالت السلطات تكذب !

لم يعـرف مهـدي ان كـان الـطبيب الـشرعـي امامـه قـد تم تهـديده ليتحـدث بما قـال ام انه عنصر مخابراتي اصـلا، فالرجل يتحدث تماما عكس الحقيقة التي نقلتها اليه وحدة الذاكرة"الرصاصـة"، و التي اوضـحت في التسـجيل الفيديوي الذي تحمله كيفيـة قتـل الرئيس بتبديل بخاخ تسـهيل التنفس الخاص بـه باخر يحمل مادة قاتلة.

انهى البروفيسـور مؤتمره الصحفي، ووعد المراسلين بنسخة الكترونية من التقرير الشرعي الخاص بوفاة المختار، وغادر قاعة المؤتمرات.

بـدءاً من هذه الليلة، سـيمنع البروفيسـور سـالم جرجيس مـن التحدث للاعلام بشـكل صـارم، وسيوضع بشـكل شـبه تام تحت الاقامة الجبرية في منزله، وبعد ليلتين، ستقله سيارة مدنية يدعي اصحابها انهم من طرف الحكومة الى ما قالوا عنه انه اجتماع هام، سـتتوجه به الى منطقة مجهولة، ثم سيختفي البروفيسور الى الابد.

اما قضـية المختار، فسـتغلقها الجهات العالمية ذات الصـلة بسـبب انشغالها بالانهيار الاقتصـادي العالمي، الا انها سيعاد اثارتها ومناقشتها دوليا لاحقا، حيث سيصـار الى تشـكيل لجنة دولية لنبش قبر الرئيس محمد المختار و اعادة دراسـة عينات من رفاته، ليتم التعرف على سبب الوفاة الحقيقي..

اغتيال بمادة *سيانيد الهيدروجين*.

الفصل 62

منتصف الليل بتوقيت بغداد.

اطفــأ الرجل ذو البدلة الانيقة التلفاز بعد ان احس بالاشــباع لما شــاهده من ردود افعال الوكالات حول المؤتمر الصحفي الذي عقدته وزارة العدل، الى جانب مشاهدته للعديد من المحطات العالمية لمتابعة التطورات الاقتصادية في العالم.
نظر الى ساعته التي بدأت تعد ما بعد حلول الثانية عشرة، القى نظرة على شاشة نقاله، و نهض ليغادر الغرفة ذات الجدران الخشبية.

....

في منزله، كان مهدي قد انهى محادثة قصــيرة عبر موقع فيسبوك مع مها، تكلم معها فيها عما شاهداه في المؤتمر الصحفي، اغلق شاشة حاسبه المحمول ونهض ليحضر لنفسه فنجان قهوة بعد ان استطاع تناول طعام بسيط ليسد جوعه، الا انــه و اثناء دخوله المطبخ، تفاجأ باضــطراب التيار الكهربائي اكثر، تذبذب النور في الصالة، ثم انقطعت الكهرباء تماما.

توجه الى الفاترينة في الصالة مستعينا بنور شاشة نقاله، واخرج من احد ادراجها مصباحا كهربائيا يعمل بطاقة الشحن، الغى مشروع اعداد فنجان القهوة، وغلب عليه التعب ســاحبا اياه نحو غرفة نومه، وضع المصباح عند راسه والقى بنفسه على سريره.

في ذلك الوقت، غادرت سيارة الشيروكي السوداء اثناء حلول سيارة اخرى مشابهة لها في شارع منزل مهدي، تبادلتا الادوار، فالعنصران في السيارة الاولى بحاجة للراحة، انسحبا بسيارتيهما نحو مقر البلاك ساند وسط بغداد.

في الجناح الخاص بمنزل مهدي و الخاص بوالده، كانت الصالة الاثرية لا تزال مغلقة وعلى حالها، الا من اثار اقدام مهدي ومها التي عكرت طبقة الغبار الممتدة على الارضية و السجادة المغبرة، الى جانب الخزنة الحديدية التي تركت مفتوحة تعلن خوائها من اية موجودات، فيما بقي كتاب الف ليلة و ليلة على المنضدة وسط الصالة.

الفصل 63

سينهار كل شئ..

.

.

تستعبد الامبراطورية و يقوم مقامها ثلاثة رجال..

.

.

ابحثي في ذاتك عن النجاة..

لقد رميت لك الطوق..

.

.

في قبرٍ ازرق يقوم على اعمدةٍ من ارواح..

.

.

قيثارة الثور اوتارٌ لها نزعت..

رغم تعبه الشديد، كان مهدي على فراشه يصارع ومضات تلك العبارات التي مرت امامه كشريط احداث تبرق براسه مع وميض البرق الذي كان يضرب العاصمة و يتسلل نوره عبر ستائر غرفة نومه، كان الظلام وصوت الرعد يطوقان بيته، لكن ذهنه لم يبد استجابة للنعاس.

لقد عبر جزءا كبيرا من حلحلة تلك الالغاز بمساعدة مها..

مها !
تلك الفتاة الصبورة التي تحملت عصبيته و انفعالاته المتكررة، لماذا تصبر على ما تراه منه هكذا ؟ بل انها تخشى عليه حتى من نفسه، لقد تركت التفرغ لانجاز مشروع بحث تخرجها وهاهي تقضي الوقت معه لمساعدته على ايجاد ما يبحث عنه..
تذكر عطرها الـ"نينا ريتشي"الذي لم يفارقه، وراح مظهرها وهي ترجع شعرها خلف اذنها يداعب خيالاته، يالهذه الحركة! انه معجبٌ جدا بها حين تؤديها وهي تحاول التفكير معه بعمق، تؤديها دون علمها بانه معجب باصابعها تلك و هي تمر على شعرها الاشقر دافعة اياه خلف اذنها المزينة بقرط صغير جدا، ابتسم وهو يراجع افكاره التي تركت المشكلة الكبيرة وبدأت تنحرف نحو تفاصيل احدى طالباته، لكن مها ليست مجرد طالبة بالنسبة له، فهي لم تعد كذلك، شعر بان عليه ان يعترف لنفسه بانه منجذبٌ نحوها، او على الاقل معجبٌ بها، كما تنجذب اجفانه الان الى بعضها من شدة النعاس، بدأ يستسلم لاولى موجات النوم التي مدت بامواجها الى عينيه، لكن شيئا ما لا يريده ان يغفو، لم تنته رحلة البحث بعد، سيطرت على ذهنه فكرة ان الخزنة لايمكن ان تفتح بهذه الصعوبة لتترك فارغة، عليه بالتفكير، لكن ليس الان، فهو بحاجة للراحة.. الا ان يده اندفعت ببطء نحو الطاولة الخشبية الصغيرة الى جانب سريره، تلمسها في الظلام ليمسك المصباح الكهربائي، تلمس جانب المصباح ليعثر على زر التشغيل، دفعه بابهامه فاستحالت الغرفة نورا.

نهض من سريره و ارتدى جلبابا شتويا و توجه نحو باب غرفته، وبهدوء وترو، سلك الطريق المؤدي الى الفناء الخارجي حيث شعر ببرودة كادت تصطك عظامه لشدتها، توجه نحو جناح والده خلف المنزل، اخرج مفتاحه من جيبه وفتح الباب الحديدية، ودخل الى الغرفة الاثرية.

عبقت رائحة الرطوبة من جديد، الى جانب دفء طوق جسده نسبيا، مر بضوء المصباح على الموجودات في تلك الغرفة، كان البرق يبعث بوميض يتسلل احيانا داخل الصالة الاثرية من الشباك الذي ازاحت مها عنه ستارته جزئيا، فيصيب بنوره بعض الاثاث، وينير وجوه الاشخاص المتروكين كصور على جدران المكان.

توجه نحو الخزنة التي تركت مفتوحة، مر بعينيه على عبارة 1000 و 1 المكتوبة على بابها، جلس امامها و بدا ينظر الى رفها الوحيد الخالي من اي شئ، حتى الغبار لم يستطع الدخول طيلة تلك السنين الى داخلها الا بكمية ضئيلة جدا، نظر الى الجزء العلوي من الرف، ثم الى الجزء الاسفل منه، لاحظ وجود تباين في المسافات من عتبة الخزنة الى نهاية عمقها، فالنصف الاعلى يبدو فيه ظهر الخزنة اقرب لليد من الجزء الاسفل، مد يده و بدأ يتحسس الجزء الاسفل محاولا قياس المسافة، ثم اخرجها ووضعها على الرف الوسطي و دفعها الى الامام..
المسافة اقصر!
تلمس باصابعه وجه نهاية الخزنة العليا، بدأ بالاركان ثم مر على وجهها باصابعه..

فجأة، داعب سبابته نتوء دائري غريب..
اخرج يده من الخزنة ووجه المصباح الى الداخل، اخذ ينظر الى المكان الذي احس فيه بوجود نتوء صغير يستشعر بصعوبة، لم يكن لون النتوء مختلفا عن لون باقي الخزنة من الداخل، الا ان المصباح اعانه على رؤية النتوء بالضبط، وكشف له شكل ذلك التركيب..

موضع ادخال *مفتاح* !

الفصل 64

اصـبح واثقا من ان الخزنة تحتوي بداخلها على خزنة اصـغر تضمها كجزء منها، فقـد كان ظهر النصـف الاعلى مـن الخزنة عبارة عن باب حديـدي محكم الاغلاق مع موضـع لوضع مفتاح تم تمويهه بشكل ذكي، انحرفت افكار مهدي نحو ايجاد المفتاح الذي سيفتح هذا الجزء من الخزنة .

شـاعرا بخيط امل بعد ليل ياسـه السـابق، نهض ووجه نور مصـباحه نحو اثاث الغرفة، وكغريق يحاول الامسـاك باي شـئ تحـت قعر بحر، حتى و ان كان قشـة، وجه مصـباحه نحو كل ماحوله في المكان، شـعاري الجمهورية على الجدران، صور والده وصور المختار، ازاح الضوء نحو الفارس البلاستيكي، اقترب منه وبدأ يتفحص ملابسـه، بحث عند رقبته، عله يرتدي قلادة تحمـل مفتاح ذلك الجزء من الخزنة، لم يجد شـيئا، تحرك نحو المكتبة، سـطع البرق مجددا، بانـت عناوين الكتب للحظة خاطفـة، اراد العثـور على فـراغ بين الكتب عله يجد بينها شـيئا، اسـتدار عائدا بالنظر نحو الخزنة، فجأة، اجتاح عينيه نورٌ ساطع، بدا كذلك اول وهلة، لكنه بعد استقرار بؤبؤي عينيه عليه، لم يكن بذلك السطوع الشديد، لقد عادت الكهرباء، وما ان اتضـحت الاشـياء امامه، حتى وجد نفسـه ناظرا الى الخزنة ذاتها، لكن ما لفـت انتباهه اكثر، كان ماصـدمه كصـاعقة اخرقت دماغـه، فبمجرد نظره الى الخزنة، تسـلقت عيناه الى المنضـدة فوقها، ثم السـاعة الرملية الموضوعة على تلك المنضدة، لقد افرغت الساعة رمالها مجددا من نصفها العلوي الى السفلي، تاركة اعلاها زجاجا خاويا ..

الا من شـئ صغير لامع، على هيئة مفتاح .

You have the words to change a nation, but you're biting your tongue..
You've spent your lifetime stuck in silence, afraid you'll say something wrong ..
If no one ever hears it, how we gonna learn your song ..
So come on.. come on ..

منسجمة مع طلاء اظافرها الاحمر الذي كانت تضعه على اظافر اقدامها، كانت مها تدندن بتلك الكلمات من اغنية Emeli Sande التي وجدتها صادقة للتعبير عن الرئيس المختار وما فعله من اجل بلاده، نظرت الى الساعة التي بدأت تقترب من الواحدة بعد منتصف الليل، لا تدري لم تشعر بالراحة بعد يوم كان متعبا قضته مع مهدي، حاولت الانشغال بنفسها حتى تنسحب الى النوم، لتستعيد نشاطها ليوم غد من اجل التفكير بما تركه والد مهدي من خزنة خاوية .

شعرت بارتياح اكبر للمكالمة التي اجرتها مع والدتها قبل ساعتين عبر الهاتف، كانت مكالمة قصيرة، اوضحت والدتها فيها بانها اجرت فحوصاتها الاولية للاستعداد لاجراء عمليتها الجراحية في احدى مستشفيات اسطنبول في الغد، انها تعلم بشجاعة والدتها وصبرها على الالم، لقد كانت تتمتع بنفس الصلابة في ذلك الاتصال ماطمئن مها على حالتها .

اغلقت قنينة الطلاء وبدأت تنتظره ليجف من على اظافرها، و اكملت دندنتها لتلك الاغنية ..

You’ve got a heart as load as lion, so why let your voice be tamed ?
Maybe we’re a little difference, there is no need to be ashamed ..
You’ve got the light to fight the shadows, so stop hiding it away...
Come on... come on...

....

وضع مهدي المصباح على المنضدة الى جوار كتاب الف ليلة و ليلة، و عاد ليمسك بالساعة الرملية محاولا كسرها لاخراج المفتاح، الا ان ما اعاق رفعها من على المنضدة، كان خيط الصوف المرتبط بقاعدتها العليا بعد ان قلبتها مها راسا على عقب، مد يده في جيبه و اخرج ولاعته، اشعلها و قربها من الخيط ..
من قال ان التدخين بلا فوائد ؟

قطع الخيط بسهولة، اخذ الساعة وخرج بها الى خارج الصالة حيث الارضية الصلبة، تركها من يده لتهوي نحو حتفها، استحالت الى شظايا متناثرة .. وحبيبات رمل طائشة .. ومفتاح ..

امسك المفتاح وعاد به مسرعا الى الغرفة الاثرية، اخذ المصباح و اشعله مجددا، جلس امام الخزنة ووجه النور الى مكان الفتح، ثم ادخل المفتاح فيه، اداره الى اليمين مرة، ثم اخرى، ثم استقر المفتاح عموديا، سحبه الى جهته ففتح الباب الصغير .

تكشف ما خلف الباب بمرور نور المصباح عليه، كان مارآه مهدي هناك شئ لامع .. وضع على قطعة من الورق الابيض .

مد يده واخرجهما، وضع الورقة على الارض و امسك الشئ المعدني، كان عبارة عن قلادة بسلسلة قصيرة علقت فيها حلقة صغيرة، نظر الى الحلقة، لم تكن تبدي اي تعبير، سوى ان حافتها نقش عليها رقم كسري :

1/40.000

قطب مهدي حاجبيه، وضع القلادة و المصباح على الارض وتناول الورقة التي اعتقد ان له علاقة بالقلادة، كانت الورقة تحمل نصا غريبا بدا يقراه وقد غشاه غموض تام .

الفصل 65

الواحدة بعد منتصف الليل بتوقيت بغداد.

كان مهدي قد بدأ بقراءة النص على الرسالة التي وجدها في الخزنة ..

ختمٌ سومري ..

وسط المدينة المدورة ..

ابحث فيه عن المرأة الحادية عشرة منه ..

و اجمع من على خصرها الجواهر الالهية الثلاث ..

اعلى مذبح صليب عنب ورمان ..

و خلف صليب وراية ..

و عند اقدام هلال اخضر ..

اغرس القلادة حيث غرس رمح الفارس الضائع ..

سيستدير كقرص الشمس ..

حين يخترقها بعض من احد عشر سهما ..

في الساعة الحادية عشرة ..

يسطع نور المرآة ..

لتبدي طوقا يفتح باجتماع عناصر الوجود الاربعة ..

او ستجده غافيا عند غشاء الـ ... .

كانت اخر كلمة من الرسالة محوة منها بفعل قطراتٍ من الماء سقطت على الحبر الازرق فجعلت الكلمة عصية على القراءة ..

اغمض مهدي عينيه و وضع راسه بين يديه و هو يجلس على الارض المغبرة قبالة الخزنة، احس بان الامر يزداد صعوبة، اعتصره شعور غريب لوى قلبه حزنا والما، لن يتم فهم الرسالة في الوقت المناسب، ستنهار البلاد قبل ان يدرك الكنز لينقذها، القى نظرة اخرى على الورقة..
لن يكون فهمها الا ضربا من المستحيل .

حاول جاهدا ان يصب تركيزه على الكلمات امامه، لكن صعوبة ما يقراه تحالف مع اجفانه التي بدات بخيانته و الحنين الى النوم بعد يوم متعب، طوى الورقة و وضعها في جيبه الى جانب القلادة الحديدية، نهض واغلق مصابيح الصالة و اقفل بابها، ثم توجه لغرفته لينام، عل الصباح يساعده في فهم ما وجده .

....

في الجانب الاخر من العالم، كانت الانهيارات مستمرة بالحدوث، لم يكن خفض الفائدة نحو الصفر الذي اعلنته المصارف الامريكية كافيا لتفادي الازمة، فلقد تابع الدولار انخفاضه السريع امام الذهب، ستصل الكارثة الى باقي العالم بشكل اشد قريبا، و ستخسر الدول التي تمتلك كميات كبيرة من الدولار قيمة ما تملك ..

الذهب هو المنقذ .

الفصل 66

التاسعة صباحا بتوقيت بغداد .

ممسكا برسالة والده، كان مهدي قد ابتدأ يومه بسيكارة و فنجان قهوة وذهن مشتت وهو يقرأ ما ترك له من نصٍ بحبر ازرق على ورق بقيت اخر كلمة منه مغمورة بقطرات ماء طمستها، وغيبت حروفها .
لم يكن هناك مايربط العبارات، سوى الرقم احد عشر الذي لاحظ انه تكرر ثلاث مرات في تلك الرسالة ..

ابحث فيه عن المراة الحادية عشرة منه ..
حين يخترقها بعضٌ من احد عشر سهما ..
في الساعة الحادية عشرة ..

عصر دماغه محاولا ايجاد الربط بين العبارات الحاملة لذلك الرقم، فما ان تمكن من حل لغز الرقم 39 ولغز ارقام الخزنة مع مها، حتى ظهرت له مشكلة حل الرقم 11 في دائرة متشابكة من الشفرات المحيرة ..
كنز المختار .. انقاذ للبلاد ..

اعاد قراءة النص من جديد ..

ختم سومري ..
وسط المدينة المدورة ..

كان جل ما اســتطاع فهمه هو عبارة (وسـط المدينة المدورة)، فذلك يرمز الى بغداد، التي شيدت في العصر العباسي على شكل مدينة بسور دائري، لتبقى الدائرة رمزا لها، لكن كيف سيعثر على الختم السومري في وسطها ؟

جـال بافكاره باحثا عــن نقطة انطلاق لحل اللغز، فجأة، وجد نفسـه في اضـعف حالاته، لقــد تحمل الكثير من المتاعب رغم انه لا يريد الاستسـلام، فتحمله لتلك المســؤولية هو الفيصل بين انقاذ اقتصـاد البلاد، او ذهابها ادراج عاصفة الانهيار الاقتصادي العالمي العاتية .

تناول نقاله و بدأ يكتب رسالة الى مها: "يجب ان نلتقي"..

وضع الورقة جانبا و عاد ليرتشف قهوته وهو يقلب القلادة الحديدية في يده .

في الوقت ذاته، كات مها قد اسـتفاقت على صـوت اهتزاز نقالها على المنضـدة القريبة من سريرها، نظرت بنصـف عين الى رسـالة مهدي، بدأ الفضول بسحبها من فراشها لتعد نفسها للقاءه من جديد، وهي تتسائل عما اذا كان قد عثر على شئ اخر، فاخر ما كان حدث معهما هو خزنة فارغة فتحت بشق الانفس .

توجهت للحصول على حمام ساخن لتهئ نفسها للذهاب الى حي زيونة .

....

في غرفته ذات الجدران الخشـبية، كان الرجـل ذو البدلة الانيقة قد بدأ يومه بمتابعة اخبار الاقتصاد، لقد هبط سعر برميل النفط الى رقم قياسي جديد ..

35 دولارا للبرميل ..

بينمـا توالت اخبـار الاضرابـات في بعض المصـارف و الشركات الامريكيـة و بدأت الاحتجاجـات في عدد مـن المدن هناك، في الوقت نفسـه، كان التخـوف من عدوى الانهيارات يخيم على العالم باسره، كما خيم على ذو البدلة الانيقة تخوف انتقال تلك العدوى الى العراق قريبا، فابسـط ما يمكن ان يحدث، هو ان تعلن الحكومة عن تقشف مفاجئ لما تبقى من العام، مما يعني زيادة الضرائب، وخفض الاجور، وتسريح موظفين حكوميين، ستندلع الاحتجاجات و تعم الفوضى، و سيكون ذلك مقدمة لانفلات امني لا يحمد عقباه .

....

ختم سومري ..

وسط المدينة المدورة ..

ردد مهـدي مع نفسـه وهو ينظـر الى قعر فنجانـه الذي شرب قهوته دون سـكر، كان ينظر الى الاشـكال بداخل الفنجان عله يعثر على ما يوحي له بشـكل معين ليبحـث عنـه، لا توجد الاختام السـومرية الا في المتحف العراقـي، حيث يحتفظ المتحف بمئات القطع الاثرية العراقية مقسـمة على قاعات حسب الحقب الزمنية لحضارات العراق القديمة .

نظر الى الساعة الثمانينية التي بدأت تقترب من العاشرة صباحا، لم يرد اي اتصال او رسالة من مها بعد، تناول الريموت كونترول و شغل التلفاز .

كان التلفزيون العراقي هو الاخر يتابع اخبار التدهور الاقتصادي العالمي، اضافة الى بثه لقطات من داخل البرلمان الوطني حيث شـبت نقاشـات عنيفة بين اعضائه، و جميع ما كان يناقش، هو سبل ايجاد حل لوضع البلد الاقتصادي في ظل التطورات الاخيرة، فقد انشـق البرلمان بين دافعين باتجاه اجراء تقشـفي سريع وبين رافضين له من يريدون الظهور اعلاميا كمناصرين للشعب على حساب الاقتصاد الوطني .

تابع مهدي تلك اللقطات، فيما شعر بانه يمتلك الحل لتهدئة كل تلك المشاكل و الاضطرابات، لكن ..
عليه ان يحل شفرة الرسالة اولا ..

ومض نقاله بشكل خاطف ثم توقف، امسكه و نظر الى شاشته، كانت مها قد اتصلت وقطعت الاتصال بسرعة، فهم مهدي انها قد استيقظت و تسلمت الرسالة الاخيرة .
ليس له الا انتظارها، لمناقشة ما وجده في خزنة والده .

....

اغلق عنصر البلاك ساند جهاز الاتصال مع سكوت اوزيلينغ، ابلغه ورفيقه بعدم التحرك نحو المحامي مهما حصل حتى يتسلمون الاوامر منه مباشرة بذلك، لكن برغم تلك التوجيهات، كانت اوامر اوزيلينغ بالبقاء في وضع يقظة ومراقبة صارمة واضحة، ففي اية لحظة، قد ترد للعنصرين الاوامر بالتحرك للقيام بعملية نوعية في حي زيونة وسط بغداد. فعناصر بلاك ساند و بالتنسيق مع اطراف نافذة في البلاد، يمتلكون هويات لا تسمح لقوى الامن العراقي باعتراضهم، لقد حصلوا على حرية التحرك في العاصمة تحت غطاء شرعي، مقابل صفقات خفية .

الفصل 67

العاشرة و النصف صباحا بتوقيت بغداد.

"حسنا، في المكان ذاته .. اتفقنا، الحادية عشرة، سالتقيك هناك مع بعض التفاصيل الجديدة، طيب .. الى اللقاء".

انهى مهدي مكالمة من دون تفاصيل مع مها على الهاتف، اوصل اليها معلومة الالتقاء بذات المقهى الشعبي في شارع فلسطين في تمام الساعة الحادية عشرة، و بدأ يعد نفسه للذهاب الى هناك .

كانت مها قد اعدت نفسها هي الاخرى للقاءه، و اثاء تفحصها لوضع الماء في مشع سيارتها قبل الانطلاق في الوقت المحدد، تناهت الى سمعها اصوات صافرات سيارات حكومية بدت كاصوات سيارات الشرطة او الاسعاف الفوري وهي تتجول في شوارع المدينة الرئيسية القريبة، شعرت بوجود وضع غريب هذا اليوم لم يبد انه طبيعي ابدا .

قبل ربع ساعة من الموعد المحدد، خرج مهدي بخطوات سريعة نحو الشارع الرئيس من حي زيونة، مر امام سيارة جيب شيروكي كانت متوقفة في احد الشوارع الفرعية، هز عنصر البلاك ساند فيها راسه وقد تناول جهز الاتصال، فيما راح الاخر يعدل نظارته الشمسية وهو يمضغ العلكة بانتظار صدور اوامر سكوت اوزيلينغ الذي جائت اوامره لهما بعدم التحرك والاكتفاء بمراقبة ما سيفعله المحامي عند وصوله الشارع الرئيس .

تتبعت سيارة الشيروكي خطوات مهدي عن كثب، وصل الى الشارع الرئيس و ركب سيارة اجرة، توقفت الجيب السوداء و بدأت تعود ادراجها الى موقع مرابطتها قرب منزله، فيما تلقفت الكاميرا المثبتة على المنزل المقابل لمنزل مهدي تحركات تلك السيارة الاخيرة .

بعد دقائق، وفي المقهى البغدادي القديم في ساحة بيروت بشارع فلسطين، كانت مها قد وصلت و بقيت بانتظار مهدي وهي تستمع الى الاغاني العراقية التراثية التي انسابت من زوايا ذلك المقهى الى اذنيها، مرت بعينيها على الصور القديمة المثبتة على جدران المقهى، جسر الصرافية في ستينات القرن الماضي، بائعات القيمر، صور الملك فيصل الثاني و الزعيم عبد الكريم قاسم، تسائلت في نفسها عن ذلك التناقض، كيف يجمع القاتل و القتيل على جدار واحد ؟!
تجاهلت ذلك التساؤل، وتنقلت بعينيها على باقي الصور، ثم انتبهت لدخول رجل ثلاثيني الى المقهى، كان ذلك مهدي .
جال بعينيه بين الكراسي الخشبية و الطاولات ليعثر عليها جالسة على نفس الطاولة التي التقيا عندها اخر مرة، سحب كرسيا و جلس امامها .

- "صباح الخير".
- "اهلا مهدي"، و نظرت الى ذقنه الذي بدا غير حليق، "تبدو متعبا !".
- "نوعا ما، لكن ذلك لا يهم".
- "!!".
- "مها، لقد وجدت ما بداخل الخزنة !".

انشرح صدرها لما سمعته من خبر صادم، ارجعت شعرها خلف اذنها و قالت: "كيف ؟ اشرح لي ؟".
ابتسم و قال: "لقد كانت الخزنة التي فتحناها تحتوي بداخلها على اخرى اصغر منها من ضمن بنية الخزنة الرئيسية، وهي تفتح بمفتاح صغير وضع في النصف الاسفل من الساعة الرملية الذي كان مغمورا بالرمال".
- "تقصد"، قالت مها، "انك عثرت على مفتاح في الساعة ؟".
- "تماما، كسرتها و اخرجت المفتاح و فتحت الجزء السري من الخزنة".

- "وماذا وجدت هناك ؟"، قالت بشغف .

لم يزح عيناه عنها، ومد يده في جيب سترته الداخلي، اخرج الورقة باطراف اصابعه، نظر حوله و اطمئن لهدوء المكان وعدم مراقبة احدهم لهما، وضع الورقة على الطاولة مبقيا اياها مطوية، مدت مها يدها نحوها، الا انه وضع يده على الورقة مانعا وقال: "ليس قبل ان نشرب شيئا !".

....

اغلق سكوت اوزيلينغ الهاتف الداخلي الموضوع على مكتبه الخشبي، لقد تم اعلامه للتو بالمكان الذي رصفت فيه سيارة الفتاة – رفيقة المحامي – عبر الاشارات الصادرة عن جهاز التتبع الملصق اسفل السيارة، ولم تكن تلك المعلومة الوحيدة التي وصلته، بل انه كان قد علم بالمكان الذي يجلس فيه المحامي ورفيقته، في اي مقهى، وعلى اية طاولة، وماذا طلبا ليشربا، و كيف بدت الفتاة متوترة من ضربات قدمها المستمرة على البلاط ..

"يبدوان كعاشقين حين تنظر لهما"..

قيل لاوزلينغ بصوت منخفض .. *من داخل المقهى* .

الفصل 68

"هل لاحظت الحركة الغريبة في الشوارع اليوم ؟"، قالت مها و هي ترتشف الحليب بالكاكاو الذي طلبته .

"نعم"، اجاب مهدي، "هناك تحرك امني مريب، سيارات الشرطة و الاسعاف منتشرة بكثافة اليوم"، تجرع قهوته المرة، "اتمنى ان لا يكون ذلك اجراءا احترازيا حكوميا يسبق قرارات قد تتسبب باجراء اضطرابات على خلفية التدهور الاقتصادي العالمي".

اغمضت مها عينيها و هزت راسها وهي تتخيل ما قد يحصل من فوضى اذا اعلنت الحكومة عن اجراءات احترازية تقشفية على مواطنيها، نظرت اليه وقالت: "حسنا، لنقرأ مافي الورقة"..

مد مهدي يده وفتح الورقة و ادارها باتجاهها، دفعها نحوها فبدأت تنظر الى ما كتب فيها ..

ختمٌ سومري ..
وسط المدينة المدورة ..

ضاق اتساع عينيها وهي تمر على الكلمات ..

اغرس القلادة حيث غرس رمح الفارس الضائع ..
سيستدير كقرص الشمس ..

تتبعت الكلمات حتى الكلمة الاخيرة المغمورة بقطرات قليلة اختلطت بالحبر الازرق، نظرت لمهدي بعينين تائهين في نص غريب ..

"حسنا، "، قالت، "لنعيد قراءته و نفكك ما نستطيع منه". اومأ مهدي موافقا، و بدأت بقراءته:

"ختم سومري، وسط المدينة المدورة"، نظرت الى مهدي الذي مسح عينيه ثم قال: "يبدو انه يؤكد على ان ما خبأه موجود في بغداد، المدينة المدورة، تذكري رسالة الرئيس حين قال: ابحثي في ذاتك عن النجاة".

اعجبت مها بذلك الربط وقالت: "لكن الختم السومري، كيف سنستدل عليه، وكيف نجده؟". ضم مهدي شفتيه و اشار لها بالاستمرار .

قرات: "ابحث فيه عن المراة الحادية عشرة منه".

عادت ذكريات مهدي الى المتحف العراقي الذي زاره مع رفاقه ايام الجامعة، عصر تفكيره ليتذكر ما شاهده هناك من اختام سومرية .

"مها، هناك اختام سومرية داخل المتحف وضعت في قاعة الحضارة السومرية نفسها، لا يمكن ان تقصد الرسالة شيئا اخر، المختار لا يريد الاشارة الى اشياء يمكن تغييرها او تبديل شكلها، و الاثار اشياء موجودة في المتحف منذ عقود و ستظل كذلك".

اجابت: "و هل تذكر هناك ختما تظهر عليه امراة لها علاقة بالرقم 11 ؟".

ابتسم وقال: "الاختام اثار اسطوانية الشكل وصغيرة، لا يمكن التمحيص بالاشكال المنحوتة عليه بسهولة، كما انني لم ادقق النظر اليها في تلك الزيارة، لا ادري، لعلنا بحاجة الى زيارة المتحف و مشاهدتها".

اومأت مها معجبة بالفكرة و استانفت القراءة: "و اجمع من على خصرها الجواهر الالهية الثلاث".

"المشــكلة.."، قال مهدي، "ان الاسطر مترابطة فيما بينها بشكل غريب، فلا يمكن الانتقال الى الخطوة التالية من دون فهم ما يقصــد بالاولى، يجب ايجاد الختم اولا، ثم المراة، ثم التعرف على ما اسماه الجواهر الالهية الثلاث".
"تقصد صليب العنب و الرمان، وصليب وراية .."، قاطعها قائلا: "و الهلال الاخضر".

ارتشــفت قليلا من مشروبها الســاخن واكملت: "اغرس القــلادة حيث غرس رمح الفارس الضــائع، قلادة ؟". مــد مهدي يده في جيبه و اخرج منــه القلادة الحديدية، وضــعها على الطاولة فاصــدرت رنينا لفت انتباه شــاب اســمر كان يجلس على طاولة تبعد عنهما بضعة امتار .
"هــذا ما وجدته مع الرســالة مها !"، تناولت الرســالة و اخــذت تقلبها بين يديها، نظرت الى الرقم المحفور على الحلقة المعلقة بالسلسلة: 1/40.000
لم تكن الحلقة تبدي اكثر من ذلك .

"رمــح الفارس الضــائع"، قالت، و اعادت النظر في الرســالة، "سيســتدير كقرص الشمس، حين يخترقها بعضٌ من احد عشر سهما".
قال مهدي: "في الســاعة الحادية عشرة، يسطع نور المرآة، مها، لقد تكرر الرقم احد عشر ثلاث مرات في الرسالة".

كان طــول الرســالة قد زاد من صــعوبتها، ارجعت مها شــعرها خلف اذنها وهي تشــعر بضــياع تام، قالت: "مهدي، اقــترح ان نبدأ بالبحث خطــوة بعد الاخرى، لن نفهم شــيئا هكذا، خصوصا و ان نص الرسالة فقدت منه الكلمة الاخيرة بفعل ما سقط عليها ولن نستطيع قراءة تلك الكلمة".

استل مهدي سيكارة من علبة سجائره و اشعلها. "اتمنى ان نعثر على ما نبحث عنه في الوقت المناسب. قد يطول البحث. ويكون الاوان قد فات".

اجابت: "اذا. لنستغل كل دقيقة ممكنة. يجب ان نذهب الى المتحف و نعثر على الختم السومري".

نفث مهدي دخان سيكارته غير واثق من تلك الخطوة. الا انه لم يكن يمتلك ضياءا اخر .. ختم سومري .. وسط المدينة المدورة ..

نادى على النادل ودفع الحساب. اطفأ سيكارته. ونهض واياها تاركين المكان. توجها الى السيارة في الخارج فيما كان الشاب الاسمر قد بدأ بدفع حسابه هو الاخر .

في الخارج. كانت سيارة اجرة صفراء قد تحركت متتبعةً سيارة مها. فيما اختفى الشاب الاسمر. وبقي ضوء جهاز التتبع اسفل سيارة مها يواصل وميضه المتقطع. معلما سكوت اوزيلينغ بوجهة هدفه القادمة .

الفصل 69

في الطريق نحو المتحف الواقع في منطقة العلاوي بجانب الكرخ، تنبه مهدي اكثر الى الحالة الغريبة للشوارع، فسيطرات قوى الامن انتشرت على نحو غير مسبوق، اضافة الى نزول عجلات ضخ المياه لتفريق التظاهرات مع اعداد من شرطة مكافحة الشغب، الى جانب تحليق مروحيات قوى الامن وطيران الجيش فوق العاصمة .

شيء ما قد حدث او سيحدث ..

مد مهدي يده الى جهاز الراديو في السيارة، شغل الجهاز و بدأ يبحث عن الاذاعة الحكومية، برز منها صوت المذيع الذي اكتسب جدية تامة اثناء قرائته للتنويه ..

" ... الى اننا بعد قليل سنذيع على حضراتكم جملة من قرارات مجلس الوزراء التي اقرها في جلسته الطارئة صباح هذا اليوم بعد قليل، لذا نسترعي الانتباه .." ..

كرر المذيع قراءة ذلك النص مجددا ..

" مستمعينا الكرام: نهيب بحضراتكم الى اننا بعد قليل سنذيع .." ..

نظر مهدي الى مها التي سمعت ماقاله المذيع هي الاخرى وهي تقود باتجاه منطقة الوزيرية قاصدة العبور فوق جسر الصرافية الحديدي ..

" شيٌّ ما سيحدث مها ! "، قال وقد خضع لسيل من القلق الذي اعتراه ..

" يبدو ذلك واضحا، اتمنى الوصول الى المتحف قبل ان يحدث امر ما " ..

بعد دقائق، كانت سيارة مها تقطع جسر الصرافية باتجاه الكرخ وقد برز صوت المذيع مجددا من سماعات الراديو فيها، تلا رقم جلسة مجلس الوزراء الطارئة ثم بدأ بسرد اهم القرارات الصادرة عنها، دفع مهدي ومها بكامل تركيزهما نحو ما

يقول، كانت قرارات مجلس الوزراء جميعها تخص الازمة المالية العالمية، لقد اتخذ المجلس قرارات حاسمة لمواجهة الازمة .

كان من جملة القرارت التي اصدرها المجلس التنفيذي الاعلى في البلاد، رفع اسعار الوقود محليا بنسبة 25%، وفرض ضرائب على استيراد الخضروات والفواكه بنسبة 10%، وعلى التبوغ بأنواعها بنسبة 350%، وبقائمة طويلة، ضرائب على كافة الاجهزة والسيارات وتذاكر السفر وشركات الاتصال والانترنت والبريد، الى جانب تسريح 15% من موظفي الدولة وفق ضوابط معينة، كل ذلك في محاولة للحصول على عائدات اكبر والتقليل من المصروفات بعد ان انخفض سعر برميل النفط الى مادون الـ35 دولارا، فيما راح الدولار الامريكي ينهار ساعةً بعد ساعة في مواجهة كارثة الانهيار الاقتصادي العالمي .

انهى المذيع قراءة القرارات وانتقل الى نشرة اخبار سريعة لسرد اخر مستجدات الازمة المالية العالمية..
لقد وصلت كرة اللهب الى بغداد .

احس مهدي بمغص في معدته، وبانفاسه تتسارع، شعر ببرودة في كل جسمه واطراف اصابعه، فيما كانت جبهته تتفصد عرقا باردا، وغشى ذهنه تشوش قاتل .
" ستثور الناس يا مها!"، قال وهو يتنفس باسرع من المعتاد، "لذا نشرت الحكومة قواتها " .
" اشعر بالقلق مهدي"، قالت مها، "القلق من اننا قد لا نعثر على الذهب في الوقت المناسب" .

" وان عثرنا عليه، افترضي ذلك، بيد من سيسقط؟ يجب ان نفكر بذلك، حتى ان وجدناه، ينبغي ان نخفي سره الى الحين الذي نعلم الشعب فيه بان هناك مخزونا سينقذ البلاد كي لا تقوم اطراف فاسدة في الدولة بسرقته او مصادرته الى حسابها" .

احست مها بالوضع يزداد تعقيدا، اكتست وجهها مسحه من القلق المشوب بالخوف، وشعرت بساقها ترتجف وهي تضغط بقدمها على دواسة الوقود، لكنها واصلت القيادة، لقد عبرا منطقة العطيفية واصبحا قريبين من شارع مطار المثنى، لاحظت مع مهدي وحدات عسكرية خارجة من المطار في سيارات مصفحة..

يبدو ان الجيش سيشترك في حفظ الامن هو الاخر .

كانت لا تزال سيارة الاجرة الصفراء تتابع سيارة مها الصغيرة وهي تُعلِم الجهة التي ارسلتها بوجهة المحامي ورفيقته، فيما كان سكوت اوزلينغ قد اعد مخفوقه اليومي من الحليب والبروتين وهو يستمع الى ما يصله من معلومات من مساعديه، مستقاة من جهاز التتبع الملصق اسفل سيارة مها .

بصعوبة بالغة بين ارتال السيارات العسكرية، شقت مها طريقها نحو منطقة العلاوي باتجاه المتحف، عبرت فوق النفق المؤدي اليه ونظرت ومهدي الى البوابة الموضوعة في بابه والمبنية كتقليد للبوابات البابلية والاشورية القديمة مع ثورين مجنحين مزيفيين .
استدارت يمينا نحو الباب الثاني للمتحف واقتربت من مراب صغير لتترك سيارتها فيه وتترجل مع مهدي نحو مدخل المتحف العراقي.

بعد دقائق، كانت سـيارة الاجرة قد توقفت على مقربة فيما عبر المحامي ورفيقته نحو مدخل المتحف، لقد لفت انتباههما التحشـيد الامني والعسـكري في نهاية الشـارع، فهناك يقع مقـر وزارة الخارجية العراقية، وفي نهاية الشـارع القصـوى، البوابة الرئيسة للمنطقة الخضراء الرئاسـية، والمؤدية الى القصر الجمهوري.

الفصل 70

كانت سيارة عسكرية مصفحة تقف في باب المتحف الوطني. لقد بدا المتحف مغلقا في وجه مرتاديه وهو اجراء طبيعي عند اية ازمة امنية تحدث في العاصمة. فالسلطات تخشى تكرار سيناريو عام 2003 عندما استغلت عصابات السرقة والتخريب انهيار المنظومة الامنية العراقية بفعل دخول القوات الامريكية لتعيث بالمتحف نهبا وتدميرا للكنوز والاثار بداخله.

لم يقترب مهدي ومها اكثر من الجنود الواقفين عند البوابة قرب عجلتهم المصفحة. فالرد كان واضحا: المتحف مغلق الان لاسباب امنية !

"لن نبلغ القاعة السومرية مها"، قال مهدي وهو يضع يديه في جيوب سترته وينظر باتجاه تحرك العجلات العسكرية في الشارع نحو المنطقة الخضراء. لكن مها لم ترد حينما واتتها فكره ذكية. مدت يدها نحو جيب سترتها البنية واخرجت نقالها وبدات تتلمس الشاشة بسبباتها. ثم وضعت النقال على اذنها. راقب مهدي ماتفعله فيما نظرت هي له نظرة ثقة. استدارت وبدأت تتحدث في النقال.. "نعم.. عند الباب.. اعلم ذلك لكنه امر ضروري اسامة.. اتمنى مساعدتك.. لن نتاخر هناك صدقني.. لقد تركت السيارة بعيدا.. طبعا لن نحتاج الكاميرا.. ساعطيك اجهزة النقال.. حسنا.. "، والتفتت لمهدي وغمزت له: " ممتنة لك.. نحن بانتظارك!".

اغلقت الاتصال ووضعت يديها خلف ظهرها واقتربت منه: "ما رايك الان؟"، رفع مهدي حاجبيه متعجبا: "مع من تحدثتِ؟"، تظاهرت بانها تداعب شاشة نقالها وقالت:

"مع اسامة، دليل المتحف، لقد ساعدني عندما كنت ابحث عن معلومات بخصوص استرجاع الاثار المسروقة بالتنسيق مع الانتربول في مشروع بحثي التي تشرف عليه ... استاذ !".

اغمض مهدي عينيه وقد تذكر موضوع بحث تخرجها الذي يشرف هو عليه، كان مشروع بحثها يخص الجهود الذي يبذلها محامو العراق لاستعادة الاثار العراقية المسروقة من خارج العراق، نظر اليها وقال: "لقد كونتِ علاقات رائعة بسبب ذلك البحث!"، ابتسمت وقالت:

" ستتعرف على اسامة، انه شاب رائع، لقد ساعدني كثيرا وشرح لي ماتعرض له المتحف عند سرقته عام 2003، اراهن على انك ستمنحني درجة عالية على ذلك البحث، فقد رايت بنفسك جهودي!".

ضحك مهدي وقد فاض اعجابا بذكائها، كانت تنظر الى عينيه، ولكنها نظرت ورائه فجاءة وقد تغيرت ملامحها، استدار ناظرا خلفه ليرى شابا متوسط الطول بنظارات طبية ذات اطار اسود خلف السياج الحديدي للمتحف، اقترب الشاب من الباب وتحدث بحديث مقتضب لاحد الجنود، نظر الجندي الى مهدي ومها واشار اليهما بالاقتراب.

اغلق الرجل في سيارة الاجرة المتوقفة على الجانب الاخر من الشارع اتصالا اجراه بنقاله اعلم فيه محدثه ان المحامي ورفيقته دخلا المتحف وسلما جهازي النقال خاصتهما الى شاب يبدو من موظفي المتحف ثم تواريا عن الانظار.

في غرفتــه ذات الجــدران الخشــبية، كان الرجل ذو البدلة الانيقة يــذرع غرفته جيئة وذهابا وهو يدخن ســيكارته البنية، لقد تابع باهتمام بالغ هذا الصــباح الانتشــار الامني المكثف في العاصــمة، فكر في ان المحامي لن يحل اللغز في الوقت المناسب، كان يزداد قلقا مع كل ثانية تمر...

لن تسكت الناس على قرارات الحكومة الاخيرة، سينهار الاقتصاد، تتبعه الحكومة، ثم تغرق البلاد في فوضى لا نهاية لها...

....

عبر مهدي ومها والدليل اسامة الذي بدا لطيفا جدا معهما الباب الخاص بموظفي المتحف، فقد كان الباب الرئيس مغلقا بسبب الظروف الامنية الاخيرة، وجد مهدي ومها نفســيهما تحت سقف مرتفع برسومات مســتوحاة من الحضارات العراقية القديمة، اشــار لهما اســامة ليتبعانه، انعطف يســارا نحو ممر طويل بابواب على جانبيه، كان ذلك الممر يضم غرف الموظفين ويؤدي الى باب ضخم من الحديد تجاوزه الثلاثة ليجدوا انفسهم في فسحة مغلقة من كل الجهات سوى التي جاؤوا منها، استاذن اسامة من الاثنين ودخل الى غرفة يطل بابها على الفسحة، بعد نحو سبع دقائق، خرج لهما واخبرهما باكتمال الاجراءات واستحصــال موافقة مدير المتحف للســماح لهما بالدخول الى القاعات الاثريــة، وبعد دقائق اخرى، خرجت لهم امرأة متوســطة العمر من الغرفة مع مفتاح بيدها، تبعها الثلاثة نحو باب حديدي اخر على اليسار، فتحت قفل الباب الضخم واشارت لهم بالدخول.

عبر الثلاثة الباب لين صــوته ورائهم، لقد اغلقته الامرأة وقامت باقفاله، ثم ادارت ظهرها عائدة الى الغرفة..

لقد حبستهم جميعا هناك، خلف ابوابٍ حصينة !

الفصل 71

الثانية عشرة والنصف ظهرا بتوقيت بغداد .

لم ينتبه مهدي الى التماثيل الاثرية التي تعود لحقبة ما قبل الاسلام المنتصبة على يمين الرواق الذي ترك فيه مع مها واسامة، فلقد سيطر عليه شعور خانق بعد ان قامت المرأة باقفال الباب عليهم وتركهم هناك. كانت مها تتناقش مع اسامة قرب احد التماثيل بينما بقي هو ينظر باتجاه الفسحة التي دخلوا منها عبر الفتحات الحديدية في الباب المقفل.

"سيد مهدي"، قال اسامة وابتسم، التفت مهدي وقال: "نعم استاذ.. اسامة!"، اجاب الدليل: "من هنا لو سمحت!"، تردد مهدي في السؤال عن سبب اغلاق المرأة للباب، لكن اسامة لاحظ قلقه من ذلك الوضع وقال: "هل انت بخير؟"، اجاب مهدي وقد بدا على وجهه التردد: "بخير نعم!" . ابتسم الدليل وادار وجهه سائرا في الرواق الى جانب التماثيل المنصوبة هناك، تبعته مها ثم مهدي الذي راحت عيناه تتفحصان تلك الاثار، حيث انسته شيئا فشيئا مسالة الباب الموصدة . كان بعض تلك التماثيل البالغ طولها نحو مترين من دون راس، ومعظمها يرفع كفه الايسر كتحية اعتادوا على ادائها في تلك العصور، بعد عدة امتار من السير في ذلك الرواق، عبروا نهايته، ووجد مهدي ومها نفسيهما في مكان فسيح وبسقف عال .
يتذكر الاثنان هذا المكان جيدا، فمهدي زار المتحف مع رفاقه ذات مرة، وترددت مها على زيارته لانجاز مشروع بحثها الخاص باستعادة الاثار، حيث يوجد على يسار تلك الفسحة سلم عريض يؤدي الى الطابق الثاني، وعلى جدار السلم علقت جدارية من الجص بطول وعرض كبيرين يبلغان عدة امتار وقد نحتت عليها زخارف اسلامية دقيقة، وهي مقدمة للاثار الاسلامية التي يؤدي الى قاعتها باب على اليمين، اما قبالة السلم، فيقع مدخل قاعة تحتوي على خليط من الاثار القديمة والتراث الاسلامي.

استدار الدليل متبوعا بمهدي ومها لارتقاء السلم العريض، وبعد عبور درجاته، استدار بهم السلم الى اليسار ليتركهم بمواجهة لافتة نحاسية كتب عليها: "قاعة الحضارة السومرية".
خطا الثلاثة الى داخل القاعة التي كانت بسقف مرتفع ومساحة كبيرة وفضاء واسع، واول ما وقعت عليه اعينهم: الاناء النذري .

"حسنا، مالذي تريدان رؤيته؟"، قال اسامة، تبادل مهدي ومها النظرات، لم يريدا اطلاعه على ما يبحثان عنه.
"في الحقيقة"، قالت مها، "لقد حدثت الاستاذ مهدي عن زياراتي للمتحف الخاصة بمشروع البحث خاصتي، وقد جاء معي لسببين: الاول، هو التعرف على ماذكرته في المتحف بنفسه، والثاني هو اشباع فضوله في رؤية هذه الاثار بعد ان حدثته عنها، فكما اخبرتك، الاستاذ مهدي هو المشرف على بحثي الخاص بدور المحامين في استعادة الاثار التي سرقت من هنا وهربت الى خارج البلاد" .

هز اسامة راسه وهو يكتف ذراعيه، "حسنا، لقد شرحت لك في زياراتك السابقة ما موجود في هذه القاعة، كما اخبرتك بما سرق منها وتمت استعادته وترميمه، الى جانب شرحي لك عن الاثار التي سرقت ولم تتم استعادتها حتى الان، لذا، فأن بامكانك شرح هذه الامور الى السيد مهدي بنفسك وساكون بقربكما"، وقال بتلميح تحذيري: "تجولا بحريتكما في القاعة برفقة كاميرات المراقبة فقط!" .
ابتسمت مها وقد فهمت الرسالة، واشارت لمهدي بالتحرك، فيما بقي اسامة عند مدخل القاعة يراقب حركاتهما عن كثب، حيث توجه الاثنان الى الفاترينة الزجاجية الموضوعة على يمين المدخل، والتي كانت تعرض بداخلها مختلف الاشكال من: الاختام السومرية .

الفصل 72

اوقية عيار 24 - السعر 2,615.20 دولار امريكي.

سينهار كل شئ .

اصبحت الغرفة ذات الجدران الخشبية تعج بجوٍ ضبابي بسبب دخان السيكارة البنية الثالثة منذ الصباح التي يدخنها صاحب البدلة الانيقة وهو ينظر الى شريط الاخبار العاجلة على التلفاز.

لن ينفع البلاد احتياطي الدولار.

بعد دقائق، تلقى اتصالا هاتفيا اطلعه على وضع العاصمة تحت انتشار امني كثيف تقوم به وزارة الداخلية بالتعاون مع وحدات من الجيش، كان كابوس الحركة الشعبية العارمة ضد الحكومة يسيطر عليه بشكل جدي، فأجراءات الحكومة الاخيرة كانت لعب بالنار بمواجهة الملايين التي حوصر قوتها بقرارات مجلس الوزراء تلك. كان يعلم بان الانتشار الامني سيزيد الوضع تعقيدا، فذلك بحد ذاته استفزاز للناس التي اصبحت على قرارات خانقة من الحكومة. لن تستطيع الحكومة تبرير قراراتها مهما عملت آلتها الاعلامية. وكل ذلك كان خوف من جانبٍ واحد، اما الجانب الاصعب، فهو الانهيار الاقتصادي الذي لا يملك احدا سلاحا لمواجهته سوى كنز المختار.

اغمد صاحب البدلة الانيقة سيجارته في المنفضة الممتلئة امامه، اغمض عينيه متكئا وهو يتمنى ان يتحرك المحامي بشكل اسرع.

عبر زجاج الفاترينة، كان مهدي ومها ينظران الى الاختام السومرية التي تحتويها، لقد وضعت بداخلها الاختام الاسطوانية و المنبسطة وباحجام مختلفة، بجانب قطع مستطيلة الشكل من الطين الملون مرت عليها الاختام لتعكس ما نحت عليها، عشرات الاختام بنحت دقيق اغلبه كان يجسد مشاهد لحيوانات وزخارف مختلفة.

ليس هناك اثر لامراة بين الاختام.

نظر مهدي الى مها التي قرات نظرته، لا يمكن العودة بوفاضٍ خال، فهما مقيدين بسر لا يمكن فضحه، لذا، لن يستطيعا سؤال اسامة الذي يقف على مقربة عن ختم يشير الى امرأة ترتبط بالرقم احد عشر بطريقة او باخرى، نظرا مجددا الى الاختام، بدأ الامل يضمحل شيئا فشيئا مع كل انتقالة تنتقلها عيونهما بين ختم واخر.

لاشيء هنا ما قصده المستشار!

لاحظ اسامة طول مراقبتهما لفاترينة الاختام، تصنع نحنحة فهمتها مها، فالدليل لا يستطيع السماح لهما بالبقاء طويلا في المتحف للاسباب الامنية الغريبة التي تعيشها العاصمة اليوم، نظرت مها لمهدي تحثه على التظاهر برؤية باقي اثار القاعة، استدارا مارين بالاثار الموضوعة هناك، فاترينات باثار متنوعة على الجدار الايمن واثار اخرى على منصات في اقفاص زجاجية خاصة منتشرة في القاعة، بينها قناع المراة السومرية وتماثيل صغيرة وصولا الى نهاية القاعة حيث وضعت في قفص زجاجي: القيثارة السومرية الاصلية.

كان اسامة قد مشى الى منتصف القاعة ليبقيهما تحت انظاره رغم انهما كانا تحت انظار كاميرات المراقبة المنتشرة في الزوايا والسقوف، ارادت مها التعرف على ما اذا عثر مهدي على فكرة بين الاختام ام لا، لكن لم يكن هناك مجال للتحدث بوجود اسامة.

استدار مهدي ونظر الى اسامة بينما كان يمشي باتجاهه وتظاهر بالنظر الى ساعته ثم قال: "حسنا، المكان رائع، لكنني قلق من الوضع الامني اليوم، انا ومها نعيش في جانب الرصافة واخشى ان يتم قطع الجسور المؤدية الى هناك بسبب هذه الاجراءات الغريبة لقوى الامن، يجب ان نغادر الان".

تفاجأ اسامة بقرار مهدي المفاجىء وقال مستغربا: "لم تقضيا هنا اكثر من عشر دقائق!"، رفع مهدي حاجبيه وقال: " لو لم يكن الوضع كذلك، كنت ساقضي الليل هنا بين هذه النفائس!".

ابتسم اسامة وهو يرفع كتفيه مستسلما لقرار زائره الغريب الاطوار، اقتربت مها منهما وقالت: "حسنا استاذ، انا ايضا اخشى قطع الطريق".

اجاب اسامة: "اذا كانت هذه رغبتكما فكما تشاءان"، ابتسم مهدي بتصنع ومشى خلف الدليل نحو باب القاعة المؤدي الى السلم، رمق فاترينة الاختام بنظرة اخيرة.

لا امل في العثور على المراة هناك.

اصبحوا جميعا خارج القاعة السومرية، وغلى في صدر مهدي شعور بفشل مهمة البحث عن الختم السومري الذي اشارت له رسالة المستشار، والذي قال فيها انه وسط المدينة المدورة، نزل درجات السلم متتبعا خطوات اسامة بينما تبعتهما مها التي اعتصر قلبها الشعور بالفشل هي الاخرى، بعد دقائق كان مهدي ومها قد تسلما نقاليهما من اسامة الذي ودعهما عند باب المتحف.

تنفس مهدي الصعداء بعد ان زال عنه شعور الحبس الذي عاشه خلف ابواب المتحف الحصينة بعد ان خرج منه، تم تفتيشهما عند الباب اثناء الخروج من قبل حماية المتحف، ثم خرجا وعبرا الشارع متوجهين الى المرآب حيث ركنت مها سيارتها.

على الجانب الاخر من الشارع، كان الرجل في سيارة الاجرة قد اخبر الجهة التي ارسلته بما يجري: خروج المحامي ورفيقته من المتحف واستقلالهما سيارتهما، بينما بقي جهاز التتبع اسفل السيارة مستمرا باعلام قائد بلاك ساند سكوت اوزلينغ بتحركات المحامي ورفيقته اول باول.

بانشغالٍ بالغ، كان اللواء ماهر عبد الفتاح يجري اتصالات مكثفة مع رجاله في جهاز المخابرات لجمع اي معلومات عن تحرك شعبي مرتقب ضد الحكومة، فمن واجب جهازه ان يستشعر الخطر قبل وقوعه، وكانت من بين اتصالاته، مكالماتٌ خاصة مع قادة اجهزة الامن للتنسيق من اجل درء اي خطر محتمل في العاصمة بواسطة المخابرات وقوات حفظ الامن، كانت وزارة الداخلية وجهاز الامن الوطني يعيشان يوما ديناميكي الاحداث، لقد اصبحت اجهزة الحكومة المختلفة خلية نحلٍ بانتظار تحرك شعبي وشيك .

الفصل 73

اضطرت مها لصعود جسر الصالحية للعبور الى جانب الرصافة، فقوات الامن كانت قد اغلقت الطريق المؤدي الى جسر الجمهورية بوجه العجلات لقربه من البوابة الرئيسة للمنطقة الخضراء الرئاسية، كانت الشوارع مضطربة بفعل عجلات سيارات الشرطة، حتى ان بعضها كان يسير على الجسر بالاتجاه المعاكس وقد علت منها صوت الصافرات، كان الوضع مرتبكا للغاية.

- "لم نعثر على شئ هناك .. صحيح ؟"، قالت مها وهي تقود سيارتها للنزول من الجسر باتجاه ساحة الخلاني .

- "ابدا مها؟، كل الاختام كانت تحمل مشاهد لحيوانات و اخرى لصور غير مفهومة ودقيقة جدا، و البعض الاخر زخارف متشابكة" .

- "ختم سومري مهدي، لنخرج عن المالوف في التفكير، فمعظم الغاز السر لم تكن تعني بالضبط ماكتب فيها، انها تعني شيئا ذا صلة، يجب ان نفكر بهذه الطريقة"، قالت وهي تستدير باتجاه ساحة التحرير التي تتوسط العاصمة.

- "اوافقك ماقلت، لن يتركوا الامر بهذه البساطة، ثم لو افترضنا ان الختم هو احد اختام المتحف، كيف يمكننا الاستفادة منه؟ سيكون ذلك بحد ذاته مشكلة، امرأة في الحادي عشر منه .. رباه! ".

هزت مها راسها متاسفة، ساد الصمت بينهما حتى دخلت سيارتها ساحة التحرير قاصدة التوجه الى شارع فلسطين عن طريق الشارع المجاور لنصب الحرية الذي يطل على الساحة التي كانت تعج بعجلات الشرطة وقوى الامن، فهي المكان الرئيس لاحتضان التظاهرات بعد عام 2003، ومنذ ان اصبحت كذلك، كانت قوات الامن تحاصرها من كل جانب اثناء التظاهرات لمنع اي احداث شغب قد يقوم بها المتظاهرون.

" مها"، قال مهدي، "اتمنى ان لا نفقد الامل، فالبلاد على المحك، يجب ان .." ..
وكغواصة طفت الى سطح البحر لتشق الجليد، شقت فكرة غريبة ذهنه حالما وجد نفسه في ساحة التحرير التي تقع في مركز بغداد ..

"لقد عثرت على الختم" قال وهو يستعيد بذهنه عبارة (وسط المدينة المدورة) ..
" انه *نصب الحرية !* " .

الفصل 74

ختم سومري ..

وسط المدينة المدورة ..

كانتشار الدم في عروقه. كانت صدمة الفكرة التي عصفت بذهن مهدي تستشري فيه واضعةً اياه امام اهم النصب التذكارية في العاصمة بغداد ليمر بعينين شبقتين تتنقلان على كل تفصيل فيه.

اوقفت مها سيارتها على جانب الشارع وقالت: "نصب الحرية؟؟!"، اومأ مهدي بنصف ابتسامة واثقة، "نعم مها، نصب الحرية، انه يقع في مركز العاصمة تماما وهو مستوحى من فكرة الاختام السومرية الاسطوانية التي يتم تدويرها على رقعة طينية مستطيلة لتعكس الاشكال المنحوتة على الختم!".

حاولت مها النظر الى النصب، لكنها بحاجة الى الوقوف امامه مباشرة للتدقيق في تفاصيله، امسكت بناقل الحركة ووضعته على وضع الرجوع، بدأت بقيادة السيارة الى الوراء قليلا ليتسنَّ لها سلوك طريق الدوار مجددا ليصبح النصب على يمينها، ثم تحركت الى الامام و استدارت الى اليسار و بدأت تسير ببطء.

نظر مهدي الى النصب على يمينه وهو يتفحص القطع البرونزية التي وضعت على جدارية مستطيلة مرتفعة من الحجر الابيض، بدا بالنظر الى اولى القطع البرونزية من اليمين.

يقع نصب الحرية العراقي في مركز العاصمة تماما، صممه النحات جواد سليم في خمسينيات القرن الماضي، وتوفي قبل ان يرى قطعه التي صنعها معلقة بشكل كامل على نصبه المهيب، حيث يحكي النصب قصة ثورة 14 تموز التي حدثت عام 1958 و التي نفذها الجيش للاطاحة بالحكم الملكي في العراق و اقامة الجمهورية العراقية الاولى، ويمثل النصب ختما سومريا مشى على رقعة من الحجر ليقرأ ما نحته من اليمين الى اليسار، مارا بكل تفاصيل الواقع العراقي قبل و اثناء و بعد الثورة كما رآها النحات.

كانت مها تقود ببطء كي تسمح لمهدي باسترجاع الاشكال على النصب من خلال النظر اليها، دارت حول الدوار للمرة الاولى وحاولت القيام بلفة ثانية، رغم الارباك الكبير الذي كان يسود الساحة تلك الساعة بسبب كثرة عناصر و سيارات قوى الامن.

"ابحث فيه عن المرأة الحادية عشرة منه".. قال مهدي دون ان تفارق عيناه النصب، عيناه التي كانتا تلتهمان القطع البرونزية الواحدة تلو الاخرى من اليمين الى اليسار، لم يكن يعلم ماتعنيه عبارة "المراة الحادية عشرة منه"، فهناك العديد من المجسمات التي تصور نساءا وضعت ضمن سلسلة الاشكال التي يتكون منها النصب.

لم تتحدث مها بكلمة وهي تقود ببطء، ارادت تركه ونصب الحرية لوحدهما، لاحظت عيناه وهما تتفرسان في الاشكال البارزة على الجدارية الحجرية، سيحتاج الى الوقت لفك لغز المراة الحادية عشرة منه، كرر بصوت منخفض .. " المرأة الحادية عشرة منه .."، بينما كانت مها تقترب من انهاء اللفة الثانية حول الدوار.

" الى المنــزل مها!"، قال مهدي مفاجأً اياها بقــراره. نظرت اليه وقالت: " هل حللت الشــفرة؟"، اجاب: "كلا، لكننا هكذا سنثير انتباه عناصر الامن، سنذهب الى المنزل ونحاول فك الشفرة هناك".

هزت مها راسها موافقة رأيه، تركت الدوار خلفها وسلكت الطريق المؤدي الى الخط السريــع، لكنها ما ان اقتربت منـــه، حتى لفتت انتباهها محطة تعبئة الوقود على يمين الطريق، القت نظرة على عداد وقود السيارة، كانت سيارتها بحاجة الى التزود بالبنزين .

"مهدي، بما انا قريبون من محطة الوقود، ســادخل المحطة للتزود به، فنحن بحاجة اليه"، اوما موافقا وقد شرد بذهنه الى شيفرة نصب الحرية..

ابحث فيه عن المرأة الحادية عشرة منه ..

امام طابور قصــير من الســيارات الداخلة الى المحطة، كان مهدي بداخل السيارة يحاول اســترجاع اشــكال القطع البرونزية على النصــب وقد اغمض عينيه، وبدا يحدث نفسه بقصـــة الثورة التي تحملها عناصر النصب بادئا باولها على اليمين، فيما كانت مها منصتةً لهلوسته وهي تدخل المحطة ببطء خلف طابور السيارات.

تمتم مغمضا عينيه ..

" .. الحصان الثائر والمظاهرة واللافتات المرفوعة .. ثم الشهيد ونساء باكيات عليه.. هناك طفلٌ تائه.. و امراة تحتضن طفلا.. و اخرى ترفع عبائتها باكية .. ثم السجين السياسي بين القضبان .. الشعب يمسك ببندقية الجندي .. ثم الجندي يفجر الثورة ممســكا بندقيته .. المراه الحاملة لشــعلة الحرية .. ثم المراة التي ترمز للســلام.. ثم امرأة خلفها نخلة .. " ..

توقف عن العد وفتح عينيه، وجد ان السيارة قد وصلت الى مضخة التزود بالوقود، نظر الى مها التي اطفأت المحرك و همت بالنزول، " سأقوم انا بملء الخزان"، قال لها، واومأت موافقة.

نزل مهدي من السيارة و امسك المضخة وبدأ يعبئ الخزان بالبنزين، راجع عناصر النصب مرة اخرى بعد ان انتعشت ذاكرته بفعل رؤيته للنصب قبل قليل..

الحصان والمظاهرة .. الشهيد .. الطفل .. امراة تحتضن طفلا .. الباكية .. السجين السياسي.. الشعب .. الجندي .. المرأة ذات الشعلة .. السلام .. امراة النخيل ..

توقف عن العد مجددا رغم وجود المزيد من الاشكال على النصب، كان يخط باصبعه اثناء العد خطوطا على سقف السيارة المغبر بفعل زخات المطر المختلطة بالغبار عليه، فيما كان يمسك المضخة باليد الاخرى .
نظر الى الخطوط، كانت 11 خطا، لقد كان الشكل الحادي عشر هو المرأة التي تقف امام سعفات نخلة ..
بالفعل، الشكل الحادي عشر من النصب هو لامرأة!

امتلا خزان الوقود، دفع مهدي الحساب وصعد السيارة، تحركت مها للخروج من المحطة، نظر اليها مهدي دون ان يتحدث، " بماذا كنت تتمتم قبل ان ندخل؟"، قالت له مها، اجاب: " تفحصت بذاكرتي كل اشكال النصب حتى الشكل الحادي عشر منه، بالفعل كانت هناك امراة" .
نظرت له بدهشة وقالت: "اي من النساء على النصب هي ؟".
قال: "المرأة التي تقف امام نخلة، و التي تليها اخرى حبلى وهي تحمل الحصاد" .
" هل تعرف دلالتها؟"، قالت وهي تخرج بالسيارة الى الشارع الرئيس.
"بلى"، قال، ثم سحب نفسا عميقا واكمل: " المرأتان ترمزان لدجلة و الفرات، و المرأة ذات النخلة هي: *نهر دجلة*!" .

الفصل 75

تعنـــي كلمـــة (دجلة) في اللغـــة العربية: النخيـــل. بينما تحمل كلمـــة (الفرات) معنـى: الخصـــب[1]. وهو ما استمد منه النحات جواد سليم فكرة تصميم المرأتين المرتبطتين بتشـــكيل واحد على نصبه الرائع. حيث صمم النصب بدلالات ذكية ليروي قصـــة الثورة. فقد قســـم النصـــب الى نصـــفين. الايمن يروي حالة المعاناة و التظاهر وســـقوط الشـــهداء والخوف من المجهول والتيه في خضم الصراعات. ثم ينتصـــف النصـــب ما يعبر عن تفجير الثورة التي نفذها الجيش الممثل بالجندي في وســـطه. حيث يشد من ازره الشـــعب الممسك بالبندقية ذاتها التي يمسكها هو. بينما تبزغ شـــمس الحرية اعلـــى راس ذلك الجندي. ثم حالـــة الحرية التي عبر عنها النحات بالمرأة الحاملة للشعلة والتي تركها بلا قدمين ليعطيها نوعا من التحليق بلا قيود.

تتبـــع ذلـــك حالة الســـلام التي تلت الثورة- مـــن وجهة نظر النحـــات – و التي عبر عنها بامرأة تغمض عيناها بهدوء. فيما تعلو خلفها اغصـــان الزيتون التي حطت عليها بضـــع حمامـــات. بعد ذلك. امرأتا دجلـــة و الفرات اللتان بدأتـــا عصر الرخاء والنمـــاء. ثـــم الفلاحين العربي و الكردي مع مجرفتهما. ووضـــع وجه يشـــبه وجوه التماثيل الاشورية القديمة لاحدهما. فيما ينتهي النصب في اقصى اليسار بالثور الســـومري. رمز الخصب و الثروة الزراعية. الى جانب العامل الممسك بالمطرقة كرمزٍ للصناعة.

ابتسمت مها وهي تلفظ العبارتين الاوائل من رسالة المستشار..

"ختمٌ سومري .. وسط المدينة المدورة ". واكملت. "ابحث فيه عن المرأة الحادية عشر منه. يالبراعتك مهدي!" .

---

(1) من كتاب جواد سليم ونصب الحرية – جبرا ابراهيم جبرا ص157

قالت وهي تشق طريقها نحو شارع فلسطين، الا ان مهدي كان يشعر بان عليه الاستمرار بحل اللغز، نظر الى ساعته، كانت تشير الى الثانية و الربع بعد الظهر، مد يده الى جيبه و اخرج رسالة والده ..

" ابحث فيه عن المرأة الحادية عشرة منه ..
و اجمع من على خصرها الجواهر الالهية الثلاث .."، قرأ تلك الكلمات على مسمع مها، و اكمل:
" اعلى مذبح صليب العنب والرمان ..
وخلف صليبٍ وراية ..
وعند اقدام هلالٍ اخضر ..".
طوى الورقة و اعادها الى جيبه، و اخرج علبة سجائره.
" لنصل الى منزلك اولا"، قالت، "لنستطيع التفكير بهدوء، لقد حللت توا جزءا غامضا للغاية، بامكاننا حل باقي شفرات الرسالة".
لم يكن مهدي متاكدا من ذلك وهو يشعل سيكارته.
"هل تتوقعين باننا سنستطيع حل باقي الرسالة في الوقت الذي ينقذ الاقتصاد ؟"، ضحكت وهي تعبر التقاطع المؤدي الى حي زيونة، " بامكانك ذلك ايها العبقري!"، ابتسم وهو ينفث دخان سيكارته نحو النافذة المفتوحة جزئيا، لقد اقتربوا من العودة الى المنزل.

....

"حسنا، عُلم !".

قال ذلك عنصر بلاك ساند من داخل سيارة الشيروكي القريبة من منزل مهدي، لقد اعلمه اوزيلينغ بقرب دخول سيارة المحامي ورفيقته الى شارع منزله، وطلب منه ومن العنصر الاخر معه ان يكونا مستعدين لاقترابهما، فقد علم سكوت بوجهتهما عن طريق المعلومات الصادرة لمكتبه بواسطة جهاز التتبع اسفل السيارة.

الفصل 76

الثانية و النصف بعد الظهر بتوقيت بغداد .

كان اللواء ماهر عبد الفتاح يفور غضبا وهو يستمع الى اخبار الفضائيات التي اعلنت عن حركة تظاهرات شعبية متوقعة صباح الغد. لقد تناقلت وكالات الانباء تلك الاخبار بعد تصريحات لزعماء حركات شعبية ودينية وشبابية قرروا فيها جعل الغد موعدا للتظاهر ضد قرارات الحكومة القاضية بزيادة الضرائب و اعلان خطة تقشفية قاسية.

كان مما اثار خشية اللواء اكثر, هو وجود حالة من التذمر بين افراد قوى الامن الداخلي و القوات المسلحة نفسها. فالتقشف يشمل رواتب منتسبي تلك المؤسسات ايضا. وفقدان السيطرة عليها الى جانب وجود مظاهرات شعبية واسعة في ظل انهيار اقتصادي كبير يعني ان الحكومة ستصبح في خطر حقيقي، وان الفوضى ستعصف بالبلاد من كل الجهات في آنٍ واحد. لكن في اليد الاخرى، فان الحكومة لا تمتلك حلا اخر, لان انخفاض اسعار النفط العالمية من جهة وحاجة العراق الى الاستيراد بمليارات الدولارات سنويا ستفلس خزينة البلاد. فاحتياطي الذهب غير الكافي والعملة الصعبة المنهارة عالميا اصلا لن ينقذاها من الخطر العالمي الذي بدأ ينال من الاستقرار الاقتصادي بشكل متسارع.

العراق في خطر.

لقد حُدد موعد التظاهرات في الثامنة صباحا.

مترجلين من سـيارتها، كان مهدي ومها قد همّا بدخـول المنزل في حي زيونة، فيما كان عنصـرا بلاك سـاند قد لاحظا ذلـك، وكل ذلك المشـهد، كان مراقبا من قبل الكاميرا المثبتة على المنزل المقابل.

بعـد دقائق، كان الاثنان في غرفة المعيشـة يشـاهدان اخر اخبار البـلاد عبر التلفاز، لقد بدت بعض وكالات الانباء متلذذة بمناقشـة اخبار الفوضى القادمة في العراق، فالاعـلام دائمـا يبحث عن اية حركات فـوق الطبيعية ليبعث بجيوش مراسـليه الى سـاحات الاحداث، لن تفصـل بين المظاهرات المتوقعة غدا في الساعة الثامنة صباحا والوقت المتبقي لها سوى 17 ساعة.
زاد ذلـك من الضـغط علـى مهدي، فحل لغز بضـعة اسـطر من رسـالة والده المستشـار لا يعني ان الكنز قد اصـبح في متناول اليد، تمنى لو ان ذلك كان ممكنا، لو انه حدث، وتم العثور على كنز المختار لاسـتطاعت الحكومة اعادة النظر بقرارها الخاص بالتقشـف، ما يمكن ان يمنع مظاهرات الغد التي قد تستمر اسابيع واشهر مطيحةً بامن واسـتقرار البلاد، فالعثور عليه قد يمنح الحكومة الحرية الاقتصادية لاعوام قليلة تمكنها من اعداد سياسة اقتصادية جديدة تجنبها انهيار اقتصادها، ومن دون ذلك، فان عليها مواجهة مد عارم من الغضـب الشـعبي و احتمال تمرد بعض وحدات قوات الامن و الجيش.

كانـت مها تراقب بتركيـز مع مهدي اخر الاخبار، لقد التقت مراسـلة القناة على الشاشـة باحد منظمي المظاهـرات المرتقبة، والذي توعد الحكومـة فيها بامتداد الاحتجاجـات الى مالانهايـة من الزمـن، حتى تعدل عـن قراراتها الاخـيرة، او انها ستشتعل في البلاد كالنار في الهشيم.

الثامنة صباحا غدا.. وسيشتعل فتيل ازمة جديدة.

"مهدي"، قالت مها، "لم يتبق لنا المزيد من الوقت لايجاد الكنز، يجب ان نسرع بحل شفرات الرسالة المتبقية".
اخفض مهدي صوت التلفاز ووضع جهاز التحكم على المنضدة، اخرج الرسالة وبدا بقراءتها مجددا..

ابحث فيه عن المرأة الحادية عشرة منه ..
واجمع من على خصرها ....

ضاق اتساع عينيه وهو يقرا تلك الكلمات، (اجمع من على خصرها)، اقتربت مها الى جانبه ونظرت معه، كان احساس بالارتياح قد طغى عليها بعد ان فهمت ما تعنيه السطور الاولى من الرسالة التي شرحها لها مهدي،، الختم السومري وسط المدينة المدورة، و المرأة الحادية عشرة منه.

"قلت ان المرأة تمثل دجلة؟"، اجاب مهدي: " نعم، انهما امراتان تشيران للنهرين، لكن دجلة يمر بالعراق طوليا وعلى امتداد خارطة، الف كيلومتر من المسير حتى يصل مياه الخليج".

"كلا"، ردت مها، "تذكر رسالة الرئيس حين قال فيها: ابحثي في ذاتك عن النجاة، قلت انه يعني بذلك بغداد، لن نحتاج للتفكير بنهر دجلة كاملا".

"لكن كيف؟"، تسائل مهدي، "لايمكن ان يوضع في النهر!، هناك عمليات كري مستمرة له تقوم بها اليات خاصة، المختار ليس بتلك السذاجة ليرمي بالذهب في النهر الذي يكرى كل يوم ويستخرج الطمى منه، لو تم ايجاد مثقال واحد منه وعلم به الاعلام، لهبت الناس الى دجلة للعثور على المزيد منه".

"ذلك صحيح"، قالت مها متحيرة، "لايمكن ان يكون في النهر، لكن لماذا اشار له؟".
"حســنا"، رد مهدي وهو يضع نظارته الطبية ويعيد الظر في الورقة: "دعينا نكمل لنرى".

عاد ليكمل قراءة ماكان كتب في رسالة المستشار:

واجمع من على خصرها الجواهر الالهية الثلاث ..
اعلى مذبح صليب العنب و الرمان..
وخلف صليب وراية..
وعند اقدام هلال اخضر..

"خصرها!"، قالت مها، "هل لاحظت شيئا عند خصر المراة على النصــب؟"، اجاب مهدي: " كلا، من المســتحيل ان يكون هناك شئ، فمئات المارة ينظرون الى النصب كل يوم، ســيلاحظون ان هناك شـــئ غريب، ثم انه من غــير الممكن ان يترك المختار شــيئا هناك، الى جانــب ان الجهات المهتمة بالنصــب و التماثيل لا تســمح لاحد بالمساس بها، مؤكدٌ انه يقصد شيئا اخر".
"خصرهــا"، اعادتهــا مها وهي تفكر.. " المراة هـي دجلة، وخصرها هو .. الا تعتقد ان ذلك يقصد به جرف النهر؟!" .
استدار مهدي معجبا بالفكرة ونظر لها قائلا: " بل انه المقصود بعينه!" .
" نعــم.. جرف النهــر"، قالت بســعادة، " جواهر الهية عند جــرف النهر، اننا نحل اللغز".
بشغف، عادا للنظر في الرسالة..

اعلى مذبح صليب العنب و الرمان..
" لا يمكن لذلك ان يكون الا كنيسة "، قال مهدي، و اكمل: " لكن الكنائس في بغداد عديدة، هناك اشارة غريبة الى .."، ركز في الرسالة وقال: "العنب و الرمان!" .

"العنب و الرمان"، قالت مها مفكرة، "لا اريد التفكير بسطحية و السؤال عن كنيسة وسط اشجار عنب ورمان، فلقد اعتدنا اساليب هذا اللغز التي تتحدث عن رمزية الاشياء".

"حسنا"، قال مهدي وهو يخرج نقاله، " ساتصل بصديق لي كان معي في الجامعة وهو مسيحي، قد يخبرنا ما نحتاج لمعرفته".

اومأت مها بانتظار ما سيفعل، لمس ازرار النقال و بدا يجري اتصالا بصديق له يدعى داني نعيم، صدر صوت رنين الخط من السماعة الخارجية للنقال، و اجاب صوت على الطرف الثاني من المكالمة ..
- "الو ؟" ..
- "مرحبا داني" ..
- " اه! اهلا مهدي، جيد انك لازلت تحتفظ برقمي ايها الاناني" ..
كان قد مضى وقتٌ طويل لم يتحادثا فيه لبعض .

- " حسنا صديقي، اعلم بذلك، لكن اعدك بلقاء قريب نسترجع فيه ايام الجامعة"..
ضحك داني وهو يدردش معه، ثم جنح الاخير للسؤال على ما يجول بذهنه ..

- "حقا"، قال مهدي، " اردت ان اسالك- يا صديقي المسيحي المتدين -، عما يعنيه العنب و الرمان في ديانتكم، ماعلاقته بصلب المسيح؟" ..

- "لمَ؟، هل ستعتنق المسيحية؟"، قال داني مازحا ..
ضحك مهدي و اجاب: " ربما ياصديقي!" ..
- " حسنا، انت تسال عن طائفتي نفسها، فالعنب و الرمان هما ما يزينان كنائسنا نحن الارمن، الطائفة الارمنية تتخذ من هذين الرمزين شعارا لهما، لذا تجدهما عند مذابح كنائسنا برسوم او نحت او زخرفة، نحن نتفرد باتخاذنا اياهما شعارا لنا" .
هز مهدي راسه وهو ينظر الى مها التي ابتسمت بفرح، سيسهل ذلك العثور على الحلقة التالية من سلسلة اللغز..
- " تعني انني لو بحث في كنيسة للارمن فساجد العنب والرمان هناك" ..
- "تماما، بامكانك البحث في كنيسة الارمن الكبرى في بغداد، انها تقع في الباب الشرقي، بناية بيضاء براسين مخروطيين، ولازيدك علما، فان معظم كنائس الارمن في العالم تتخذ هذا التصميم لها"..
كانت كل تلك المعلومات جديدة بالنسبة الى مهدي الذي بدا يفكر جديا بكنيسة الارمن في الباب الشرقي.
"حسنا داني، معلومات رائعة، انني ممتن لك".
" لم تقل لي .." رد داني، "ماسبب سؤالك هذا الان بعد كل ذلك الانقطاع عن هذه الامور ؟"..
ذلك هو الجزء الذي يكرهه مهدي في مكالماته للعثور على المعلومات التي يريد .. فضول الاصدقاء .
" كلا لاشئ، فضولٌ احببت اشباعه!"، وقال بخبث: " واشتياقٌ لصديق قديم!".
ضحك داني غير مقتنع بالاجابة، الا انه تظاهر بتقبلها، وبعد حديث قصير، انتهت المكالمة واغلق مهدي الخط .

"مهـا، يجب العثور على كنيسـة للارمن تكون قريبة من جـرف النهر"، ردت مها: "تقصد على خصرها!"، ابتسم واجاب: " اجل، و اعتقد ان كنيسة الارمن في الباب الشرقي هي الاقرب، فالنهر لا يبعد سوى بضعة كيلومترات عنها".
اجابت: " انت تقصد بان الجواهر الالهية الثلاث هي دور عبادة؟" .

فاجأت تلك اجابة مهدي، عاد ينظر الى الرسالة:

واجمع من على خصرها الجواهر الالهية الثلاث..
اعلى مذبح صليب العنب و الرمان..
وخلف صليب وراية..
وعند اقدام هلالٍ اخضر..

كانت مها على حق ..
"هذا صحيح!"، قال مستغربا، "انه يشير الى دور عبادة متفرقة و الكنيسة احداها، لكن يجب ان تكون جميعها .." ..
"عنـد جرف النهـر"، قالت مها مقاطعة، "يجب ان نبحـث عنها جميعا مع الاخذ بنظر الاعتبار قربها منه، وسنرى ماسنجده حينها" .
"صليبٌ وراية"، قال مهدي، "اذا كان يقصد ما بذهني فقد فهمت مقصده" .

ارجعت مها شعرها وراء اذنها وسالت: " بماذا تفكر؟"، اجاب مهدي: " ان كان يقصد الصليب الذي تلف عليه راية بيضاء فذلك شعار الديانة الصابئية!".
نظـرت مها الى الرسـالة، ثم قالت: " ممكـن، فلو اراد الاشـارة الى راية مربوطة الى سارية مثلا لقال صليب وعلم، اما الراية وحدها فهي قطعة القماش".

شعر الاثنان بدفقة ارتياح لما استطاعا تفسيره من الغاز الرسالة، كانا مؤمنين بان ما يفكران به هو الصواب.

"حسنا مها، لنبدأ البحث بالتسلسل، الكنيسة اولا، ثم يجب ان نعثر على معبدٍ صابئي، ثم.." ..
"عند اقدام هلالٍ اخضر"، قالت مها .
فكر مهدي قليلا ثم قال: "هنا هي المشكلة، الهلال يرمز الى الجوامع الاسلامية التي توجد في العاصمة بالعشرات!".
"تذكر، عند الجرف"، اجابت مها.

ضم مهدي شفتيه وهو يعلم بان ايجاد المقصود سيكون امرا معقدا، فقباب ومنائر جوامع بغداد لا تعد ولاتحصى ..

"مها، لناكل شيئا الان، ثم نذهب لكنيسة الارمن لنعثر على اول(جوهرة الهية) هناك!" .

الفصل 77

الثالثة و النصف مساءا بتوقيت بغداد .

ستة عشر ساعة ونصف متبقية لموعد المظاهرات .

كانت العاصمة بغداد تعيش وضعا متوترا للغاية في تلك الساعة، فالناس لم ينفكوا يتابعون اخبار تهاوي الاقتصاد العالمي وسقوط بنوك عالمية كبرى، الى جانب استيائهم من قرارات الحكومة الجديدة، وخوفهم من القادم وهم ينظرون الى العجلات المصفحة والطائرات المروحية في العاصمة و اجواءها مترقبةُ للحدث القادم.

لقد زاد انحدار قيمة الدولار في الساعات الاخيرة خصوصا بعد ان اعلنت الصين عن نيتها طرح بعض المليارات من الدولارات للبيع حفاظا على قوة عملتها، فيما بدأت اليابان تعاني انهيارا قاصما في منظومتها الاقتصادية، لقد افلست بنوك عده حول العالم وطلبت بنوك امريكية دعما من الفيدرالي الامريكي الذي لم يكن تخفيضه الفوائد على قروضه الى الصفر تاثير ايجابي على الوضع.

لقد اصبح الدولار في وضع لايحسد عليه.

من جانب اخر، قررت اوبك خفض انتاج النفط وفرض ذلك على الدول المنتجة ومنها العراق، ليتسن رفع سعر البرميل ولو بشكل بسيط، فانحدار اسعار النفط بهذا الشكل سيسبب كارثة للدول المنتجة، لكن ذلك لن يساعد تلك الدول على اية حال، فسعر البرميل لايزال منخفضا جدا، لن يوفر ذلك عائدات كافية لاعضاء اوبك.

انهـــى مـهـدي ومـهـــا تـنـاولـهـمـا لـغـداء خـفـيـف مما وجـداه في ثلاجـة المنزل، ثـم اســـتـعـدا للتوجـة الى كنيسـة الارمـن في الـبـاب الـشرقـي وسـط العـاصـمـة.

بعد قليل، كانا قد استقلا سيارة مها التي ادارت محركها، نظر مهدي الى ساعته وهو يخشـــى الانقضـــاء السريع للوقت لتحل ســـاعة الصـــفر التي ستملآ بغداد بالمحتجين الغاضبين.
لن ينقذ الحال غير ايجاد الكنز.. *واليوم!*

تحركـــت مـهـا بالسـيـارة خـارجـة الى الـشـــارع الرئيس، راقبتها كـامـيـرا المنزل المقابل، وعنصرا بلاك ساند الذين بقيا في مكانيهما، ولاول مرة، لاحظ مهدي سيارة الجيب شـــيروكي الســـوداء لدى تجاوز سيارة مها شـــارعا فرعيا، لقد راى هذه السيارة اكثر من مرة في هذا المكان دون ان يكترث لها، اعتراه قلق بالغ، لكنه لم يرد ان يظهر لمها ما فكر به، فمن شـــان ذلك تخويفها، الا انه خوفه عليها كان يفوق ارادته بابقاءها معه.
انزل مظلة الشـــمس امامه من سقف السيارة ونظر في المرآة المثبتة عليها ليلقي نظرة على الشارع الى الخلف من سيارة مها ويرى فيما اذا تبعتهم الجيب.
استغربت مها مافعل، فلا تزال السماء متلبدة بالغيوم وليس من حاجة لمظلة تقي من اشعة الشمس، احس مهدي باستغرابها، وتظاهر بالنظر الى المرآة لتامل وجهه.

"قلت لك، تبدو متعبا"، قالت وهي تصل شارع فلسطين الرئيس تاركةً حي زيونة. "مم هذا صـــحيح، لم احلق لحيتي منذ ايام، ولم انل قســـطا مريحا من النوم!". ثم نظر لها وقال: " مها، المهمة محفوفة بالمخاطر وصـــعبة، ارجوك، لتكن الكنيسة اخر مكان نذهب اليه ســـوية، لا اريد ان اعرضـــك لخطرٍ مجهول، اعلم باننا لســـنا وحدنا فلابد ان تراقبنا الدولة فيما نفعل، وهذا ليس شيئا حسنا ابدا".

ضحكت مها وقالت: " لاتحرمني متعة المغامرة مهدي، انا اعي خطورة ما نقوم به، لكنني لم الحظ ابدا اي متابعة لنا تثير الانتباه. الحكومة منشغلة الان بمظاهرات الغد".

رد مهدي: "كلا. تذكري الاقراص ذات الاعدادات، الذاكرة الرصاصة، رسالة نوستراداموس ولوحة الصاروخ، لم يبعثوا لنا بكل هذا ليتركونا وشأننا. انا واثقٌ من انهم في مكان ما. و اننا تحت اعينهم". قال ذلك وهو يعتقد ان سيارة الشيروكي تابعةً لجهة حكومية عراقية.

رفعت مها كتفيها غير عابئة، ونظرت اليه بعينين طفوليتين ثم قالت: " ارجوك!"، ترك مهدي النظر الى عينيها ونظر الى المرآة في مظلة السقف دون ان يجيب عليها. لم يلحظ اي تحرك لسيارة الشيروكي خلفهما. لقد بقيت في الشارع الفرعي، هز رأسه راضخا لعناد مها الشديد. لا مجال لتغيير رايها!

سلكت سيارة مها شارع فلسطين باندفاع، قاصدة الوصول الى كنيسة الارمن في الباب الشرقي.

الفصل 78

تقع كنيسة الارمن في منطقة الباب الشرقي وسط بغداد، وتبرز من بين المباني القريبة بقبيتها المخروطيتي الشكل، حيث يقع جرس الكنيسة تحت احدى القبتين، بينما تشكل الثانية السقف المرتفع لقاعة الكنيسة، وتشهق تلك القبة بارتفاع نحو 40 مترا. كما تضم الكنيسة مقبرة الى جانبها تقع ضمن اسوارها، والى الخلف منها، تقع مقبرة مسيحية اخرى بشكل منفصل دفنت فيها سفيرة النوايا الحسنة وباحثة الاثار البريطانية المس غريترويد بيل في عشرينات القرن الماضي، حيث كان دفنها هناك تنفيذا لاحدى وصاياها[1].

كانت الساعة الرابعة و الربع مساءا من يوم الجمعة الثالثة من يناير عندما وصلت سيارة مها الى كنيسة الارمن في الباب الشرقي، وبالطبع فقد كانت سيارة الاجرة تراقب تحركها وقد توقفت على مسافة قريبة منها، لاحظ الرجل داخل السيارة ترجل مهدي ومها وسيرهما نحو مدخل الكنيسة، فيما كان جهاز التتبع التابع لبلاك ساند يعمل بانتظام.

كان الباب الصغير الثانوي مفتوحا امام زوار الكنيسة، فيما بقي الرئيسي مغلقا كما هو منذ اعوام بعد سقوط النظام العراقي عام 2003، اجتاز مهدي ومها الباب المنفرد ليجدا نفسيهما في طريق معبد تقع على يمينه مقبرة تحمل شواخص قبورها صلبان المسيحية، وما ان حثا خطاهما داخلين، حتى اقترب منهما رجل متوسط العمر يبدو انه بواب الكنيسة.

---

(1) يشاع خطأً ان المس بيل مدفونة في مقبرة الانكليز في الوزيرية، وهذا ما تأكد منه الكاتب بنفسه، وتأكد من وجود قبرها في المقبرة التي تقع خلف كنيسة الارمن في الباب الشرقي، حيث قام الكاتب بزيارة معظم الاماكن المذكورة في الرواية للتأكد بنفسه من المعلومات و المشاهدات.

- "تفضلا!"، اقتربت منه مها ومدت يده للمصافحة..
- " مرحبا"، قالت له، " هل لنا بالدخول؟".
- "حسنا، ماذا لديكما؟" .

نظرت مها الى مهدي فيما كان ذهنها ينسج الكذبة التالية ..
- "رغم اننا مسلمون، لكننا احببنا الدخول الى هذه الكنيسة عند مرورنا بالقرب منها، لم ادخل كنيسة في حياتي، عرضت الامر على عمي- واشارت الى مهدي- و اقنعته بصعوبة بالدخول الى هنا، وقد وافق على ..".
- "حسنا.. حسنا، بامكانكما الدخول متى شئتما، لكن حاولا الاستعجال قليلا فاننا بصدد اغلاق الابواب، فاليوم الوضع غريب و متشنج".
قال بواب الكنيسة فيما توجه لاغلاق الباب الصغير قبل ان يعود باتجاههما.
تبع مهدي ومها الرجل الذي انعطف يسارا داخلا عبر باب اخر، يؤدي ذلك الباب نحو فسحة وضع عندها مايبدو مسرحا صغيرا يتوسطه شعار مسيحي بارتفاع مترين، نظر اليه مهدي و مها قبل ان تخطف انظارهما البناية الكبيرة البيضاء للكنيسة بقبتيها الفريدتين، مر الثلاثة بجانب المسرح الصغير ثم انعطفا يسارا نحو باب ثانوي في المبنى.
يسارا مرة اخرى، ووجدا نفسيهما داخل واحدة من اروع كنائس بغداد على الاطلاق.

كانت قاعة الكنيسة المستطيلة الشكل قد رتبت فيها مقاعد الجلوس بشكل منتظم جدا، وشهق سقفها بارتفاع القبة المخروطية التي بدت من الداخل غاية في الروعة، حيث تتخلل الشكل المثمن قبل القبة المستدقة ثمان نوافذ زجاجية بفسيفساء ملونة، وتتدلى من السقف ستة مشاعل كبيرة للانارة.



تقدما بضع خطوات ليصبحا واقفين بين طابوري مقاعد الجلوس داخل قاعة الكنيسة، كان مهدي ومها يشعران بروحية غريبة للمكان الهادئ وهما ينظران الى المذبح امامهما والذي يفصل بينه وبينهما سياج انيق منخفض من الخشب و الحديد، حيث يتكون المذبح من قوس كتبت عليه كلمات بلغة غريبة فيما وضع تحت القوس مجسم ابيض يشابه مجسم قباب الكنيسة ذاتها وتتوسطه صورة السيدة العذراء مع ابنها المسيح، وامام ذلك المجسم، وضعت تحفة خشبية منحوتة باشكال دقيقة وتعلوها قبة بارتفاع مترين شبيهة هي الاخرى بقباب الكنيسة المخروطية .

استسلم مهدي و مها الى التاثير الغريب الذي شعرا به و هما يقفان وسط قاعة الكنيسة محاطين بلوحات تجسد السيد المسيح و السيدة العذراء، كان النور قد دخل القاعة بهدوء من النوافذ الطولية في الجدران والنوافذ الفسيفسائية الملونة في قبة القاعة.

اعلى مذبح صليب العنب و الرمان ..

تقدم مهدي نحو المذبح، لفتت نظره التحفة الخشبية المزخرفة امامه، لقد كانت زخارفها تبين صلبان محفورة، وضعت بين تجسيم لفاكهتين ..
العنب و الرمان .

اقتربت منه مها، كان صوت حذائها ذو الكعب العالي يرد على مسامعهما بصدى يخترق هدوء المكان .
"اعلى مذبح صليب العنب والرمان"، قالت له بصوت منخفض، فيما كان البواب واقفا عند باب القاعة، نظرا معا الى مايعلو المذبح، وسرهما المشهد الخلاب .

اعلــى القوس الذي نحتت عليــه الكلمات غير المفهومة، والــذي يقع تحته المذبح، وباطــار نصــف دائــري، علت لوحة زيتيــة رائعة بالــوان خلابة وبحجــم كبير، نظر الاثنان اليها باعجاب، كان يبدو في اللوحة اشــخاص يرتدون زيا قديما شبيه بملابس الاشــخاص الذين تجســدهم لوحة العشــاء الاخير وهم ينتشرون عند ضفتي نهرٍ صــغير، و الى الخلف منهم، بدت شــجرة خضراء وارفة، اما عند ضــفة النهر، فقد وقف رجل برداء حول خصره وصــولجان طويل بيده اليسرى وهو يضع يده على راس المسيح الواقف في مياه النهر وقد علت راسه هالة صفراء من النور.
كان ذلك يوحنا المعمدان في مشهد تعميد المسيح.
اعلى مذبح صليب العنب و الرمان .

لوحــة زيتية! حاولت مها ايجاد امر في اللوحة، النخلات الثلاث الى يســار المســيح، الشجرة الخضراء الى يمينه، ماء النهر الازرق ..
الا ان مهدي كان يفكر بشــئ مختلف، لقد عد الاشــخاص في اللوحة وبضمنهم المسيح..
" مها، ان كان هناك شك باننا في المكان الخطأ فقد تبدد، انظري الى عدد الاشخاص في اللوحة، انهم احد عشر شخصا!".

بسرعــة الــبرق، راجعت مها بعينيها عدد الاشــخاص رابطةً ذلــك بالرقم 11 الذي ظهر ثلاث مرات في رسالة المستشار ..
المرأة الحادية عشرة ..
احد عشر سهما ..
الساعة الحادية عشرة ..

واحد عشر شخصا في اللوحة اعلى مذبح كنيسة الارمن .

الفصل 79

ذهل مهدي ومها لما رأياه على اللوحة، السيد المسيح يقف في نهر صغير تحت كف يوحنا المعمدان وعلى الضفتين توزع عدد من الاشخاص، ليبلغ عدد الظاهرين في اللوحة احد عشر شخصا.

احد عشر.. هل هذا ما يقصده المستشار؟

اخرجت مها نقالها و التقطت صورة للوحة.

"حسنا، لنخرج الان!"، قال مهدي وقد عصفت بذهنه افكار عديدة.

توجه الاثنان الى الباب الصغير في يسار جدار المذبح حيث يقف الحارس الذي ادخلهما منه .

"هل اشبعتما فضولكما؟"، قال مبتسما، "نعم، المكان رائع!"، قالت مها التي تبعته مع مهدي، ثم سألته قائلة:

" ماذا كانت تعني الكتابة باللغة الغريبة على القوس اعلى المذبح؟".

نظر بواب الكنيسة جانبا ليتذكر، ثم قال:

"تعالوا اليّ، وانا ساخلصكم من خطاياكم!".

هزت مها راسها وهي تنظر لمهدي، وتبع الاثنان الرجل الى خارج مبنى الكنيسة عائدين للطريق نحو الباب، بعد دقائق، كان الاثنان قد شكرا الرجل و اتجها خارجين من باب الكنيسة نحو السيارة، وراقب خروجهما الرجل في سيارة الاجرة الصفراء.

استقلا السيارة، نظر مهدي الى ساعته، الخامسة مساءا، لم يبق على موعد المظاهرات سوى 15 ساعة..

لقد بدأ العد التنازلي.

"الان، الى اين؟"، قالت مها وقد ادارت محرك السيارة، راجع مهدي نص رسالة والده في يده بعد ان وضع نظارته..

خلف صليب وراية ..

"يجب ان نذهب الان الى مندى للصابئة يقع قريبا من النهر"، وتفاجأ بالفكرة التي فاجأت ذهنه.. "ولن يكون ذلك سوى منداهم العام!".

"مندى؟"، ردت مها وهي ترجع شعرها خلف اذنها.

"اجل، المندى هو عبارة عن مكان عبادة الصابئة، اعرف ان اهم مندى لهم يقع في جانب الكرخ، سنحاول الوصول الى هناك و نستفسر عن اقرب مكان عبادة لهم يكون قريبا من النهر".

واجمع من على خصرها الجواهر الالهية الثلاث ..

الا انه اكمل مستدركا، بعد ان تذكر موقع المندى ذاك بالضبط: "بل انه قد يكون المقصود بعينه!".

"كيف؟"، قالت مها، نظر اليها وكانه قد عثر على ما يبحث عنه وقال:

" مها، المندى الاكبر للصابئة في بغداد يقع اصلا عند جرف النهر، انه في حي القادسية، علينا عبور جسر الجادرية و الالتفاف من تحته في جانب الكرخ، اذكر موقعه جيدا".

حولت مها ناقل الحركة وبدأت بقيادة السيارة..

"انت متاكد؟".

"تماما، لنتجه الى الكرادة، حيث نتوجه بعدها نحو الجادرية، نفس الطريق المؤدي الى منزل الدكتورحسام، سوى اننا سنعبر النهر عن طريق الجسر لنصل الى هناك".

هزت مها راسها بعد ان تذكرت الطريق، وبدأت بالقيادة فيما تحركت ورائهما سيارة الاجرة الصفراء.

الفصل 80

الخامسة و النصف مساءا بتوقيت بغداد.
14 ساعة و نصف لموعد المظاهرات.

كان الرجل ذو البدلة الانيقة يجري اتصالا مع احد اعوانه من غرفته ذات الجدران الخشبية، لم يتبق الوقت الكافي، لقد اعطى اوامره لمساعده بتنفيذ:
الخطة البديلة.

على الجسر المؤدي الى حي القادسية القادم من الجادرية، كانت مها تسير بسيارتها بسرعة 120 كيلومترا في الساعة مستغلة خلو الجسر من السيارات الا من سيارات الشرطة و العجلات العسكرية المتوقفة على يمين الجسر دون حركة، تاركة باقي مساراته خالية تقريبا .

دقائق و يتم النزول الى الحي الذي يقع فيه المندى الصابئي حسب وصف مهدي.

-"لم يتبق وقت للغروب، سيحل الظلام بعد دقائق مها".
ضحكت وقالت: "انا الان لا افكر بالظلام بقدر تفكيري بصناعة الكذبة التي ستدخلنا الى المندى".
ابتسم مهدي بقلق، رغم ثقته بامكاناتها في التظليل وصناعة الحجج الملفقة، خفضت سرعة قيادتها استعدادا للاستدارة يمينا والنزول من الجسر باتجاه حي القادسية .

تلقى مساعد الرجل ذو البدلة الانيقة التعليمات منه، ستكون الخطة البديلة .. قاتلة ..

في مكتبه وسط بغداد، كان سكوت اوزيلينغ قد اعطى تعليماته هو الاخر الى مساعديه بالاستعداد لتحرك مفاجئ قد يتم تنفيذه مستغلا الوضع الامني المتشنج الذي تعيشه العاصمة، لقد اقترب موعد الحصول على المراد ..
لم يعد يطيق الانتظار .

في شارع القادسية، كانت مها تقود بحذر بينما راح مهدي يراقب المباني على يمينه، فجأة، ظهر من بين المباني مجسم ابيض مرتفع لصليب لفت عليه راية وظهرت من خلف تقاطع عوديه اغصان زيتون خضراء.
المندى العام للصابئة المندائيين في بغداد.. و العراق عامة .

-"توقفي هنا، وانتظري اشارتي"، قال مهدي، اوقفت مها السيارة الى جانب الطريق وترجل هو منها.

اغلق الباب وتحرك باتجاه باب المبنى، تحدث مع رجلين مسلحين كانا يقفان في الباب ثم استدار واشار لمها بالاقتراب بسيارتها لرصفها، رصفت السيارة وترجلت منها، اقتربت من مهدي الذي كان لايزال يحاور الرجلين، لقد بدا انهما لا يرغبان بالسماح لهما بالدخول، فقد بدأ مد الظلام يسيطر على السماء، كما ان الوضع كان قلقا امنيا .

كان ذهن مها مشوشا، فلم تكن تعرف بماذا تحدث مهدي مع الرجلين، لن تستطيع افتعال كذبة قد تتعارض مع ما قاله لهما. استمر الجدال بين مهدي و المسلحين دون ان يبدو عليهما امكانية تغيير رايهما، لكن وبعد قليل، ظهر رجل من داخل المبنى واقترب من الباب قاصدا الخروج. كان يرتدي لباسا ابيض يغطي كامل جسمه، وقد وضع على راسه غطاءا ابيض، فيما كانت لحيته الطويلة بلون الثلج هي الاخرى.

اقترب الرجل ذو اللحية من الباب من خلف السياج الفاصل بينه وبين الشارع دون ان يغير اتجاه عينيه عن الاربعة الواقفين عنده. تجاوز الباب و اقترب منهم، و القى التحية.
كان شكله غاية في الوقار والهدوء، ولباسه الابيض يسر الناظر اليه ويبعث فيه الطمأنينة، شعر مهدي بالراحة للقاءه.

-"اهلا سيدي"، قال الرجل ومد يده ليصافح مهدي وعيناه تنطقان سؤاله عن سبب تواجده هنا وما يريد. قال مهدي:
" سيدي، انا الاستاذ مهدي، استاذ القانون في جامعة بغداد، وهذه مها، طالبة لدي، طلبت مساعدتي لاجل بحثها الخاص بدور المحامين العراقيين في ابراز التعايش الديني في العراق في ظل طمس الاعلام العالمي له ". تفاجأت مها هذه المرة مما اعده مهدي من كذبة للدخول الى المندى.
-" وما الذي يمكن ان اساعدكما به؟"، قال الرجل بنبرة صوت هادئة..
-" كل ما نحتاجه"، قالت مها، " هو رؤية معبدكم من الداخل، عشر دقائق فقط!".

نظر الرجل ذو اللحية الى الرجلين بنظرة توبيخ، فهو رجل دين في الموقع واكثر مايسره هو تسليط الضوء على ديانته التي يعتبر اتباعها اقلية في العراق.
"اتبعاني"، قال لمهدي ومها.

دخل الثلاثة الى ساحة فسيحة بعد ان تجاوزوا الباب، كان هناك مبنيين على الجانبين، يبدو الذي على اليمين احدث بناءا من الاخر، فيما كان بناء ثالث على نهاية الطريق الوسطي على اليمين ايضا، وقد بدا بناءا من ثمانينيات القرن الماضي.
اشار الرجل الى البناء على اليمين وقال: "هنا ادارة المندى، و الموقع الاحدث الذي بني مؤخرا، وهناك – واشار الى البناء الثمانيني – المبنى الذي ضُم مؤخرا الى هذا المكان، وهو في الاصل منزل الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد الذي اشتريناه منه" .
استغرب الاثنان مما سمعا، لقد كان ذلك منزل شاعر معروف، وهو يطل بوجهه على نهر دجلة، فيما كان ظهره على المبنيين الاخرين، ومن محاسن الصدف، ان عبد الرزاق عبد الواحد كان صابئيا هو الاخر.

"والى اليسار هنا"، اكمل الرجل، "يقع المكان الذي نصلي فيه"، واشار الى المبنى الاخر على اليسار.
–"حسنا سيدي"، قال مهدي، "هل بالامكان دخول مكان عبادتكم؟"، نظر اليه الرجل مبتسما، " بالتاكيد".

اقترب الثلاثة من باب المعبد الذي علاه مجسم الصليب ذو الراية الملفوفة عليه، اخرج الرجل مفاتيحا وفتح باب المعبد الخشبي، دفعه فاصدر صريرا.

بانفتاح الباب، كانت الانارة داخل المكان لا تزال مشتعلة، لقد كان المكان عن قاعة كبيرة وضعت على جانبيها ارائك للجلوس، فيما كان الجدار المقابل للباب عبارة عن مربع من السيراميك الاسود يتوسطه تجسيم عمراني يحيط بلوحة بنحت بارز ملون، والى جانبي السيراميك الاسود في الجدار، كانت صورتان فوتوغرافيتان مكبرتان قد لصقتا على الجدار، فيما وضعت امام ذلك الضلع من جدران القاعة طاولة طويلة خلفها اربع كراسي سوداء .

دخل الثلاثة الى القاعة، وشعر مهدي بهدوء المكان يملا اذنيه صفيرا، تلفت ناظرا الى جدران القاعة، فيما راحت مها تنظر بدهشة حولها، كانت الجدران لاتخلو من عبارات كتبت باللغة الارامية والعربية، قرا مهدي بعض الكلمات المكتوبة بالعربية دون ان يفهم معناها، فرغم انها مكتوبة بحروف مفهومة بالنسبة له، الا انها ككلمات، كانت غريبة عليه.

اكه هيي .. اكه ماري .. اكه منداد هيي ..
واسفلها عبارة رابعة:
بشميهون اد هيي ..

فهم الرجل ذو اللحية دهشة مهدي مما قرأ، قال له بصوت راكز: "انها تسابيحنا، مشابهة تقريبا لتسبيحاتكم انتم المسلمون".

ابتسم مهدي وهز راسه، رغم ان الفضول قد ملا راسه بالعديد من الاسئلة، لكنه لم يكن يمتلك الوقت الكافي للاستفسار عنها .
خطفت نظره الرسمة الجبسية المرسومة على سقف المعبد، الصليب ذو الراية، واعلاه اغصان الزيتون وحمامة السلام، خلفها شمس تنشر اشعتها الذهبية.

خلف صليب وراية ..

عاد يبحث على ماجاء من اجله، لقد صادفته مجسمات ورسومات عديدة لصليب وراية منذ دخل هنا، اي منها المقصود ؟
"استاذ"، قالت مها التي اقتربت من الطاولة ذات الكراسي الاربعة، "تعال وانظر"، نظر مهدي الى الرجل مستاذنا، ثم اقترب منها.

كانت مها تشــير الى صــندوق من زجاج وضع خلف الطاولة وبداخله صليب لفت عليه راية بيضاء، كان ذلك المكان يشبه المذبح في الكنائس المسيحية..
خلف صليب وراية ..

رفـع الاثنان اعينهما الى خلف ذلك الصـندوق الزجاجي، كان ما تقصـده رسـالة المستشار هو اللوحة الملونة اعلى ذلك الصندوق .. وسط جدار القاعة .

الفصل 81

"درفشا اد يهيا " ..

قال الرجل ذو اللحية، "انها رمز ديانتنا، راية يحيى الملفوفة على عودين اشبه بالصليب، فالنبي يحيى هو من نتبعه نحن الصابئة"..

سمع ذلك مهدي ومها، وهما ينظران الى اللوحة ..
خلف صليب وراية ..

كانت اللوحة الملونة المجسمة وسط الجدار تحمل مشهدا لرجل يرتدي ثوبا ابيض وهو يعمد اخر يجلس وسط نهر جار وهو يرتدي كوفية بيضاء.
بشكل حاسوبي، ربط مهدي اللوحة امامه باللوحة التي شاهدها مع مها في كنيسة الارمن ..

يوحنا المعمدان (يحيى) يعمد المسيح وسط نهرٍ جار ..
نظرالى مها ليقرا عيناها، هزت راسها، لقد فهمت مافهم هو .. تطابق اللوحتان، و العامل المشترك هو .. الماء .
استدار الاثنان نحو الرجل واقتربا منه، كان يجب عليهما التحدث اليه لصرف الشكوك عن سبب تواجدهما هنا..

"رأس صلاحك، لا تحرف كلماتك، ولا تحب الكذب و الافتراء..".
قرات مها تلك العبارة بين عدد من العبارات الاخرى المنحوتة باللغة العربية في جدران القاعة، ابتسم الرجل ذو اللحية وقال: "انها من كتابنا، الكنزا ربّا، او الكنز المقدس، حيث نستقي منه تعاليمنا، تماما كقرآنكم".

"هناك تشابه كبير بين تلك العبارات و تعاليمنا!"، قال مهدي، وقرأ نصا اخر: " رأس ايمانك، امن بملك النور، اللّه سبحانه، و الموجود بكل فضائله" ..

"نحن نتشابه معكم انتم المسلمون كثيرا"، قال الرجل، "فنحن نصلي ثلاث مرات في اليوم، ونتوضا ايضا".
"تتوضـأون؟"، قالت مها، اجاب الرجل: "نعم، بشكل يشابه وضوئكم كثيرا، سوى اننا نغسل ركبنا ايضا في الوضوء، وهذا ماليس في وضوئكم".

جال مهدي ومها باعينهما في المكان وهما يستمعان الى كلام الرجل، الا ان مهدي نظر الى ساعته، قال لها: " علينا بالذهاب الان مها"، نظر الى الرجل معتذرا وقال: " اعدك بالعودة مجددا، لكن الوقت تاخر".
هز الرجل راسه مبتسما، و استدار عائدا نحو الباب فيما تبعه الاثنان، ولدى خروجهما من القاعة، كان الظلام قد حل بشكل تام واصبح البرد قارسا، بينما كانت الساعة تشير الى السادسة وخمس دقائق مساءا.

بعد دقائق، كان مهدي ومها قد استقلا سيارتهما متبوعين بسيارة الاجرة، وبصحبة جهاز التتبع .

الفصل 82

يوحنا المعمدان يعمد المسيح وسط نهرٍ جارٍ ..
ورجل الدين الصابئي يعمد احدهم وسط نهرٍ جار ..

"ماذا يريد المستشار ليقول؟"، قالت مها وهي تشق طريقها ببطء مستعينة باضواء السيارة الامامية.

اجاب مهدي: "لقد كنا نركز على الشخوص الاحد عشر في لوحة كنيسة الارمن، ونحن الان نركز على الماء".

"مهدي الامر واضح، المراه الحادية عشرة هي نهر دجلة، واللوحتان تشيران الى الماء، علينا ان نقطع اي شك متبق بيقين يؤكد صحة مانفكر به" .

"الهلال الاخضر"، قال مهدي، "سيكون الامر الحاسم في معرفة مقصد رسالة والدي".

"سالت مها: " هل عرفت المقصود به ؟".

اجاب: " لنفكر بما لدينا من الجوامع القريبة من النهر، ويجب ان يكون هناك مايشير الى اللون الاخضر فيه، سنبدأ من الجوامع القريبة من دجلة من جانب الرصافة"، اغمض عينيه واعد اصابعه للعد:

"جامع الامام الاعظم.. ثم جامع الخلاني.. جامع الوزير .. سيد سلطان علي .."، استمر محاولا عصر دماغه باحثا عن جامع اخضر يكون اقربها للنهر، كل تلك الجوامع كانت ترابية الالوان ..

"لاشيء؟"، قالت مها وهي تقود ببطء، فلم تكن لهم وجهة محددة سوى ماسيكون عليه الهلال الاخضر ذو الاقدام القريبة من خصر المرأة الحادية عشرة..

"لنعد الى الكرخ الان!"، قال مهدي وهو يحاول تذكر اقرب الجوامع للنهر، " لا اذكر اسمه، لكن هناك جامع على يمين جسر الباب المعظم، لكن قبته زرقاء وهو ترابي اللون، وهناك اخر ..." ..

فجأة، انفجرت برأسه شمس الامل من جديد .. قال:
"لقد عثرت عليه"، التفتت اليه مها ..
"انه *مقام الخضر!*" .

الفصل 83

السادسة و45 دقيقة بتوقيت بغداد .
13 ساعة ونصف على موعد التظاهرات.
اوقية الذهب 3250 دولارا امريكيا .

دخل الشاب الاسمر الذي كان يراقب مهدي ومها في مقهى شارع فلسطين على غرفة سكوت اوزيلينغ بعد ان تم استدعاؤه من قبله.
"اجمع افضل رجالنا، واعطهم ملابس شبيهة بملابس الامن العراقي، ساكون على راس القوة، لقد حانت ساعة الصفر". قال اوزيلينغ للشاب الذي كان عراقيا، الا انه كان احد عناصر بلاك ساند.

توجه الشاب الى الغرف الاخرى في المقر مستنفرا افرادا انتقاهم بعناية من بين عناصر الشركة، دقائق وسيكونون في عجلاتهم بملابس الامن العراقي مسلحين باكثر الاسلحة فتكا.
لقد وصلت سكوت اوزيلينغ معلومات عن مكان الذهب، سوى انه بانتظار التاكد من المعلومة.

....

"مقام الخضر؟"، قالت مها وهي تزيد ضغطها على دواسة الوقود.
"نعم مها"، اجاب مهدي بنبرة حماس، " انه مبنى صغير بقبة خضراء على ضفة دجلة من جانب الكرخ، عند اقدام هلال اخضر، وبالفعل فان مياه دجلة قريبة جدا منه".
"وما الذي تتوقع اننا سنعثر عليه هناك؟".

"لا ادري"، اجــاب، " ربمــا رمز او لـوحـة او نـص او اي شــــئ اخــر، لم ازره مـنـذ زمـن، عـلـيـنـا بـلـوغـه الان".

اســـتـذكـرت مـهـا الـطـريـق الـى الـهـدف، وبـدأت تـقـود قـاصـدة المرور في شـارع حـيـفـا، حـيـث يقـع مـقـام الخضر عـنـد جرف نـهـر دجلـة تحت جسر البـاب المعـظـم، والـى نـفـس الـوجـهـة، تـبـعـتـهـا سـيـارة الاجـرة الـصـفـراء .

....

اغـلـق الـرجـل ذو الـبـدلـة الانـيـقـة الـهـاتـف، لـقـد تم اخـبـاره بـجـهـوزيـة الخـطـة الـبـديـلـة. حـان وقـت اسـتـخـدام *الـسـلاح* .

ورغـم انـه يـعـلـم بـان خـطـتـه تـلـك سـتـكـون مـكـلـفـة، الا انـه كـان يـؤمـن بـأن الـغـايـة .. *تـبرر الـوسـيـلـة..*

الفصل 84

كانت نقطة تفتيش في مدخل شارع حيفا قد اخرت مهدي ومها نحو نصف ساعة، فبالرغم من قلة السيارات في الشارع في ذلك الوقت الا ان التاخير راكم عدد منها، صانعا طابورا طويل.

السابعة و النصف مساءا..
لم تكن المسافة بينهما و بين مقام الخضر بعيدة، الا انهما بحاجة الى عبور نقطة التتفتيش. دقائق مملة اخرى، وتجاوزا النقطة باشارة من احد عناصر الشرطة الذي لم يرغب بايقافهما.
كانت لا تزال الحركة المكثفة لقوات الامن مستمرة مع اغلاق ملحوظ للمحال التجارية و الاسواق، بدت بغداد تحبس انفاسها للغد المجهول.

وصلت سيارة مها الى جسر الباب المعظم، انعطفت بها يمينا واستخدمت الطريق النازل اسفل الجسر نحو جرف النهر، وبدت القبة الخضراء لمقام الخضر واضحة من هناك.
يتكون مقام الخضر من مبنى بحجم غرفة صغيرة تعلوها قبة خضراء، وعلقت على المبنى اسلاك الاضواء الملونة مع زخارف بايات قرانية على الجدران الخارجية، ويقع المقام على الجرف تماما، حيث تقوم بعض النسوة البغداديات هناك باشعال الشموع وتثبيتها على قطع من الفلين وتركها في مياه النهر كتقليد لطلب النذور، وتقدم العوائل الى جوار هذا المكان احيانا لقضاء الوقت بجانب منظر النهر الخلاب، الا ان ذلك المكان باكمله كان خاليا الا من بعض الاشخاص في تلك الليلة الباردة، وذلك مالاحظه مهدي ومها وهما ينزلان السلم باتجاه المقام.

"عنـــد اقدام هلال اخضــر"، قالت مها وهي تنظــر الى المبنى، لقد كانت الرســالة واضــحة، فدعائم المقام قريبة جدا من ملامســـة ماء النهر، و المبنى بقبةٍ مطلية باللون الاخضر بشكل كامل، وهو يحمل اسم " الخضر" .
خطا الاثنان الى باب المبنى بعد نزولهما من السلم العريض المؤدي الى الجرف، وصلا اليه، كانت رائحة البخور تعبق من داخل المبنى الذي تواجد فيه بضــع رجال كانوا يؤدون الصــلاة، وكانت هناك مكتبة خشـــبية قديمة الطراز وضـــعت عليها كتب القران والادعية، فيما كان لون الجدران من الداخل اخضرا هو الاخر.
تفحصـــت عينا مهدي الجدران داخل المقام، بينمـــا راحت مها تقرأ الايات التي تزين المبنى من الخارج..

"فَوَجَدَا عَبدَا مِن عِبادِنا اتَيناهُ رَحمَةً مِن عِندِنا وَعَلَّمناهُ مِن لَدُنّا عِلما".

....

"حانت ساعة تنفيذ الخطة البديلة" ..
قال صـــاحب البدلة الانيقة وقد اشعل ســـيكارة بنية اخرى، اصبح الوضع حرجا للغاية، وبينما كان يســـحب اولى انفاس ســـيكارته تلك، كانت اقسام مسدس قد سحبت في شارع حيفا..

قريبا جدا .. من مقام الخضر .

الفصل 85

"انهما في شارع حيفا"..
قال الشاب الاسمر لسكوت اوزيلينغ بعد ان كان قد القى نظرة في الغرفة المجاورة على الشاشة التي تنقل احداثيات جهاز التتبع الملصق اسفل سيارة مها.
اغمد اوزيلينغ مسدسه البرتا ذو الـ9 ملمترات في قرابه وهو يعد نفسه للمهمة التي استنفر من اجلها افضل رجاله. واجاب الشاب الاسمر قائلا:

Let's get our hands dirty!

لنشرع بالعمل!

بهرولةٍ سريعة، تحرك الشاب الاسمر ونادى على عناصر بلاك ساند الاخرين المشتركين في المهمة. ركض الجميع نحو باحة مقر الشركة حيث كانت السيارات بانتظارهم. كان عددهم 10 رجال بضمنهم سكوت وذلك الشاب. سيكونون في سيارتين مصفحتين من طراز شيفروليه.

....

دار مهدي حول زوايا مبنى مقام الخضر املا العثور على رمز او دلالة من الممكن ان تترابط مع الالغاز التي تركها الرئيس والمستشار. كان المبنى متواضع البناء ولا يبدُ عليه اي نوعٍ من البهرجة.

"مهدي". قالت مها. "لا يمكن ان يكون ما جئنا من اجله هنا سوى اننا تاكدنا من ان مقصد الرسالة يشير الى النهر".
هز مهدي راسه وهو لايزال يتفحص واجهة مبنى المقام.



"لوحة تعميد المسيح واقفا في نهر"، قال، "ورجل الدين الصابئي يعمد اخر في نهر، ومقام الخضر المطل على النهر!".

اجابت مها: "ارايت؟، لقد ركزت الرسالة على دجلة وهي تؤكد ذلك مجددا، المراة الحادية عشرة من نصب الحرية".

رد مهدي زافرا، "لا ادري ما الغاية من الاشارة بثلاث اشارات الى الوجهة ذاتها! نحن ندور حول الهدف نفسه".

اجابت مها وهي ترجع شعرها خلف اذنها: "برايي، فبسبب كون فكرة وجود ذهب في النهر لن يتم تقبلها من قبل من تقع بيده رسالة المستشار، فلذلك، اكد المستشار على النهر في الرسالة بهذه الطريقة، وبالفعل، فنحن الان ايقنا بان الكنز موجود في مكان ما من النهر".

هز مهدي راسه وهو ينظر الى مياه نهر دجلة التي انعكست عليها انوار جسر الباب المعظم وبناية مدينة الطب.

"حسنا مها، بقية الرسالة ستحدد موقع البحث من النهر، لنرحل الان".

توجه الاثنان الى السلم العائد الى اعلى الضفة، فيما كان احدهم يراقب اقترابهما من ذلك السلم، اعتدل في وقفته ومد يده الى ملابسه.

صعد مهدي ومها السلم الحجري العريض، بينما بدا الرجل بالنزول عليه، و عندما اصبح بمواجهتهما، تعثر باحدى درجات السلم وامسك بيد مهدي بقوة، حاول مهدي مساعدته على النهوض، ولدى وقوفه، رمق مهدي بنظرة مريبة، هز راسه دون ان يتكلم، وبرقت عيناه بنظرة غريبة، ومضى مكملا طريقه الى اسفل السلم.

استغربت مها ما حدث بجانبها قبل قليل، امسكت بمهدي من ذراعه وقالت له: " هل انت بخير؟"، لكن مهدي كان شاحبا ومرتبكا، لم يجب، وهز راسه فحسب، نظرت مها الى الوراء خلف الرجل، لقد اختفى في الظلام تحت الجسر، عادت تنظر لمهدي الذي نظر وراءه وتاكد من رحيل ذلك الغريب، " كيف لشاب بهذه الهيئة ان يتعثر كطفل على سلم هكذا؟"، قالت مستنكرة ..

نظر لها مهدي وقال: "كان ذلك مقصودا"، وفتح كفه قائلا: "لقد ترك هذه الورقة في يدي !".

الفصل 86

الثامنة و15 دقيقة ليلا بتوقيت بغداد.

كان الرجل الذي سلم الورقة لمهدي قد راقب ركوب المحامي ورفيقته سيارتهما القريبة المنطقة، خطا عائدا نحو السلم وهو يجري اتصالا بنقاله.

تم تسليم الرسالة للمحامي .

انهى مكالمته ومشى لمسافة قريبة، حيث ترك سيارة الاجرة الصفراء التي كان يستقلها، ركبها واخرج مسدسه، اعاد عتله الامان بعد ان كان قد ازاحها، كان اعداده لمسدسه احترازيا لمواجهة اي امر خارج السيطرة.
وكانت سيارته الصفراء تلك، هي التي راقبت تحركات مهدي وقتا طويلا.

....

"راقبتك طويلا.. اعرف ما تبحث عنه لانقاذ الحال، انه موجود في حاوية حديدية داخل نفق ساحة التحرير" .

كانت تلك الكلمات هي ما قراها مهدي في الورقة التي اعطاها الرجل له عند السلم، قراها على مها داخل السيارة التي استعان بضوء سقفها، وبنظارته الطبية.
ارجع راسه الى الوراء واتكا على وسادة كرسي السيارة مغمضا عينيه،
"مستحيل!"، قالت مها، "لايمكن ان يكون ذلك صحيحا، لوكان كذلك، لم لا يذهب هو للعثور عليه؟!".
نظر مهدي مجددا في الورقة، حاوية حديدية داخل نفق ساحة التحرير.

"سيكون الامر انتحارا مها، اذا ذهبت هناك، فقد يكون ذلك طعما!".
" بالتاكيد مهدي"، اجابت، "اشعر بالقلق حقا، لماذا راقبنا هذا الشخص طويلا كما يقول؟ ثم كيف عرف بما نمتلكه من معلومات حول موقع الكنز؟".
" لا ادري مها.. لا ادري، ثم ان رسائل المختار والمستشار اوصلتنا الى البحث عن الكنز في النهر، ورسالة هذا الرجل تقول انه في نفق ساحة التحرير".
" رغم ذلك فان النفق قريب من النهر، الا انني لا زلت اشكك في صحة مايريده هذا الشخص"، قالت مها.

تامل مهدي بعينين ناظرتين الى نهر دجلة من داخل السيارة التي لا تزال متوقفة المنظر امامه، لقد قاتل طويلا للوصول الى هذه المرحلة من البحث، لم يتبق الا اقل من 12 ساعة لمظاهرات الغد، و الانهيار الاقتصادي بدأ يدمر اقتصاد العراق تدريجيا، تذكر حلمه بالرئيس المختار وهو يطلب التحرك..
"سينهار كل شئ.. مهدي!"..
القى نظرة على مدينة بغداد عبر مياه دجلة المترقرقة، لايمكن ان يكون اقل وطنية و اندفاعا من والده المستشار، ولا من المختار نفسه، لن يسمح لنفسه بان يترك مدينته (بغداد) تنهار تحت ضربات السقوط الاقتصادي الموجعة، لقد تحملت البلاد ما يكفي من المآسي في العقود الماضية، والان، هو كل ما يملك العراق للنجاة، بورقة تركها والدها له، وقلادة من حديد حفر عليها رقم غامض.

"مها"، نظر اليها و اكمل: "ساتبع رسالة هذا الرجل، وليكن مايكون!".
"هذا جنون مهدي!"، قالت بنبرة غضب، "انهم يستدرجونك الى حيث يريدون !".
اجاب قائلا: "اسمعي، ساحة التحرير تعج بعناصر الامن الان، لن يستطيع احد ايذائي امامهم، ثم لو ان هذا الشخص اراد قتلي لكان فعل هنا، فجرف النهر يكاد يخلو من المارة، لن يراه احد ان اراد اطلاق النار علي".

"ارجــوك مـهـدي، لـنـكـمـل فـك الـغـاز رســالـة والــدك، ودع امـر نـفـق ســاحـة الـتـحـريـر .. ارجـوك !".

اخـرج مـهـدي رسـالـة والـده وقـرأ مـع نـفـسـه بـاقـي اسـطـرهـا ..

اغرس القلادة حيث غرس رمح الفارس الضائع ..
سيستدير كقرص الشمس..
حين يخترقها بعض من احد عشر سهما ..
في الساعة الحادية عشرة..
يسطع نور المرآة ..
لتبدي طوقا يفتح باجتماع عناصر الوجود الاربعة ..
او ستجده غافيا عند غشاء الـ ...

انـهـى قـراءة الـنـص امـامـه، وبـغـضــبٍ عـارم، ضـرب بـاب الـســيـارة بـقـبـضـتـه وصـاح: "لـن نملك الـوقـت الـكـافي لحـل هـذا الـهـراء!"..

"ارجـوك... "، قـالـت مـهـا ..

"يـكـفـي مـهـا!"، ووضـع راسـه بـين كـفـيـه قـائـلا بـصـوت مـنـخـفـض: " سـاذهـب الى هـنـاك، ولـو عـنـى ذلـك قـتـلي، ســابـقـي مـعـك الـرســالـة والـقـلادة، ان ارادوا ان يمـســكـوا بـي فـلـن يجـدوا مـعـي شـيـئـا"، ونـظـر لـهـا وقـال: "سـتـبـقـين بـعـيـدة عـنـي بـيـنـمـا ادخـل انـا الى الـنـفـق". حـاولــت مـهـا ثـنـيـه عـن فـكـرتـه، لـكـنـهـا لم تجـد الـكـلـمــات الـتـي تـردعـه عـن اصـراره عـلـى الـدخـول الى الـنـفـق، ادارت محـرك سـيـارتـهـا، بـيـنـمـا فـتـح هـو الـنـافـذة، وراح يـدخـن سـيـكـارة جـديـدة.

لـن تـكـون المســافـة بـيـنـهـمـا و بـين نـفـق الـتـحـريــر طـويـلـة، فـالـنـفـق يـقـع تحـت الـدوار الـذي يـطـل عـلـيـه نـصـب الحـريـة، المـكـان الـذي مـرا مـنـه نـهـار الـيـوم.

الفصل 87

الثامنة و45 دقيقة ليلا بتوقيت بغداد.

كانت سيارة مها قد عبرت جسر الباب المعظم واستدارت يمينا نحو ساحة الخلاني، كانت الشوارع شبه خالية من السيارات، دقائق بعد عبور الساحة وسيصلان الى ساحة التحرير.

اخرج مهدي رسالة والده والقلادة من جيبه، مد يده الى سترة مها الجلدية وغرسهما في جيبها.

"ستبقين بعيدة عني، عديني بذلك".

نظرت له وهي تعيش اعمق حالات القلق عليه، "كن حذرا، ارجوك، اعدك بانني سابقى حيث تتركني، لكن لا تتاخر كثيرا، لا استطيع البقاء وحدي طويلا في تلك الساحة"..

هز مهدي راسه، وبدأ يفكر بما سيجده هناك، داخل نفق ساحة التحرير.

....

كان محركي سيارتي الشيفروليه التابعتين لبلاك ساند يهدران بانتظار اوامر سكوت اوزيلينغ بالتحرك، لقد استقل العجلتان الافراد العشرة بمن فيهم سكوت وقد ارتدوا جميعا ملابس شبيهة بملابس قوات التدخل السريع العراقية.

فجأة، تلقى سكوت نداءا من داخل المقر..

تم التاكيد، الهدف يتوجه لنفس النقطة..

تهلل وجه سكوت فرحا، فمهدي يتوجه الان الى المكان الذي وصلت عنه معلومات تفيد بأن الذهب موجود فيه ما يؤكد وجوده هناك، لقد كان جهاز التتبع في سيارة مها مفيدا للغاية.

برد فعلٍ مباشر، اعطى اوزيلينغ اوامره الى عناصر تنفيذ المهمة.
حان وقت التحرك.

خرجت سيارتا الشيفروليه من مقرهما القريب من الساحة وتوجهتا نحوها، وبقي سكوت على اتصال بمساعديه في مقر بلاك ساند ليعلموه بالمكان الذي وصلت اليه سيارة المحامي ورفيقته.
دقائق تفصل عن الوصول الى *الكنز العراقي*.

....

في تلك الاثناء، كان عناصر الامن العراقي المنتشرين قرب الساحة وحولها يقومون بواجباتهم في الاستعداد لمظاهرات الغد لحماية الساحة من المخربين الذي قد يقومون بزراعة قنبلة ليلا فيها لتفجيرها اثناء مظاهرات الصباح، ماقد يعطي انطباعا عن استهداف الحكومة لمواطنيها المتظاهرين ضدها، وهو اخر المشاكل التي تحتاجها الحكومة في وضعٍ حرجٍ كهذا.

بعد دقائق، وفي تمام التاسعة، دخلت سيارة مها دوار ساحة التحرير من جهة ساحة الخلاني، تفحص مهدي وضع الساحة وعناصر الامن، خشي ان يكون النفق مغلقا للظروف الامنية الراهنة، لكن في كل الاحوال، عليه الترجل و الاقتراب من باب النفق الواقع اسفل نصب الحرية.

اشار لمها بالتوقف على مسافة من النفق، وتحديدا عند الشارع المجاور للنصب و المؤدي الى الخط السريع.

اوقفـت مها سـيارتها بينما كان قلبها يخفق بشـدةٍ كادت تنتزعه من صـدرها، نظـر لها مهدي قبل نزوله، كانت عيناها تحبسـان دمع خشـيةٍ ووجل، مدت يدها نحوه و امسكت يده، شعر مهدي بيدها باردة ومتعرقة من شدة خوفها، تلمسها باصـابعه وهو ينظر اليها، ابتسم نصف ابتسـامة وهز راسه بعينين تقولان: " لا تقلقـي!"، ثم ادار وجهه و فتح باب السـيارة، نزل منها لتلفحه نسـمة الجو البارد خارجا، اغلق الباب وراءه، و اسـتعد لعبور الشـارع باتجاه نصـب الحرية، حيث يقع اسفله مدخل النفق.

لاحظ مهـدي عناصر الامـن المتفرقين في السـاحة، كان بعضـهم يرتدي ملابس خاصـة، حتـى ان بعض المسـلحين كانوا يقفـون في حديقة الامـة الى الخلف من النصـب، واضـعين اغطية راس سـوداء لا يظهر منها الا عيونهم، ويرتدون بدلات صـحراوية ويحملون اسـلحة حديثة، كانت المسـافة بينهم وبين مدخل النفق لا تزيد عن 50 مترا.

في تلك اللحظات، دخلت سـيارتا شـيفروليه مصفحتين سـاحة التحرير، توقفتا عنـد مبنى المطعم التركي المطل على نهر دجلة، كان علم عراقي صـغير قد علق على احد هوائيات احدى السيارتين لاعطاء الانطباع بانهما تابعتين للامن العراقي، توقفت العجلتين وترجل ثمانية رجال منهما، كان سـكوت اوزيلينغ على راسهم، فيما بقي السائقان داخل عجلتيهما.
توجـه اوزيلينغ برجاله امام مـراى عناصر الامن العراقي الذين لم يسـتغربوا ذلك التحرك بسبب التشديد الامني الى مدخل نفق ساحة التحرير الاخر و الواقع امام مبنى المطعم التركي في الوقت نفسـه الذي بدأ به مهدي بنزول السلم المؤدي الى المدخل الاول للنفق اسـفل نصـب الحرية، حيث يكون ذلك المدخل مقابلا للمدخل الذي دخل منه اوزيلينغ ورجاله، كانت مداخل النفق مفتوحة من الجانبين.

لم تغير مها نظرها عن مهدي حتى غاب نازلا السلم، لكن بتلك اللحظات، لاحظت امرا دفع الاديرنالين بجسمها بغزارة..
لقد تحرك المسلحون الواقفون في حديقة الامة نحو مهدي.

لم تتمالك نفسها، فتحت باب السيارة وعبرت الشارع راكضة، ارادت ان تصرخ على مهدي ليأخذ حذره، لكنها كانت بمرأى اولئك المسلحين، صعدت الرصيف واقتربت باقصى سرعة من مدخل النفق، امسكت درابزون السلم وبدأت بالنزول، اسرع المسلحون خلفها واقتربوا من السلم، وجدت مها نفسها في النفق خلف مهدي بعشرة امتار تقريبا، كان يسير ببطء نحو مابدا من زاوية استدارة النفق الدائري كأنه حاوية حديدية كبيرة كانت على مسافة نحو 30 مترا منه استعان مهدي باضواء النفق لرؤيتها، كان مستمرا بالمشي نحوها بحذر، لكنه تفاجأ بمسلحين ينزلون النفق من المدخل الاخر، كل مافيهم يدل على انهم من الامن العراقي، سوى بشرتهم القوقازية.

سحبت مها نفسا لتصرخ، الا ان يد احد المسلحين خلفها اغلقت فمها، فيما طوقت ذراعه الاخرى خصرها، وتوافد عناصر الامن الاخرين القادمين من الحديقة الى داخل النفق، اخرج احدهم مسدسا مزودا بالليزر وصوبه الى ظهر مهدي، في عموده الفقري، وامام مرأى مها، وبصوت مسدس مكتوم... اطلق النار .

نظرت مها الى مهدي وهو يسقط على الارض، تشنج جسمه لوهلة من الم الاصابة، ثم ارتخت عضلاته تماما ..
اصبح على الارض جثةً هامدة..
مات مهدي العلي.

الفصل 88

بسرعة، تقدم احد المسلحين الملثمين نحو جثة مهدي وحملها راجعا، فيما سحب المسلح الاخر مها الى خارج النفق، وعند السلم، وضع كيسا بلاستيكيا في راسها لمنعها من الرؤية، وقيد يداها الى الوراء بسرعة بارعة باصفاد حديدية.

في تلك اللحظات، كان عناصر بلاك ساند يقفون امام الحاوية الحديدية في الجانب الاخر من النفق، اخرج احدهم مقص الحديد من العدة التي يحملها على ظهره، نظر سكوت حوله ليتأكد من خلو النفق من الاخرين، تقدم العنصر بمقص الحديد نحو الاقفال التي وضعت على باب الحاوية الكبيرة، كسر القفل الاول ورمى به على الارض، ثم وضع حديد القفل الثاني بين فكي مقصه، كسره ايضا، كانت دقات قلب اوزيلينغ تتسارع وهو ينظر الى الحاوية تشارف على الفتح امامه، وكسر مساعده القفل الاخير.
تقدم عنصران اخران نحو الحاوية و امسكا قبضة السقاطة الكبيرة التي تقفل الحاوية وبدآ برفعها.

في تلك الاثناء، كان المسلحون قد اقتادوا مها بسرعة نحو حديقة الامة، فيما حمل احدهم جثة مهدي نحوها، استغلوا ظلام الحديقة للعبور منها الى سيارة فان مصفحة كانوا قد تركوها في الشارع المجاور للحديقة، صعدوا اليها مع صيدهم، اغلقوا بابها وانطلقوا مبتعدين.

اصبحت الحاوية جاهزة للفتح، امسك عنصران من رفاق اوزيلينغ بالبابين الثقيلين الذين يغلقانها، وبدآ بفتحهما تدريجيا، فيما وقف العناصر الثمانية الاخرين امام البـــاب منتظرين رؤيـــة ما بالداخل، وعندما انفتحت البابين بشـــكل شـــبه كامل، سلط عناصر بلاك ساند اضواء بنادقهم الى داخل الحاوية، لينعكس على وجوههم بشكل مفاجئ..

وهج اصفر ذهبي ..

الفصل 89

شـعرت مها بالمصـبطة الحديدية تحتها تهتز بفعل تحرك العجلة التي اصـعدت اليها، بعد ثوان، ورغم هدير محرك العجلة، سـمعت دوي انفجار قوي، تلته كلمات ممزوجة بالضـحكات الرجولية من حولها، وضـع احدهم يده على راسـها وانتزع الغطاء البلاستيكي عنه، تقلص بؤبؤا عيناها بفعل الضوء المثبت في سقف الفان، نظرت حولها، ثلاثة رجال مسـلحين بالبنادق يجلسون على المصطبة المقابلة لها ولم يبـد مـن وجوههم الا عيونهم، ومسـلحَين اخرَين يجلسـان الى جانبيها، وفي ارضية الفان، كانت جثة مهدي ممدة على وجهها وقد قيدت يداها الى الخلف بقيود حديدية، ووضع كيس بلاستيكي في رأس الجثة هي الاخرى.
مـد الرجـل الجالـس في الوسـط امامها يديـه نحو القيـود في معصـمي مهدي وفتحهما، صدمت مها لما رأت، لقد حرك مهدي ذراعيه!
ساعده الرجل على الجلوس في ارضية السيارة، ثم مد يده نحو الكيس البلاستيكي في راسه وازاحه عنه.

كان مهدي حيا، سـوى ان تعابير وجهـه كانت توحي بالالم، نظر حوله ليرى المنظر، وصدم عندما راى مها جالسة الى يساره.
"مهدي!"، قالت مها منتحبة، امسـك مهدي بركبتها وهو يشعر بالالم في ظهره، قال: "مها .. هل انت بخير؟".
اجابت فيما كانت دموعها تنهمر، "نعم نعم، بخير!".

فتح العنصر الجالس الي يمينها القيود في معصـميها، واحتنضـنت مهدي باكية على كتفه وغير مصدقة بانه لا زال حيا.

ربت العنصر الجالس في الوسط على المصطبة المقابلة لمها على كتف مهدي، نظر مهدي اليه، كانت عيناه تشعان برقا، رفع العنصر يده نحو الغطاء الذي يرتديه على وجهه، امسكه من الاسفل ورفعه عن رأسه، صعق مهدي ومها لما رأياه ..

كان ذلك الرجل هو..

النقيب فاضل.

الفصل 90

التاسعة و45 دقيقة ليلا بتوقيت بغداد.

كانت سيارات الاسعاف و الاطفاء قد هرعت الى ساحة التحرير بعد ان دوى صوت انفجار قوي في نفق الساحة.
اشارت تقارير قوات الامن الاولية الى مقتل ثمانية مسلحين تابعين لشركة بلاك ساند الامنية في انفجار غامض داخل النفق، تم اعتقال العنصرين الاخرين الذين بقيا في السيارتين قرب المطعم التركي لغرض التحقيق.

لقد كانت قنبلة وضعت في الحاوية الحديدية و ثبّت صاعقها بالباب، وما ان قام عناصر بلاك ساند بفتح ابواب الحاوية على مصراعيها، حتى تم سحب الصاعق، لتبدي الحاوية وهجا ذهبيا بوجوههم، كومضةٍ اولى خاطفة للانفجار الذي حولهم جميعا الى اشلاء، بما فيهم سكوت اوزيلينغ و الشاب العراقي الاسمر.

....

لم يتحدث مهدي ومها بكلمة وهما في قبضة النقيب فاضل، الرجل الذي اغتال الرئيس محمد المختار ببخاخٍ سام داخل زنزانته في الشعبة الخامسة.
مد فاضل يده نحو مسدسه الذي اطلق منه النار على مهدي واخرجه، كان شكل ذلك المسدس غريبا، نظر لمهدي وقال: "اسف استاذ، من السئ ان يكون لقائنا الثاني بهذه الطريقة، اما هذا فهو مسدس كهربائي، يشل الحركة فقط، هذا ما اصبتك به، لا تقلق، سيزول الالم سريعا".
قال ذلك وهو لا يعلم بما فعل الضبع من ايصال فيديو كاميرا الزنزانة 12 الى المحامي، قبل ان يتم قتله.

بعد دقائق من الصمت داخل الفان، توقفت العجلة معلنةً الوصول الى وجهتها، فتح احد العناصر بابي السيارة الخلفيتين، وانزلا مهدي ومها منها، نظرا حولهما ليجدا نفسيهما امام مبنى غريب لم يشاهداه من قبل، اقتادهما اربعة من المسلحين الى داخل المبنى وكان فاضل من بينهم، كان المبنى من الداخل هادئا ونظيفا وقد علقت لوحات مختلفة على جدرانه، وبعد المرور بعدة اروقة، توقف المسلحون امام باب في نهاية الرواق، طرق فاضل الباب ودخل الى الغرفة، بعد ثوان، خرج واشار لمهدي ومها بالدخول، فيما بقي العناصر الاخرون خارجا.

دخل مهدي ومها الى الغرفة الى جانب النقيب فاضل، كانت الغرفة ذات جدران خشبية، تنيرها اضواء خافتة، وقد امتلا جوها برائحة دخان سيكارٍ فاخر، نظر مهدي امامه نحو نهاية الغرفة، كان مكتب خشبي يجلس خلفه رجل ممتلئ القوام يدخن سيكارةً بنية وقد ارتدى بدلةً انيقة.

لوهلة، وادرك مهدي انه يقف امام اعتى رجال الدولة..
كان ذلك الرجل هو *اللواء ماهر عبد الفتاح، مدير المخابرات العامة.*

الفصل 91

العاشرة و الربع ليلا بتوقيت بغداد.

لم يعد مهدي يشعر بالم الوخزتين التين احدثهما الراسين المدببين الذين انطلقا من مسدس فاضل الكهربائي نحو ظهره. عندما وجد نفسه واقفا امام اللواء ماهر عبد الفتاح.

اطفأ ماهر سيكارته. وشبك اصابعه متكأً وهو ينظر نحو مهدي دون ان ينطق بكلمة. رفع احدى يديه و اشار لهم بالاقتراب. كانت المسافة بين الثلاثة ومكتب اللواء نحو 10 امتار. شعر بهما مهدي ومها بانهما اطول من ذلك بكثير لرهبة ما وجدا نفسيهما فيه.

"الحمد لله على سلامتكما استاذ مهدي". قال اللواء بصوتٍ ممتلئ. اجاب مهدي: "شكرا لك".
نهض اللواء من مكتبه ومشى بخطواتٍ واثقة. دار حول مكتبه وجلس على احد الكراسي الجانبية الموضوعة امام المكتب. كان هناك اربعة كراسي متقابلة. اشار لمهدي ومها بالجلوس. اصبح مهدي مقابلا له ومجاورا لمها. وبقي النقيب فاضل واقفا.

"تشربان شيئا؟". قال اللواء. تبادل مهدي ومها النظرات. "ماء لو سمحت". قالت مها. فيما طلب مهدي فنجان قهوة.
نظر اللواء الى فاضل الذي فهم نظرته. واستدار خارجا من غرفة الجدران الخشبية.

"حضرة المحامي"، قال اللواء، "لقد اثبتّ ذكائك في فهم الاشارات التي ارسلناها اليك، فقد امرت النقيب فاضل بان يكتب الرقم 39 على جدار الزنزانة التي (توفي) فيها الرئيس محمد المختار، رحمه الله، وان يعاد تسجيل اقراص المحاكمة الثلاثة بالطريقة التي – اعتقد انك – شاهدتها، لنوحي لك بنفس الرقم"، حول نظره الى مها واكمل: "كما ارسلنا لك رسالة من القرون الوسطى، وجعلنا لوحة الصاروخ تبدو امامك على الشاشة".

هز مهدي رأسه وقد فاض قلقا، اكمل اللواء: "ومن الجيد انك فهمت مانريد، استاذ مهدي، تنقلاتك الكثيرة مع الانسة، اوضحت لنا بانك تبحث عن شيءٍ ما، شيءٌ نحن نريده، ويجب ان نعثر عليه .. *باسرع ما يمكن*".

قال الكلمات الاخيرة ببطءٍ شديد.

نظر مهدي الى ساعته، لم يتبق الا اقل من عشر ساعات على موعد المظاهرات، كما انه يعلم بان الدولار قد فقد الكثير من قيمته الان، و ان الاقتصاد يترنح حاليا، الا انه لم يكن واثقا مما سيفعله اللواء بالذهب، قد يصادره الى حسابه الشخصي، او يهربه الى خارج البلاد.

"سيادة اللواء، لا اعلم بمكان ماتريد، كان بأمكانكم سؤال الرئيس المختار عنه عندما كان مسجونا، فهو من اخفاه".

ضم اللواء شفتيه وتقدم الى الامام بجلسته، نظر بعيني مهدي وقال: "انت تخشى على مصير الذهب وذلك من حقك، فانت مواطن صالح، لكن دعني اطمئنك، هل تسائلت مع نفسك لماذا لم تعلن الحكومة عن معرفتها بوجود اطنان الذهب تلك؟ او لماذا لم تبدُ باحثةً عليه؟"، ابتسم و اكمل: "لانه لا احد غيرنا نحن الثلاثة، الان في هذه الغرفة، يعلم بما نعلمه نحن عنه، ولو ان الحكومة علمت بوجود ذهب قام باخفاءه المختار في مكان ما، لكانت اخضعته لاستجوابٍ قاسٍ، وربما التعذيب، من الجيد.. ومن المؤسف ايضا، ان المختار رحل دون ان يعلم احد بما اخفاه".

اجــاب مـهـدي مســـتـجـمـعـا قـواه: "وكـيـف عـرفـت انـت بـذلـك، ســـيـادة اللـواء؟"، احـتـدت نظـرة مـاهـر وقـال:

"ســـيـد مـهـدي تـذكّـــر، لقـد كـنـت انـا مـديـــرا للـمـخـابـرات الـعـامـــة في اول اعـوام حـكـم الـرئيـســ المختار، لقـد وضـــعـنـا مـعـا، انـا وهـو، ووالـدك المستشـــار، خـطـــة انـقـاذ الـبـلاد مـن انـهـيارٍ اقـتـصـــادي عـالمـي مـتـوقـع، وقـررنـا ان نـكـون – نـحـن الـثـلاثـة – نـكـمـل بـعـضـــنـا بـعـضـا في احـجـيـة ايجـاد الـكـنـز، فـلا يمـكـن ايجـاده ان لـم يـتـم جـمـع الـغـاز مـترابـطـة وضـع لـدى كـلٍ مـنـا جـزءا مـنـهـا، وبـالـفـعـل، فـقـد جـمـعـنـا قـسـمـا كـبيرا مـن الـذهـب مـعـا، ونـفـذت انـا عـمـلـيـات دعـم الـقـراصـــنـة الـصـــومـالـيـين، وســـحـب كـمـيـة مـن ذهـب خـزيـنـة الـبـنـك بـعـمـلـيـة اسـتـخـبـاريـة، وعـمـلـيـات اخـرى كـثـيرة، كـنـت مـؤمـنـا بـفـكـرة المختار، لـكـن مـاحـدث هـو انـنـا جـمـعـنـا قـسـمـا مـنـه مـعـا، وفي مـرحـلـة اخـفـاءه، عـزلـنـي المختار عـن مـنـصـبـي".

قـطـب مـهـدي حـاجـبـيـه وهـو يـســـتـمـع، تـذكـر رسـالـة المختار: (اولٌ فـعـل، وثـانٍ يـحـمـل سر الاول، وثـالـثٌ يـكـشـف الـسـتـار)، وطـفـت الى ذهـنـه كـلـمـات رسـالـة نـبـؤة نوستراداموس .. (تـسـتـعـبـد الامـبراطـوريـة، ويـقـوم مـقـامـهـا ثـلاثـة رجـال) !

"لـم افـهـم"، قـال مـهـدي، "لمـاذا قـام بـعـزلـك، كـيـف عـدت الى مـنـصـبـك مـن جـديـد بـعـدمـا اقـصـي هـو عـن الـرئـاسـة؟".

لـم يجـب اللـواء، فـقـد دخـل الـنـقـيـب فـاضـل ومـعـه شـاب يـرتـدي بـدلـة سـوداء وهـو يـحـمـل صـــيـنـيـة المشروبات، وزعـهـا عـلـى المنضـــدة وخـرج عـائـدا، فـيـمـا بـقـي الـنـقـيـب واقـفـا في الـغـرفـة.

"ســيد مهدي، يبدو ان المختار اراد افتعال تعديلٍ على خطته، لذا سمح لي بمعرفة نصــف السر، وهو وجود الذهب، واخفاء النصف الاخر عني، وهو مكان اخفاءه، اما عودتي لمنصــبي، فهو لاني رفعت شكوى للحكومة الجديدة ضد المختار بعد عزله عن الرئاســة، قلت فيها انني مقالٌ سياســيا من قبل الرئيس المعزول، وانني اطلب العودة الى منصبي بعد ان انتهى عهده، فتمت الموافقة، وعدت ادير المخابرات، حتى جاء اليوم الذي اصبحنا فيه بحاجة الى كنز الرئيس اكثر من اي وقتٍ مضى".

ارتشــف مهدي فنجــان قهوته وقال: "انت قلت بان الخطة تتضــمن لغزا من ثلاثة اجزاء، لدى ثلاثة اشخاص، وقد اقصاك المختار عن ان تكون الشخص الثالث".
هز ماهر راسه موافقا اياه وقال: " الاول هو المختار، والثاني هو والدك المستشار".
تبادل مهدي ومها النظرات، ثم ســأل اللواء: "من برأيك الشخص الثالث الان؟"، لم يجب مهدي مستغربا.
ابتسم ماهر وقال: " انه انت يا مهدي!".

صدم مهدي لما سمع، لم يفكر ابدا بذلك، وتذكر فورا صورا من حلمه بالرئيس وهو يصرخ في وجهه: سينهار كل شئ.. مهدي!
لقد عرف بأن والده هو الرجل الثاني، لكن الثالث - الذي يكشــف الستار -لم يكن قد خطر بباله ابدا انه سيكون هو .
" انا ؟؟ كيف ؟!".
ارتشف ماهر شيئا من قهوته و قال: " لما اقصيت عن منصبي، لم يعد هناك رجلٌ ثالــث، لذلك، كان على المختار ان يجد احدا يثق به ليســلمه رأس الخيط، ولم يكن احد امامي يرشــحه المختار لتلك المهمة سوى محاميه المخلص، و ابن مستشاره المخلص، مهدي العلي، لذلك، كنت وحدك من ستصــلح لان تكون الرجل الثالث، لقد عملت مع المختار لاعوام، واعرف كيف يفكر، الا ان الامر الوحيد الذي فاتني هو

ان الرئيس كان قد وضع اجزاء اللغز بكاملها، بما فيها اقصائي عن مهمة الرجل الثالث وايجاد احد بديل في الوقت المحدد، في اول ايامه بالتفكير بجمع الذهب، وهذا مايفسر بقاء والدك مشتركا في اللغز وهو متوفٍ منذ سبع سنين، لقد اشترك الرئيس مع المستشار قبل سبع سنين في وضع اجزاء اللغز".

تذكر مهدي وصية والده قبل وفاته بخصوص جناحه في المنزل..

لا تبع المنزل، ولا تدخل الجناح الا للضرورة، وان دخلت، فلا تحرك ساكنا.

وبينما كان يلملم افكاره امام عاصفة المفاجئات التي ضربت ذهنه، سالت مها اللواء: "سيادة اللواء، هل انتم مسؤولون عن الرسالة التي تسلمها الاستاذ مهدي عند مقام الخضر؟".

اجاب ماهر: "نعم، لاخبركم شيئا، هل لاحظتم شيئا غريبا قرب منزلك مهدي في زيونة؟".

استجمع مهدي افكاره، لم يبدُ هناك شئ غير طبيعي سوى ..

"سيارة الشيروكي!، لقد رايتها مرارا وتنبهت اليها في وقتٍ متاخر".

اجاب ماهر: "اها، انهم البلاك ساند".

استغربت مها حديثهما، فلم تكن تفهم ما يتحدثون عنه، "من؟"، قالت وهي ترجع شعرها خلف اذنها .

"بلاك ساند"، قال اللواء ببطء، واكمل: "شركة امنية امريكية خاصة، دخلت العراق وفق صفقة مع برلمانيين ورجال في الحكومة، لقد كنت اعلم بما تروم القيام به، فقد تمكنت مخابرات اجنبية بطريقة ما من معرفة معلومات عن كنز خبأه الرئيس لينقذ العراق من الانهيار الكبير، واستخدمت بلاك ساند للعثور عليه وايجاده، لم اعرف ما كانت بلاك ساند تفكر فيه، سرقته او اتلافه، لكن الهدف

واحد: جعل العراق بلا سلاح لمواجهة الازمة، كي لاينجو احد من لعبة المصرفيين العالميين الذين اطاحوا باكبر الدول، ولنصبح - كغيرنا من الشعوب - خاضعين لسيطرتهم ايضا".

سأل مهدي: " وكيف علمتم بما تقوم به بلاك ساند؟".
اجاب ماهر: "ان العمل الظاهر لبلاك ساند هو حماية شخصيات عراقية هامة، لكننا علمنا بالهدف الاخر لهم هنا، ببساطة، لاننا المخابرات في هذه البلاد، وما اكد لنا ذلك ايضا، مراقبتنا لدورياتهم في حيكم السكني".
"كنتم تراقبونني اذا"، قال مهدي.
"ونحميك ايضا"، اجاب اللواء، واكمل: "هل لاحظت كاميرا مراقبة على المنزل المواجه لمنزلك؟".
استرجع مهدي بذهنه منظر المنزل المواجه لداره، لايتذكر بالضبط وجود كاميرا مراقبة، "كلا، لم افعل".

قال ماهر: "لم تكن هناك مجرد كاميرا، كان المنزل المقابل لدارك عبارة عن مقرٍ مخابراتي كامل، ولم يشعر بذلك احد من سكان الحي، كانت هناك كاميرات راقبناك بها، وراقبنا دوريات بلاك ساند، الى جانب وجود فريق تدخل سريع مسلح وضعناه في ذلك المنزل للتدخل ان حاول عناصر من بلاك ساند اقتحام منزلك، كما كنت مراقبا في تحركاتك بسيارات مخابرات بهيآت مختلفة".

كان مهدي ومها منذهلين وهما يستمعان الى اللواء المحنك امامهما، لقد كانا مراقبَين كل تلك المدة.
قالت مها: "سيادتك، لم تجبني عن الرسالة التي تسلمها الاستاذ مهدي عند مقام الخضر".

رد ماهر: "اها نعم"، ارتشـــف بعضا من قهوته، واكمل: " لم يكن بمقدوري القضاء على بلاك ساند بشكل مباشر، فهي مدعومة كما ذكرت لكم من افراد في الحكومة والبرلمـــان، لـــذا، ولاننا نعلم بكافـــة تنقلاتك، ســـلمناك الرســـالة لنجعلك طعما لاستدراج بلاك ساند الى المكان الذي نريد، وهو نفق ساحة التحرير، في الوقت الذي اوصلنا لهم معلومات مضللة عبر عملائنا تفيد بأن الكنز هناك، ولان عناصر بلاك ساند ليسوا اغبياء، فقد اكدنا لهم صحة المعلومة التي اوصلناها لهم بطريقة غير مباشرة، عن طريق جعلك تذهب بنفســـك الى النفق، وذلك ما اكد لهم صحة ما لمحنا لهم عنه، ذهبوا الى هناك، فقمنا بانقاذك، وارسلناهم الى الجحيم".

جحظت عينا مهدي وقال: "كيف؟!".
اجاب ماهر ضاحكا: "الخزانة الحديدية في النفق، كانت تحتوي على قنبلة، لقد قتلوا هناك، اما من تبقى من بلاك ساند في بغداد، فسنتمكن من طردهم من العراق عن طريق رفع دعوى قضائية ضدهم بحجة التحرك في العاصمة بلا موافقات، بدليل ماحدث في نفق ساحة التحرير، لن يستطيع احد الدفاع عنهم في هذه الحالة".

كان مهدي يشعر بنفسه كقشة امام اعصار من المفاجآت وهو يستمع الى اللواء، وضـــع مرفقيه على ركبتيه، ورأسه بين كفيه وهو يفكر بأهم سؤال جال في رأسه منذ رأى اللواء ماهر في هذه الغرفة، رفع رأسه وقال لماهر:

" سيدي .. لماذا قتلتم *المختار* ؟!".



الفصل 92

الحادية عشرة ليلا بتوقيت بغداد.

كانت عينا اللواء ماهر تبرقان غضبا وهو ينظر الى النقيب فاضل بعد ان سمع سؤال مهدي عن مقتل المختار.
كيف عرف المحامي بما جرى في الزنزانة؟ لا يمكن ان يكون ذلك الا ..
الضبع !

تظاهر بالهدوء ونظر الى مهدي وقال: "حضرة المحامي، اعتقد بانك شاهدت المؤتمر الصحفي الذي عقدته وزارة العدل، و الذي اكد وفاة الرئيس بـ .." ..
"غير صحيح!"، قال مهدي وقد شعر بانه تجاوز حاجر الخوف، "لقد وصلتني معلومات عن كيفية وفاة المختار!"، واستدار ليرمق النقيب فاضل بنظرةٍ حادة.
قال اللواء بهدوء: "بامكانك مساعدتنا اذا في كشف حقيقة ماجرى".
"سيادة اللواء، اخبرني، لماذا قتلتم المختار؟"، رد مهدي.

نظر ماهر الى ساعته، كان الوقت يمضي، ولم يبدأ الحديث بعد عما وصل اليه مهدي في بحثه عن الكنز، نظر له وقال: "حسنا سأخبرك، لكن اجبني اولا، ايهما اهم؟ حياة المختار؟ ام مصير اكثر من 30 مليون انسان؟".
تفاجأ مهدي بالسؤال، اكمل ماهر: "انت رجل وطني مهدي، صدقني، لو ان الحكومة علمت بما خبأه الرئيس لاخضعته الى شتى انواع الاستجواب، وعندما تنتزع منه المعلومات الخاصة بموقع الكنز، فانها ستعثر عليه ليستخدمه المتنفذون فيها لمآربهم الشخصية، وان لم يفعلوا، فسيبددونه قبل ان ياتي الانهيار، وعندما يحدث، سنكون بلا سلاح لمواجهته".

تذكر مهدي كلمات رسالة الرئيس:

لا تمدي له يدك قبل الاوان..

فسيستحيل حبل مشنقة..

ولا بعد الاوان..

فسيكون كل شئ قد انتهى..

"لذا"، اكمل ماهر، "لم يكن امامنا سوى حماية الكنز بهذه الطريقة، وحماية المختار من استجوابٍ مؤلم، والبلاد من الهاوية".

لم ترمش عينا مها وهي تنظر الى اللواء ماهر، لكن قطرات الدمع انسكبت منهما على خديها الذين احمرا وهي تتذكر شريط اغتيال المختار بالبخاخ السام، مر بذهنها منظر الرئيس وهو يتناول البخاخ، ضغط عليه وهو في فمه، وانهار في فراشة مصارعا الاختناق وضاربا بقدمه السرير.. حتى فارق الحياة.

نظر اللواء لمها ورأى دموعها، مد يده الى علبة المناديل الورقية امامه، سحب منها منديلين وقدمهما لها، فيما كان مهدي يغطي وجهه وقد فاض حزنا على الرئيس. "اسف لذلك"، قال ماهر، "البلاد اغلى من الرئيس، ولو كان بيدي حل اخر لاخترته، سيد مهدي، سارسلكما ترتاحان قليلا، قبل ان نتحدث بامر مكان الكنز، يجب ان نجده الليلة، ونعلن وجوده امام الاعلام لتلغي الحكومة قرار التقشف الاخير، وليعود الاقتصاد لوضعه الطبيعي في بلادنا".

لا يدري مهدي لمَ شعر بدفقة اطمئنان لماهر، لايدري لماذا خالجه شعور بان ماهر سيفعل ذلك، وسيغلب مصلحة البلاد على مصلحته الشخصية لينقذ الاقتصاد حقا، ربما لانه يفضل ان يكون بطلا شعبيا على ان يكون خائنا هاربا.

اشـــار ماهر للنقيب فاضـــل باصـــطحاب مـهدي ومـها الى غـرفـة قـريبـة ليـنالا عشر دقائـــق مـــن الـراحـة. يعـودا بعـدها الى الـغـرفـة ذات الجـدران الخشـــبيـة ليناقشـــهما بما وصلا اليه من حلحلة لمفاصل الكنز.

خـرج الـنقيب مـن الـغـرفـة مـصـــطحبا الاثنين مـعـه. الا انه كـان يفكـر بما عـرفه مـهدي مـن مـعـلومات عـن اغـتيال المـختـار. اتقـد ذهـنه خـشـيـة عـلى مـصـيره ان عـلم الـقـضـاء بما فـعـل عـن طـريـق مـهـدي. بـل ان مـهـدي نـفـســـه يشـكـل خـطـرا عـلـيه كـونه كـان محامـي المختار.
حـاول ان يهـدئ مـن روع ذاتـه. فـكـر بانـه مـن المـمـكـن ان يـكـون المـحـامـي قـد عـلـم بما جـرى في الزنزانة 12. لكنه لم يعلم هوية الفاعل بالضبط. كـل ما كـان يطمئن به نفسـه كـان تفـكـيره بان الـلـواء مـاهـر هـو مـن سـيـحـمـيـه.

الفصل 93

اغلق النقيب فاضل الباب على مها ومهدي بعد ان ادخلهما غرفة قريبة في مقر اللواء ماهر. كانت الغرفة صغيرة وتحتوي على ارائك جلدية سوداء ومنضدة زجاجية في وسطها.
جلس مهدي وقد شعر بالم الوخزتين في ظهره، فيما جلست مها قبالته .

"مهدي، هل تثق في ذلك الرجل؟"، قالت مها.
اشعل سيكارة ونظر لها قائلا: "اسمعي، لا يمكننا الا ان نواصل البحث معه على الكنز. الانهيار اصاب البلاد، ان لم نمض في التعاون معه فسيمضي الدمار بالاقتصاد الى حد اكبر، اما ان عملنا معه على ايجاده، فستكون هناك نسبة انقاذ للوضع، وان سألتيني عن رايي.."، اخذ نفسا من سيكارته واكمل: "فلا اعرف لم اشعر بالثقة في ذلك الرجل برغم مافعل".

"ومن اين جائك هذا الشعور؟! لقد قتل هذا الرجل الرئيس!".
"مها"، اجاب مهدي، "في عالم المخابرات، فان مبدأ الغاية تبرر الوسيلة هو السائد، اللواء لم يرد للكنز ان يتبدد قبل اوانه، وبقاء المختار لفترة اطول كان من الممكن ان يؤدي الى استجوابه من قبل شخصيات حكومية تمتلك سلطة على القضاء ان علمت تلك الجهات بامر الكنز".

"ولكن ماذا لو هرّب اللواء الكنز؟"، قالت.
"لا تقلقي، تلك كمية كبيرة جدا، لا اعتقد انه سيفعلها، قلت لك، اشعر بالثقة في ذلك الرجل".

شـــعرت مهـــا بالـتردد لاخبار اللـــواء بنتائج بحثهـــا مع مهدي، لكـــن كلمات الاخير اعطتها دفعة من الاطمئنان، لم تبق الا خمس دقائق على انتهاء فترة استراحتهما، ويعودا بعدها الى الغرفة ذات الجدران الخشبية.

في تلك الاثناء، كانت بغداد تســـتعد للدخول في حظر تجوال شـــامل ســـيدخل حيز التنفيذ في تمام منتصف الليل، بدت الشوارع مقفرة، فيما كانت حركة قوات الامن هي السائدة وحدها في ذلك الوقت.
في دول العـــالم الاخـــرى، كانـــت شـــوارع دول عديدة قد تحولت الى ســـاحات صـــدام واحتجاجات، بعد ان اتى الانهيار العالمي على اقتصادات معظم الدول، وبدأ الاثرياء يهربون بعيدا عن مدنهم وبلدانهم، حين بدأ الجوعى يثورون للحصول على ما يديم بقائهم، تماما كما تنبأ الرئيس المختار.

....

بعد دقائق، طرق النقيب فاضل باب الغرفة التي ترك فيها مهدي ومها، فتح الباب داخلا، كان قد خلع جعبته و درعه و نزع ســـلاحه، ســـوى مسدسه الذي يضعه الى جانب فخذه.
"هل نذهب الان؟"، قال، واشار لمهدي ومها بالنهوض، حيث تبعاه الى غرفة اللواء.
بعـــد خطـــوات قليلة في اروقـــة المقر، دخل الثلاثـــة الغرفة، كان اللـــواء ماهر يدخن السيكار وقد خلع سترة بدلته وحلحل ربطة عنقه الفاخرة، وظهر حزام مسدسه الذي يتقلده على كتفيه.
اشـــار لهم بالدخـــول، بينما كان يتابع التلفاز من خلف مكتبه، حيث كانت صـــور المظاهرات في بعض مدن العالم تحتل الشاشة.

اقترب مهدي ومها نحو الكراسي امام المكتب، جلسا جنبا الى جنب حين اشار لهم ماهر، نهض من خلف مكتبه وجلس امامهما، سحب نفسا من سيكارته وقال: "والان، اين وصلتما؟".

مد مهدي يده الى جيب سترته ليخرج رسالة والده و القلادة.

الا انهما لم تكونا هناك .

تفحص جيبه الاخر وبدأ بتفتيش ملابسه، لكنه تفاجأ بيد مها تمدها امام عينيه وهي تمسك بهما، نظر لها ليراها مبتسمة، اطلق زفيرا وهو يتذكر تركهما معها عند نزوله الى نفق التحرير.

تناول الرسالة و القلادة ووضعهما على المنضدة الزجاجية امامه حيث كان ماهر يراقب مايفعل، فتح مهدي الرسالة وقال: "سيادة اللواء، لقد افضى بحثنا عن ايجاد اشارة تركها الرئيس في نصب الشهيد لمستشاره، وعند التفتيش في خزانة والدي المستشار، عثرنا على هذه الرسالة الى جانب هذه القلادة"، وقدمهما له.

تناول ماهر الرسالة التي كتبت بخط يد المستشار بحبر ازرق، وضع نظارته الطبية وقرأ نصها الذي ينتهي بكلمة ممحوة بفعل سقوط قطرات ماء عليها، اعترف في خلده بصعوبة فهم مقصدها، وضعها على المنضدة و تناول القلادة، نظر الى ماكتب على حلقتها.

1/40000

ضم شفتيه ونزع نظارته وقال: "ماذا استطعتما ان تفهما منها؟".

اجابت مها: "سيدي، المستشار قصد في الرسالة.."..

وتناولت الرسالة لتشرح لماهر معنى ما كتبه المستشار عن ختم سومري وسط بغداد، والمرأة الحادية عشرة منه، وعن اشاراته للمعابد الثلاث التي اشارت بدورها الى نهر دجلة، شرحت ما استطاعت مع مهدي حله من تلك الالغاز.

"نهر دجلة؟"، قال اللواء.

"هذا ماتوصلنا اليه سيدي"، اجاب مهدي.

مد ماهر يده ليتناول الرسالة من مها وقرا العبارة التي وصلها الاثنان دون ان يحلا لغزها .

اغرس القلادة حيث غرس رمح الفارس الضائع!

"هذا مالم نستطع فهمه"، قالت مها.

رمح الفارس الضائع .. لم تكن تلك الكلمات غريبة على اللواء ماهر، لقد قيلت له ذات مرة عندما سأل احدهم عن معنى تصميم احد النصب التذكارية في بغداد، حين كان يضع عليه اكليل ورد في ذكرى تاسيس الجيش الى جانب الرئيس المختار في اول اعوام حكمه.

بذهنٍ يغوص في اعماق الذاكرة، تمتم ماهر قائلا: "رمح الفارس الضائع .. الفارس .. الضائع .." ..

رمق مهدي بنظرة وقال: "اظنه يقصد .. *نصب الجندي المجهول* !" .

الفصل 94

الحادية عشرة و النصف بتوقيت بغداد.

استرجع مهدي فورا شكل نصب الجندي المجهول باحثا فيه عن (رمح). كل ما يتذكره من شكل النصب هو مجسم نصف بيضوي عملاق مغروس بالارض من احدى جوانبه، الى جانب عمود فضي تلتف عليه الوان العلم العراقي الاربعة.

"الجندي المجهول؟"، قالت مها.

"بلى"، رد اللواء، "الفارس الضائع هو الجندي المجهول، اذكر في احدى زياراتي للنصب مع الرئيس المختار لوضع اكليل زهورٍ بعيد الجيش انني سألت احدهم عما يعنيه تصميم النصب هذا، لقد قال لي حسب ما اذكر انه يتكون من ترس فارس سقط منه ودار حول الارض صانعا ثلاث دوائر احادية المركز، تلك التي تشكل درجات ثلاثة حول مركز النصب، اما العمود الفضي المجاور لذلك الترس العملاق فهو (رمح) الفارس المجهول الذي سقط منه هو الاخر بعد موته و انغرس في الارض لتلتف عليه الوان العلم العراقي الاربعة، اما الفارس نفسه فهو مجهول".

نظر مهدي الى مها مستغربا ماسمعه، "الجندي المجهول، الفارس الضائع، تماما!، ذلك منطقي".

"ذلك يعني"، ردت مها، "ان القلادة يجب ان تغرس هناك، اين اصبح النصب منا الان سيادة اللواء؟"، اجاب ماهر: "بجوار ساحة الاحتفالات، قريبا جدا، بما اننا الان في المنطقة الخضراء".

"المنطقــة الخضراء؟"، قــال مهدي مســتغربا، فلم يعلم هو ومها اين اوصــلتهم ســيارة الفان المغلقة، ضــحك ماهر وقال: "نعم انتما الان في مكان ما في الخضراء"، ومــد يــده نحو مها قائلا: " هاتني القلادة لارى"، ناولت مهــا القلادة للواء، قلبها في يده وقد وضــع نظارته الطبية، كل مافيها هو حلقة حفر عليها الرقم 1/40000 معلقة بسلسلة معدنية، تأملها بتركيز ..

"سيادة اللواء"، قال مهدي، "ماذا تتوقع ان نجد هناك؟".

اجاب ماهر بنبرة واثقة: "اعتقد اننا لســنا بحاجة الى الذهاب الى النصب، فعملنا سيكون على ورقة!".

تبادل مهدي ومها نظرات الاســتغراب، نــاول ماهر القلادة لمها وقال: "انظري للرقم عليهــا"، تناولت مها القلادة وبدأت تنظر الى الرقــم على حلقتها مع مهدي الذي ووضع نظارته هو الاخر.

1/40000

"ماذا يعني ذلك؟"، قال مهدي.

اجاب اللواء وقد فتح ورقة رسالة المستشار بيده وبدأ يراجع النص مجددا: " اغرس القلادة حيث غرس رمح الفارس الضائع.. سيستدير كقرص الشمس..".

طوى الورقة اكمل: "الرقم على القلادة هو مقياس رسم لخريطة!".

نظرا له مســتغربين، قال: "الرقم الكسري هو مقياس رسم لخريطة توضع القلادة عليها، بحيث يكون مركزها رمح الجندي المجهول، اي انها تســتخدم لرســم دائرة يكون مركزها (رمح الفارس الضائع)، سيستدير كقرص الشمس!".

قالت مها متعجبة: "سيدي، لم افهم ..كيف؟".

مد اللـواء يده نحوها وتناول القلادة، وضعها على الطاولة، ووضع اصبعه في مركز الحلقة المعلقة على السلسلة واصبعه الاخر في نهاية السلسلة، وصنع دائرة حول الحلقة الثابتة، "تخيلي ان الاصبع الثابت في مركز الحلقة يقع الان على موضع رمح الجندي المجهول على خارطة يكون مقياس رسمها واحد على اربعين الفا، واصبعي الاخر سيدور حول مركز الرمح ليصنع الدائرة، سيستدير كقرص الشمس!".

ارجعت مها شعرها وراء اذنها متفاجئة من كلام اللـواء، فيما كان مهدي يراقب مايصنع ماهر باستغراب، قال: "تعني ان القلادة ستعمل عمل الفرجال".

"تماما"، اجاب اللواء، ونظر الى النقيب فاضل قائلا: "فاضل، بسرعة، اريد خارطة من قسم المراقبة لبغداد يكون مقياس رسمها واحد على اربعين الفا مطبوعة على ورق، وليظهر وسطها نصب الجندي المجهول".

هز فاضل رأسه واستدار خارجا نحو غرفة قريبة تتوفر بها اجهزة حاسوب وموظفين خاصة.

اخرج مهدي علبة سكائره وهو يفكر بماشرحه اللواء، لقد كانت خطة المختار عبقرية.

وضع سيكارة بين شفتيه، وتفاجأ باللواء يشعل له سيكارته، شعر بالاطمئنان له اكثر، وسأله قائلا: " سيدي، لماذا وضع الرئيس كل هذه الالغاز للوصول الى الكنز؟ كان من الممكن ان يشير لمكانه ببساطة ويخبر ذلك للشخص الذي يثق به".

اتـكأ ماهر وقـال: "لايمكن، الرئيس عقـد المهمة ليكون العثور علـى الكنز يعتمد على اكثر من شخص واكثر من لغز، ثم انه يعلم لمن سيسلم رأس الخيط، يجب ان يكون ذلك الشخص مقربا، مثلك تماما بالنسـبة له، حيث يعرف بان ذلك المقرب سـيدرك كيف يفكر المختار، ثم انه وضع بحساباته ان السر ان وجد لدى فرد واحد وتم استجوابه من قبل جهة معينة فسيُعثر على الكنز، لذا، جعل رأس خيط اللغز لديه، وهو فتيل سـيؤدي الى اشـتعال متسلسل من البحث لدى اكثر من شخص حتى يتم العثور على الكنز وابقاءه بايدٍ امينة".

قـال مهدي مبتسـما: "لن تتخيل، سـيادة اللـواء، كيف فتحنا خزنـة والدي وبأي نوعٍ من التعقيد!"، ابتسـم ماهر، وقبل ان يرد، طـرق احدهم على الباب، وبعد ثوانٍ فتحهـا ودخل، ضرب الارض بقدمه محييا، كان شـابا ببدلة رسـمية يحمل جهاز اتصال وكيس بلاستيكي يحوي جسما اسود صغير.
"سـيدي، لقد احضرنا سيارة الانسة وفتشناها، وقد عثرنا على هذا"، ورفع الكيس امام اللواء.

اشـار ماهر للشـاب بالاقتراب، تناول منه الكيس ونظر الى الجسم الاسود بداخله، ابتسـم وقال: "من الجيد انكم قمتم بتعطيلـه"، نظر لمها وقدم لها الكيس قائلا: "جهاز تتبع، من المؤكد انه جهاز بلاك ساند".
تناولـت مها الكيس ونظرت الى الجهاز، لم يكن يصـدر منه اي نشـاط بعد ان قام عناصر المخابرات بتعطيله، لقد توقف عن بث اشاراته تماما.

"حسـنا"، قال اللواء، "خذوه وتعرفوا على محوياته الداخلية وجهة صنعه، ليكون دليل ادانة بلاك ساند امام الحكومة، سيثبت ذلك مطاردتهم لمواطنين عراقيين".

اعطت مها الجهاز للشاب الذي اخرج مفاتيح سيارتها من جيبه ونظر الى اللواء، اشار له ماهر باعطائه اياها. تناولت مها المفاتيح فرحة، لقد عادت لها سيارتها الحمراء الصغيرة.

"ايها الملازم"، قال ماهر للشاب، "ارسل لي الرجل المحتجز رجاءا"، هز الشاب رأسه وخرج من الغرفة تاركا مهدي ومها دون فهم لمقصد اللواء الذي كان بانتظار خريطة ياتي بها فاضل، نظر لساعته، لم يكن واثقا من الوقت الذي سيمضوه في معرفة مكان الكنز، لكن يجب ايجاده قبل مظاهرات الصباح، لم يبق الا ثمان ساعات على ذلك الحدث.

الفصل 95

منتصف الليل بتوقيت بغداد.

كان قد مضى عشر دقائق على ذهاب فاضل للحصول على الخارطة التي طلبها اللواء ماهر، وبينما كان الثلاثة في الغرفة ذات الجدران الخشبية بانتظار تلك الخارطة، فُتح باب الغرفة لتطل منه قطة بيضاء مرقطة باللون الاسود، نظرت اليها مها، لقد كانت تلك ..

"تارا!"، صاحت مها وهي تشعر بالصدمة، نظر مهدي الى القطة التي بدت مترددة بالدخول، وقبل ان يستوعب مهدي سؤال (كيف وصلت الى هنا)، دخل الدكتور حسام محمد صالح الغرفة هو الاخر وهو يرتدي ملابس المنزل.

ذهل مهدي ومها لما رأياه، اقترب حسام نحوهم وقال لمهدي مبتسما: "انت هنا يا صانع المشاكل!"، نهض مهدي ليعانق حسام بحرارة، فما كسبت مها ثقة تارا بسرعة وحملتها بين يديها.

كان اللواء يراقب ما يجري مبتسما، جلس الدكتور لينضم الى الثلاثة، سأل مهدي حسام قائلا: "مالذي جاء بك الى هنا دكتور؟"، وقبل ان يجيب، قال اللواء: "اسف لما حصل له، لكن زيارتك لمنزله جعلتنا نشك بامتلاكه معلومات عن كنز المختار، لذا قمنا بجلبه واستجوابه".

نظر مهدي لحسام وقال: "اسف لما حصل صديقي!، كان يجب عليهم اعتقالي انا، لا انت"، رد ماهر مجددا وهو يبتسم: "ليتني كنت استطيع حينها، لكن فعل ذلك بشكل مباشر سيثير قضية كبيرة، وستجد صحف اليوم التالي بعناوين عريضة تتحدث عن اختطاف محامي المختار وسط ظروف غامضة"، رد حسام بمزاحه المعهود: "مهدي، انت مدين لي بوجبة عشاء فاخرة بعد الرعب الذي عشته

بســـببك"، هز مهدي رأسه موافقا وهو يضحك، قال حســـام: "بربكم، عن اي كنز تتحدثون؟"، اخفى مهدي ابتســـامته ونظر الى اللواء الذي رد بنظرة موافقة، وقبل ان يبدأ بسرد القصـــة لحســـام، دخل النقيب فاضـــل حاملا خارطة بغداد على ورق متوســـط الحجم باللونين الابيض والاســـود، تنـــاول اللواء الخارطة ووضـــعها على الطاولة، وقبل الشروع بايجاد ما تبحث عنه القلادة قال لحســـام: "دكتور، ســـتعرف كل شئ لاحقا، لكن الان نحن في عمل جاد".

ضم حسام شفتيه ونظر الى الخارطة متابعا ما يقوم به الثلاثة.

وضع اللواء حلقة القلادة على نصب الجندي المجهول و ادخل راس قلمه فيها ثاقبا ورق الخارطة بعد ان تاكد من كونها بمقياس الرسم المطلوب، ثم تناول قلم رصاص من مكتبه ووضع راسه في طرف السلسلة، وبدأ برسم الدائرة.

سيستدير كقرص الشمس..

اســـتدار قلمه بحذر وهو يرســـم الدائرة، حتى انهى ربط طرفيها ببعضـــهما، رفع الاقلام و القلادة، كانت الدائرة قد رُسمت بشكل منضبط، واصبح مركزها نصب الجندي المجهول.

نظر اللواء الى مهدي وقال: "والان، ماذا تقول العبارة التالية في الرسالة؟".

وقبل ان يجيب مهدي، رن الهاتف المحمول الموضوع على مكتب اللواء، نهض ماهر والتقط جهازه، نظر الى شاشته وقد قطب حاجبيه، ثم ضغط زر الاجابة ووضعه على اذنه..

"الو..!"، قال تلك الكلمة فقط، وبدأت ملامحه تتغير..

راقب الموجودون تغير قسمات وجه اللواء، يبدو ان هناك خطب ما..

ثوانٍ لم يتحدث بها ماهر بكلمة اخرى، انهى المكالمة بعبارة "حسنا، فهمت!"، اغلق الخط ونظر الى النقيب فاضل بعينين تشعان غضبا، وقال بصوتٍ متماسك:

"فاضل، لنخرج جميعا من هنا .. *فورا* !".

الفصل 96

لم يفهم الموجودون في الغرفة مايجري، سوى ان فاضل هرع الى خارجها بسرعة، تبادل البقية نظرات الاستغراب و الخوف، فيما ارتدى اللواء سترته ووضع نقاله في جيبها، ثوان ودخل فاضل مرتديا عدته العسكرية الكاملة وحاملا بندقيته.
"حسنا سيدي، السيارة جاهزة".

طوى اللواء الخارطة واعطاها لمهدي، فيما وضع الرسالة و القلادة في جيبه، قال لهم: "لنخرج من هنا الان".
تبع مهدي ومها وحسام اللواء ماهر الى خارج الغرفة ذات الجدران الخشبية، وبعد المرور بعدة اروقة، تحركوا الى خارج المبنى حيث كانت سيارة فورد رباعية الدفع بانتظارهم، ركب ماهر في المقدمة، واستقل الثلاثة المقعد الخلفي، فيما ركب فاضل ليقود السيارة.

كانت سيارة الفورد مظللة النوافذ تماما، ويتمايل على سقفها هوائي طويل، قادها فاضل بسرعة فائقة في شوارع المنطقة الخضراء، ومن البوابة التي تلي بوابة وزارة التخطيط المجاورة للمنطقة الرئاسية، خرجت السيارة نحو مجمع الصالحية السكني.
برغم بدء سريان حالة حظر التجوال، الا انه لم يكن من الممكن لقوى الامن ايقاف عجلة حكومية بهذه المواصفات، فهي تحمل لوحة تسجيل حكومية وهوائي عال لا ترفعه سوى سيارات الدولة، عبر فاضل نقطة تفتيش واستدار نحو مجمع الصالحية، وقبل ان يدخل المجمع، كان قد انهى اتصالا هاتفيا قصيرا.

كان اللــواء ماهــر في غاية التوتر لما يجــري، كـان لا يزال يجـري اتصـــالاته عبر جهازه المحمول الخاص مع اشـــخاص اخرين، لقد عرف من مصادره ان يد الحكومة ستمتد اليه، فاستبق امتدادها بهروب مبكر من مقره.

كان جهاز الاتصـــال داخل الســـيارة ســـاكنا بعد ان فصله فاضـــل، وبذلك الوقت، ســـيطر الرعب على الركاب الثلاثة الاخرين، قاومت مها ضربات قلبها المتســـارعة خوفـــا وهـــي تحتضـــن تارا بـــين كفيها، فيما كان حســـام يشـــعر بدفقـــات الرعب المتواصـــلة التي تعتريـــه، اما مهدي، فقد تزاحمت برأســـه افكار عديدة وخشـــية طاغية من المجهول..

ما الذي يجري؟

عاد ليطرح على نفسه اكثر الاسئلة التي ارعبته، انه الان بيد فاضل (قاتل الرئيس)، وماهر (مدير المخابرات)، ماذا سيحدث له .. لمها .. لحسام ؟!

شـــعر بوخزة ضـــميره حينما ذكرهما، فهو الذي ورطهما، مها بريئة كل البراءة مما يحدث، وحســـام ذلك العجوز لايزال يجهل تماما يجري، ســـوى ماسمع عن انه كنز اثناء تحقيق المخابرات معه ..

ليت ان الليل انتهى .. او كان ذلك كابوسا.

قطـــع تفكيره الهـــدوء المفاجئ لمحرك الفورد بعد ان رصـــفها النقيب فاضـــل بين مباني مجمع الصـــالحية قرب احدى العمارات الســـكنية ، ترجل منها مسرعا نحو البناية المجـــاورة ودخل بابها مختفيا في ظلام اروقتها، بعـــد ثوان عاد مسرعا وفتح باب اللواء وقال: "انزلوا بسرعة".

ترجل الجميع من السيارة وتبعوا فاضل الى داخل البناية السكنية، كانت الممرات فيها مظلمة تماما وهادئة، استعان فاضل بمصباحه العسكري لرؤية الطريق، تاكد من خلو السلم من اي عابر، صعده و تبعه الاخرون، وفي الطابق الاول، وقف امام باب شقة خشبي وفتحه بمفتاح كان يحمله.

دخل الجميع الى الشقة و اغلق فاضل الباب.

بدت الشقة مؤثثة تماما حينما فتح فاضل النور فيها، ارائك جلدية وتلفاز ومعارض خشبية وتحفيات وجهاز لابتوب على احدى الطاولات الزجاجية، وستائر مزخرفة امام نوافذ تطل على الشارع الرئيس المؤدي الى العلاوي، وقبل ان يجلسوا، رن هاتف فاضل، ضغط بسرعة على زر الاجابة ووضعه على اذنه، هز راسه وقال: "حسنا".

جلس ماهر على احدى الارائك واخرج سيكارة بنية وبدا بتدخينها، كان مهدي ومها وحسام منذهلين مما يجري، فجأة، طرق احدهم الباب.

امسك مهدي بيد مها واخذها و الدكتور حسام معه الى احدى الغرف للابتعاد عن الباب، دخلوا الى ظلمة الغرفة وبدأوا يراقبون من فتحة بابها ماسيحدث، فيما نهض ماهر ليجلس في احدى الزوايا بحيث لا يمكن للزائر ان يراه، اقترب فاضل من الباب وامسك بمقبضه وفتحه.

كان شاب بزي امني يقف هناك، اخرج فاضل من جيبه مابدا مفتاح السيارة و اعطاه اياه، عاد الشاب ادراجه و اغلق فاضل الباب.

نادى ماهر على مهدي ورفاقه، نظر مهدي لهما ومشوا الى الصالة، كان اللواء لا يزال يدخن سيكارته بهدوء، نهض وخلع سترته، اخرج من جيبه القلادة و الرسالة ومشى ليجلس على اريكة تقابلها طاولة بظهر من زجاج.

"اقتربوا"، قال ماهر، "لا داعي للقلق، لقد ارسلنا السيارة بيد ذلك العسكري لاخفاء مكان تواجدنا عن السلطات".

اختفاء عن السلطات !

"ما الذي يجري سيادة اللواء؟"، قال مهدي.

اجاب ماهر رافعا حاجبيه: "في الحقيقة استاذ مهدي، مصيرنا اصبح مرتبطا بمصير الكنز الان اكثر من اي وقت مضى، نحن جميعا الان، *مطلوبون للعدالة* !".

"كيف؟!"، قال مهدي وقد اتسعت عيناه..

"نعم مهدي، هناك من شعر بالموضوع، ان لم نجد الكنز، سنذهب جميعا الى قبضة الدولة، ولن يعثر عليه في الوقت المناسب".

انهار مهدي جالسا على الاريكة، فيما جلست مها بجانبه ووضعت رأسها بين كفيها، اما فاضل فكان قد خلع سترته المضادة للرصاص ووضع سلاحه على احد الكراسي وراح يراقب الشارع من النافذة مزيحا الستارة عنها سنتمترات قليلة.

"هل بالامكان ان اعود الى بيتي؟، لست طرفا في اية مشكلة!"، قال حسام غاضبا، ابتسم ماهر وقال له: "لن يخرج احد من هنا ايها العجوز، الا اذا كنا جميعا متوجهين لمكان اخر، او الى الكنز!"، ونظر لساعته و اكمل: "الخامسة صباحا سيرفع حظر التجوال، سنخرج من هنا في كلا الحالتين". عاد حسام جالسا وهو يتمتم بكلمات غاضبة.

لم يتفوه مهدي بكلمة، سوى انه اشعل سيكارته وارجع راسه متكئاً، اغمض عينيه وتذكر مجددا ذلك الاتصال الليلي الذي فتح عليه عاصفة المشاكل التي اوصلته ليكون مطلوبا للعدالة، (استاذ مهدي .. معك النقيب سلام من القصر!) .. يالسرعة ماحدث !

كان ماهر ينظر اليهم جميعا بهدوء ونصف ابتسامة..

نحن جميعا الان مطلوبون للعدالة ..

لقد انطلت عليهم كلماته !

الفصل 97

مضى نصف ساعة امتص فيها مهدي ومها كلمات اللواء ماهر. كان جو الشقة مشحونا بالقلق والترقب. فيما كان ماهر يقلب القلادة بين كفيه. رفع نظره وقال: "مهدي، هلا نكمل ما بدأناه؟". فرك مهدي عينيه ونهض ليتقدم نحو اللواء. جلس على الاريكة المقابلة له واخرج الخريطة من جيبه ليضعها على الطاولة. اقتربت مها لتجلس الى جانبه. فيما احتضن حسام قطته وبقي جالسا على احدى الارائك في الصالة.

قرأ ماهر اخر ما وصلوا اليه في رسالة المستشار..

سيستدير كقرص الشمس..

"بالفعل". قال مهدي بصوت قلق. "مارسمناه من دائرة هو مايمثل قرص الشمس". رد ماهر قائلا: " حين يخترقها بعضٌ من احد عشر سهما".

ارجعت مها شعرها خلف اذنها. كان وجهها شاحبا. قالت: "احد عشر سهما. لا اعتقد ان لدينا نصب تذكاري في نطاق الدائرة به سهام او يشير اليها".

هز مهدي رأسه بالنفي ايضا وقال: "يجب ان نعود للتفكير برمزية الاشياء". الا ان ماهر قال:

"لا تفكرا بما في داخل الدائرة فقط. انه يقول (بعضٌ) من احد عشر سهما. اي ان المتبقي يقع خارج نطاق الدائرة. قرص الشمس".

"صحيح". قالت مها. "يجب ان يكمل مافي الدائرة العدد 11 لشئ ما يقع خارجها قسمٌ منه".

"احد عشر من جديد". قال مهدي. "ذلك الرقم يتكرر باستمرار".

رد اللــواء: "لا تفكــر بالرقم بقدر التفكير بالســهام الان مهدي، تشــابه الارقام في الرسالة ليس الا مصادفة برايي".
"اقترح ان.."، قالت مها، "ان يفكر كل منا بشــئ بــارز في بغداد ويحاول ايجاد عدده، كأن اقــوم انــا باحصــاء المراقد ومهدي يحصــي الجامعات، وانت ســيدي تحصــي المستشفيات، وما سنجد مجموعة احد عشر ويقع بعضه في نطاق الدائرة و الاخر خارجها سنحاول فهم الربط منه".

اعجب اللواء بالفكرة، لكن مهدي كان لا يزال مترددا، لن تســعفهم الذاكرة لهذا الحد، فبغداد مدينة كبيرة ويقطنها نحو سبعة ملايين انسان، وبها من المؤسسات و المواقــع الكثــير، ثــم ان لم يتم ايجاد الربط فســيكون عليهم ايجــاد امور اخرى لاحصائها، سيأخذ ذلك من الوقت ما لايملكوه.

"نحتــاج الى خرائط لبغداد، على ورق او عن طريــق الانترنت، لايمكن تذكر كل هذا"، قال مهدي، واكمل: "سنحتاج من الوقت الكثير".

التفت اللواء الى فاضــل الذي كان لا يزال يراقب الشارع من النافذة وناداه: "فاضل، احضر الحاسب المحمول هناك"، حمل فاضل الجهاز وقام بتشغيله.
"سيكون البحث على الانترنت افضل"، قال اللواء وهو يضع الحاسوب على الطاولة، واكمل: "حســب خطة مها، لنبدأ بالاحصــاء الان، اي شــئ من ذلك مجموعه احد عشر في بغداد سنفكر به جديا".

وما ان بدأ نظام التشــغيل بالعمل، حتى سمعوا صوتا غريبا، التفتوا الى مصدره في الصالة، كان ذلك صوت حسام ..
لقد كان يشخر، وقد غط بنومٍ عميق.

الفصل 98

الثالثة صباحا بتوقيت بغداد .

كان التعب والاعياء بادياً بشدة على مهدي ومها واللواء، لقد امضوا نحو ثلاث ساعات في احصاء ما يمكن احصاؤه في بغداد علّهم يتوصلون الى ربط مع عبارة (يخترقها بعضٌ من احد عشر سهما)، لقد احصوا المستشفيات والكليات والجامعات والمتاحف والجداريات والنصب والمراقد والاسواق الرئيسية واماكن اخرى كثيرة، لم يكن هناك ما يطابق نص ذلك السطر من الرسالة .

شعر مهدي بالتعب ينهك مفاصله فيما استسلمت مها لغفوة غلبتها على احدى الارائك، بينما بقي فاضل جالسا قرب النافذة وقد انهكه التعب هو الآخر، اما ماهر، فقد كان القلق قد اشتد عليه بعد ان تلقى اتصالا هاتفيا قبل قليل، تم اخباره فيه بأن قوة امنية داهمت مقره في الخضراء واقتحمت غرفته ذات الجدران الخشبية، لقد قامت تلك القوة بأعتقال كل من كان هناك وصادرت اجهزة الحاسوب من مكتبه .

طقطق مهدي عظام رقبته، لم يبق الكثير من الوقت، ولازال اللغز عصيا على الحل، تناول رسالة والده من على المنضدة وعاد يقرأها من جديد، فيما كان ماهر ينظر لما يفعل ..

ختم سومري .. وسط المدينة المدورة ..

ابحث فيه على المرأة الحادية عشرة منه ..

تذكر كيف ان المرأة كانت تشير لدجلة، فجأة، قدح برأسه بصيص من وميض مفاجئ ..

"قد يكون ذلك صحيحا!"، قال، ضاق اتساع عيني ماهر وهو يسمع كلمات مهدي تلك ..

امسك مهدي جهاز الحاسوب واداره بأتجاهه، نهر دجلة ..المرأة الحادية عشرة .. احد عشر سهما !..

ابعد تصوير برنامج (Google Earth) عن بغداد ليرتفع عن المدينة، بدأ يعد مع نفسه، فيما كان ماهر ينظر لأنعكاس شاشة الخريطة على نظارة مهدي الطبية..

خمسة .. ستة .. سبعة .. ثمانية .. وهنا تسعة .. عشرة .. احد عشر !..

"عثرت عليها"، قال ووضع الحاسوب على المنضدة."ماذا ؟ اخبرني ؟"، قال ماهر، رد مهدي وهو يدير شاشة الحاسوب نحوه: "سيدي، هناك على نهر دجلة في بغداد احد عشر جسرا !!".

نظر ماهر الى الشاشة، اعاد عدها بنفسه، هناك بالفعل احد عشر جسرا منذ دخول دجلة لبغداد حتى خروجه منها، تناول الخارطة وبدأ يحدق فيها، لقد دخل في نطاق الدائرة عليها بعض من جسور بغداد، حين يخترقها بعض من احد عشر سهما ..

"بالفعل!"، قال ماهر متعجبا، "فجسور الشهداء والاحرار والسنك والجمهورية والجسر المعلق جميعها اصبحت داخل الدائرة!".

ردّ مهدي: "فيما بقيت الجسور الاخرى خارجها، والمجموع احد عشر!".

اتكأ ماهر على كرسيه، "يالعبقرية ذلك!"، لم يجب مهدي ونظر الى ساعته، لم يتبق لموعد المظاهرات سوى خمس ساعات، ولانتهاء الحظر سوى ساعتين، ولا يزال الكنز مجهول الموقع ..

تناول ماهر ورقة الرسالة وقرأ ما تبقى من الشفرة ..

في الساعة الحادية عشرة..

يسطع نور المرآة..

كان صوت ماهر وهو يقرأ تلك العبارتين يشق السكون في الشقة. لقد نام حسام، وغفيت مها، وسكن فاضل بعينين تحاربان النعاس امام النافذة، وبقي اللواء ومهدي وحدهما امام طاولة حلحلة الغاز الرسالة.

قال مهدي: "سيدي، اخبرني، لماذا هربنا الى هنا؟". نظر اليه ماهر وقال: "ستعرف كل شيء في وقته المناسب، لكن اعدك، ان وجدنا الكنز قبل فوات الاوان فسننجوا" . شعر مهدي بالبغض لمعرفة انصاف الحكايات، لم يرد الالحاح على ماهر، كل مايهمه هو ان تكون مها وحسام بخير، وان يوجد الكنز، ويقع في الأيادي الصحيحة ..

"اذا"، قال،"احد عشر يطل من الرسالة مرة اخرى الان".

اومأ ماهر برأسه وهو ينظر الى الخارطة، ودون ان يرفع عينه عنها قال:

"مهدي بأمكانك اخذ قسط من النوم، سأحاول فهم تلك العبارة"، الا ان مهدي شعر بنوع من عدم الاطمئنان لما يقوله ماهر، فهو لا يزال يخفي امرا، امر هروبه من مقره معهم، "انا بخير"، قال وهو يقاوم رغبته الشديدة بالراحة، "الساعة الحادية عشرة، لنفهم ما يعنيه بذلك!".

اجاب ماهر وهو يقلب القلم بين كفيه قائلا: "احد عشر سهما ..احد عشر جسرا، الساعة الحادية عشرة"، اطفأ سيكارته البنية، و انحنى على الخارطة.

وضع القلم عموديا على ورقة الخارطة داخل الدائرة، بحيث اصبح طرفه السفلي في مركزها - رمح الجندي المجهول - وطرفه العلوي الى الاعلى، ثم قال لمهدي:

"اعطنــي قلمك"، اخرج مهدي قلمه من جيب ســترته، اخذه ماهر ووضــعه على الخارطة ايضــا، واشــار بطرفه الســفلي الى نفس المركز، وأمــال طرفه العلوي الى اليسار قليلا، اصبح شكل الدائرة كساعة تشير الى الحادية عشرة .

"مارأيك ؟"، قال ماهر، شد ذلك انتباه مهدي..

ستستدير كقرص الشمس..

حين يخترقها بعض من احد عشر سهما..

في الساعة الحادية عشرة ..

يسطع نور المرآة ...

"الحاديــة عشرة!"، قال، "ســيادة اللــواء، لا حل آخر هناك، الدائرة تشــبه الســاعة، مركزهــا النصــب، يجب ان تشــير الى الحادية عشــرة! ذلك منطقــي"، اجاب ماهر: "بل منطقي جدا، هناك اتجاهان الان، يجب ان نمضــي بالرسالة حتى معرفة الاتجاه النهائي للبحث، كم الساعة الان؟"، نظر مهدي لساعته وقال: "الثالثة والنصف"، اجاب ماهر مبتســما: "بعض الالغاز لا تأخذ الا دقائق لحلها وبعضــها ســاعات!"، اجاب مهدي قائلا: "اتمنى ان لا يكون المتبقي من الالغاز من النوع الثاني!".

تناول ماهر الرسالة وقرأ السطر التالي: "يسطع نور المرآة !"، نظر الاثنان الى الخارطة، كان جلوســهما متقابلين اشبه بجلوس لاعبي شــطرنج محترفين يحركان البيادق على رقعة بينهما.

يسطع نور المرآة ..

قــال مهدي: "يجب ان نعكس شــيئا ما، امــا الخارطة، او اميال الســاعة"، ردّ ماهر: "صحيح، المرآة تعكس ما تراه، لكنك لم تفكر ان ما قلته سيؤدي الى ذات النتيجة".

"كيف؟"، قال مهدي.



امسـك ماهر القلم الذي يمثل الميل القصير المشير الى الرقم احد عشر الافتراضي في الدائرة ووضعه بشكل مناظر، بحيث اصبحت الساعة تشير الى الواحدة .

"ان وضعنا الاميال كذلك، او قلبنا الخارطة الى صورة مرآة معاكسة دون تغيير الاميال، فستشير الاميال الى نفس المخطط، لذا، سأختار ان نحرك الاميال على نفس الخارطة".

فهم مهدي ما قال، فعلا، العمليتين تشيران لذات الشكل .

ركز الاثنان على ما تشير اليه الخارطة .. الساعة الواحدة، الميل القصير يشير الى الواحدة ..

ابحثي في ذلك عن النجاة .....

اغرس القلادة حيث غرس رمح الفارس الضائع ..

سيستدير كقرص الشمس ..

المرآة الحادية عشرة ..

نور المرآة ..

تزاحمت في فكر مهدي كل تلك العبارات من رسالة الرئيس، والده، والمستشار، اين يريد المختار ليصل؟! ..

امسك ماهر بورقة الرسالة وقرأ السطر ما قبل الاخير ..

"ستبدي طوقا يفتح بأجتماع عناصر الوجود الاربعة"..

نظرا معا الى الخريطة، "طوق"، قال ماهر: "هل يعني به النهر ؟".

"كيف!"، قال مهدي، اجاب ماهر: "نهر دجلة يطوق جانب الكرخ من الشرق".

"يفتح بأجتماع عناصر الوجود الاربعة"، قال مهدي، واكمل: "وعناصر الوجود هي الماء والنار والتراب والهواء"، نظر اليه ماهر ولم يحرك حدقتاه عنه، وقال: "ما الذي يعنيه ذلك؟".

نظر مهدي مجددا الى الخارطة، تأمل اميال الساعة الافتراضية التي صنعها مع ماهر، لفت انتباهه امر غريب..

"سيدي، هل تلاحظ ما ارى ؟"، نظر اليه ماهر، اكمل مهدي: "هل ترى ان الميل الطويل يشير برأسه تماما الى جسر الشهداء بينما يشير القصير الى جسر الاحرار بالضبط ؟". قرب ماهر وجهه من الخارطة وهو ينظر، بالفعل لقد كان رأس القلم المشير الى الرقم 12 الافتراضي يشير الى جسر الشهداء، فيما يشير القلم الاخر المشير الى الرقم 1 الافتراضي الى جسر الاحرار .

"ذلك يعني"، قال مهدي، "ان منطقة البحث تقع بين الجسرين"، وتذكر الجواهر الالهية الثلاث التي اشارت جميعا لدجلة، "وان الكنز موجود في دجلة هناك!".

"دجلة ؟!"، قال ماهر، اجاب مهدي: "سيدي، انت لم تقرأ رسالة المختار التي قال فيها (ابحثي في ذاتك عن النجاة، لقد رميت لك الطوق)، ثم قال (لتبدي طوقا يفتح بأجتماع عناصر الوجود الاربعة)، ماذا لاحظت؟ كلمة طوق تكررت في الرسالتين، وحسب الخارطة فأنه يجب ان يكون بين جسري الاحرار والشهداء، في الماء، الطوق هو الكنز".

زُلزلت الحسابات في رأس ماهر، نظر الى الخارطة، ثم الى رسالة المستشار، قرأها من جديد ..

ختم سومري .. طوق يفتح بأجتماع عناصر الوجود ...

اصبح واضحا جدا ان منطقة البحث هي بين الجسرين في مياه دجلة .. طوق نجاة بغداد ..

"وما الذي يقصده بأجتماع العناصر الاربعة ؟"، قال ماهر .

"لم افهم ذلك، لكن الامر الوحيد الذي فهمته هو ان الماء احد تلك العناصر، وهذا ما يؤكد وجود الكنز في الماء".

امسك ماهر الرسالة وقرأ سطرها الاخير ذو النهاية المشوهة ..

او ستجده غافيا غشاء الـ....

"تبا لذلك، كلمة واحدة بأمكانها حل كل شـــيء !"، قال ذلك بينما كان مهدي قد امسك الحاسوب المحمول وبدأ ينظر الى بغداد بصورة الاقمار الصناعية .

"فهمت"، قال،"عناصر الوجود الاربعة !".

"ماذا يعني ذلك ؟"ردّ ماهر بنبرة عصبية ..

تــردد مهــدي بأخبار ماهر بما فهم، لكنــه تذكر كلماته: (خلاصــنا يكمن في ايجاد الكنز).

الا انه مع نفسه، كان قد عرف اين يوجد كنز المختار ..

بالضبط ..

"ســيدي، اعتذر عن ذلك، لكنني لا اســتطيع ان اخبرك بمكانه بالضبط، بالنقطة التي يوجد فيها، قبل ان اضــمن سلامتي وسلامة رفاقي، واضمن ان الكنز سيقع بيد الحكومة امام الشعب"، قال مهدي بينما كانت عينا ماهر تقدحان غضبا وهو يستمع لكلماته تلك، قال له: "سيد مهدي، لقد قطعنا شوطا كبيرا في البحث، لا يمكن ان تترك الامور عند هذا الحد، الكنز في الماء، وبين الجسرين، لكن اين اخبرني ؟!".

نهض مهدي وتوجه الى مها النائمة على الاريكة، لمس شــعرها بأصابعه، وهمس بأذنها لتصــحو، فتحــت عيناها ونظرت لــه، تفاجأت للوهلــة الاولى بالمكان الذي وجدت نفسها فيه، لكنها بعد ثوان تذكرت ما جاء بها الى هنا، جلست وهي تنظر لمهدي الذي ثنا ســاقيه جالســا امامهــا، قال لها: "مها، لقد عرفــت مكان الكنز، سينتهي كل شيء قريبا".

لم تسمع مها كلاما اكثر مدعاة للفرح مما قال منذ مده. "حقا؟ اين؟"، قالت.
اجاب مهدي: "ستعرفين عما قريب".
"سيد مهدي"، قال ماهر: "اقسم لك بأنكم ستكونون بمأمن، وأن الكنز سيذهب الى الايادي الصحيحة، اخبرني بمكانه"..

نظر مهدي الى ساعته، الرابعة والربع فجرا، الوقت يمضي بسرعة، كان حائرا بما يجب ان يفعل، ايخبر اللواء بمكانه وهو لا يضمن مصير الكنز بيده؟ ام يتركه حتى يجد الفرصة المناسبة، حيث لا فرصة الا قبل موعد التظاهرات، انه يدرك التسارع المخيف لأنهيار الاقتصاد الوطني والعالمي، كل ساعة تمر كفيلة بأن تجعل المستقبل الاقتصادي للبلاد اكثر قتامة، وعدد الجوعى في زيادة مطردة..
سينهار كل شيء .. مهدي!

"حسنا سيدي"، قال مهدي، "اسمح لي بأجراء اتصال هاتفي على انفراد، وسنذهب معا لمكان الكنز".
خشي ماهر مايقول، "كم ستتأخر؟"، ردّ مهدي: "دقائق فقط، كن واثقا من اني اعمل بمصلحة البلاد فيما يخص الكنز"، تردد ماهر كثيرا في الموافقة، لكنه اومأ اخيرا موافقا .

اخرج مهدي نقاله، واتجه صوب شرفة الشقة، تسلم فاضل ايماءة اللواء وفتح قفل بابها وقال لمهدي: "حاول ان لا يراك احد ممن في الشارع من قوات الامن"، هز مهدي رأسه موافقا، خرج الى الشرفة، واغلق فاضل الباب وراءه وابتعد عنه.
كان الوضع داخل الشقة قلقا، مها تراقب ما يجري، واللواء جالس بذهن يتقد قلقا، وفاضل يزداد خشية مما يجريه مهدي من اتصال، فيما كان الدكتور حسام لا يزال نائما..

برغم الجو اللاذع البرودة خارجا، اخرج مهدي نقاله وتلمس شاشته، بدأ الاتصال يجري، ثم اجابت فتاة على الجانب الاخر من الخط. "صليني بمدير البث الان رجاءا".

كان لمهدي صديق اعلامي يعمل مدير قسم في احدى اهم القنوات الفضائية المستقلة في البلاد. ثوان وكان رفيقه ذاك على الخط ضمن خفارته، تحدث معه مهدي مخبرا اياه عن سبق صحفي، امر هام سيجري في مكان حدده له، واخبره بأن يعمل مصوروه على تسجيل ماسيحدث بكاميراتهم من اماكن مخفية، الموعد سيكون مع اول ضياء يبزغ من النهار، وافق الرجل على ذلك، انتهى الاتصال وبدأت القناة تعد مصوريها سرا لأرسالهم الى النقطة التي سيحدث فيها ذلك "السبق الصحفي"، سيصورون ما سيجري من مبان واماكن لا يمكن ملاحظتهم فيها .

عاد مهدي ليدخل الشقة، كان هادئا جدا، وضع نقاله بجيبه واقترب ليجلس الى جانب مها، قال للواء: "سيدي، سنحتاج الى التحرك في اول دقيقة يرفع فيها حظر التجوال، بعد نحو نصف ساعة".

"الى اين ؟"قال ماهر بصوت واثق .

"الى حيث الكنز"، ردّ مهدي، شعر ماهر بدفقة ارتياح، سيصل مهدي بهم الى الكنز، استدار الى فاضل وقال له: "اتصل لتحضر سيارة امن من احد رجالنا الى هنا، لتصل هنا قبل الخامسة بخمس دقائق فقط".

رغم انه كان مطاردا وقد دوهم مقره في المنطقة الخضراء، الا ان ماهر كان يمتلك شعبية واسعة في قلوب رجاله، لذا لا يزال بعضهم ينفذ اوامره رغم شيوع خبر مداهمة مقر اللواء المختفي بين اوساط قوى الامن والمخابرات .

بدأ فاضل يجري اتصالا مع احدهم، كان الجميع يستمع له، يبدو انه يتصل بنفس الرجل الذي اخذ سيارة الفورد بعيدا عن مجمع الصالحية، طلب منه المجيء والوصول اليهم قبل انتهاء الحظر بخمس دقائق فقط .

سيذهب الجميع في رحلة ..

نحو كنز المختار ....

الفصل 99

الرابعة و 45 دقيقة بتوقيت بغداد.

"سيدي"، قال مهدي، "هلا فعلت ما ساطلبه منك لايجاد الكنز؟".
اومأ ماهر بالموافقة.
اكمل: "اريد ان تحضر قوة امنية معينة تكون موضع ثقتك لتكون قرب المنطقة المحصورة بين جسر الشهداء وجسر الاحرار، قريبا من النهر، مع ماكنة حفر وادوات لحام وقَطع حديد".

استغرب ماهر مايقول، كما استغرب فاضل ومها، هل سيحفر مهدي في مياه دجلة؟!
"لم افهم، مال الذي تعنيه؟"، قال ماهر.
"ارجو ان تفعل فحسب!" .
رد اللواء: " انت قلت بان الكنز موجود في النهر، هل هو تحت الماء؟ مالذي سنفعله بالات اللحام تحت الماء مهدي ؟"، قال ضاحكا.
ابتسم مهدي وقال: "افعل ذلك فحسب سيادة اللواء".

نهض اللواء ماهر ممسكا نقاله واتجه الى احدى غرف الشقة واوصد الباب وراءه، بدأ يحدث احد رجاله الذين لا يزالون موالين له، فماهر كان قد صنع قوة صغيرة خاصة به بشكل سري تحت غطاء قوى الامن وهو يعتمد عليهم في الظروف الصعبة، الان، اصبح الاحتياج لهم اكثر من اي وقت مضى.
انهى مكالمته وخرج من الغرفة، وفوجئ الجميع بطرقٍ على باب الشقة.

نهض فاضل و ارتدى سترته الواقية من الرصاص و تناول سلاحه، توجه نحو الباب ونظر من العدسة المثبتة على بابها ثم فتحه، كان الشاب ذو الزي الامني واقفا ..
"السلام عليكم، السيارة جاهزة سيدي".
نهض مهدي ومها استعدادا للمغادرة، فيما ظهر اللواء امام العسكري وهو يرتدي سترته، تفاجأ العسكري بوجوده، ادخله فاضل واغلق الباب، حيا الشاب اللواء بالتحية العسكرية: "انا رهن اشارتكم سيدي!".

هز ماهر رأسه فيما كان يطوي الخريطة، ناولها مع الرسالة و القلادة لمهدي وقال له: "ستحتفظ بكل هذا".
ايقظت مها الدكتور حسام وحملت تارا بيديها، نهض الدكتور وهو لا يزال عصبي المزاج، "حسنا دكتور، سنرحل من هنا!". قال له مهدي الذي خشي ردا غاضبا اخر منه.

دقائق وترك الجميع الشقة، نزلوا الى الشارع ليستقلوا سيارة الفورد.
قال مهدي للواء: "سيدي، هل سيصبح كل شئ جاهزا؟".
اجاب ماهر: "خلال دقائق وستصل القوة الى هناك، وحاليا يجري ايجاد الة الحفر وتزويدها باجهزة قطع الحديد و اللحام".
رد مهدي: "طيب، هل بالامكان التواجد هناك و البقاء قريبين من الموقع داخل هذه السيارة؟".
رد ماهر: "نحن في مأمن طالما كنا نستقل سيارة حكومية مظللة، لن يوقفنا احد، لكن رجالي سيحاولون الوصول مع المعدات باقرب فرصة ممكنة".
قال مهدي: "ذلك ممتاز سيدي، لنتوجه الى هناك، وان كانوا قد وصلوا قبلنا فاخبرني لاخبرك بما يجب فعله".

اومأ ماهر موافقا، وامر السائق الجالس الى جانبه بالتحرك نحو المنطقة المطلوبة، فيما جلس مهدي ومها والدكتور الى الخلف، وفاضل في الخانة الاخيرة من السيارة.

كان الظلام لا يزال مخيما على بغداد، لكن مهدي يعلم بان الوقت الذي ستقضيه ماكنة الحفر في التنقيب عما تركه المختار سيكون كافيا لبلوغ الصباح، حينها ستتمكن عدسات كاميرا القناة الفضائية من تصوير ما سيعثر عليه هناك، لقد كانت فكرته ذكية، فان حاول ماهر مصادرة الذهب، سيكون هناك ما يفضح ماقام به، كاميرات القناة التي ستسجل مايجري.

رُفع حظر التجوال، وسلكت سيارة الفورد طريق الشارع الرئيسي لتعبر جسر السنك، فيما كان ماهر يواصل الاتصال بمساعديه للتاكد من قرب وصول الية الحفر الى الموقع الذي سيتم فيه التنقيب عن الكنز كما اراد مهدي، اما القوة التابعة له، فسيكون تواجدها طبيعيا في المكان شأنها شأن قوى الامن الاخرى المنتشرة في العاصمة و المستعدة لتامين وضعها اثناء التظاهرات التي لم يبق سوى ساعتين و45 دقيقة لحدوثها.

عبرت سيارة الفورد الجسر واتجهت شمالا نحو المنطقة المنشودة، وبعد دقائق كانت على الشارع المطل على نهر دجلة، بين جسري الشهداء و الاحرار.
راقب ماهر الوضع من داخل السيارة، لقد كان عناصر الامن المنتشرين هناك من رجاله فعلا، ويبدو انهم وصلوا منذ وقت قصير، فلا يزال بعضهم يترجل من العجلات ذات الاضواء الامامية المنارة، فلم يبزغ ضوء الشمس بعد.

كان كل من في السيارة يراقب ما يجري، اصبحوا بانتظار الية الحفر التي يبدو انها ستاخذ وقتا اطول للوصول، خيم التوتر على الجميع، اما مهدي، فقد كان القلق يعتريه اكثر، والسؤال الاهم الذي كان يجول بذهنه: هل هذا هو المكان المنشود فعلا؟، وهل هناك ذهب موجود فيه؟

مرت نصف ساعة لم تات فيها الية الحفر، قضاها ماهر يجري اتصالاته لتسريع ايصالها، ورغم قرب المسافة بينه وبين رجاله المنتشرين على الجرف، الا انه لم يترجل من سيارته، فقد كان يعلم بانه مطلوب للعدالة.

دقائق اخرى، وهدر من مكان ما على الشارع صوت محرك ضخم، لقد وصلت الية الحفر.
نظر كل من في السيارة الى الخلف، ففي نفس الشارع الذي توقفت فيه سيارة الفورد، جائت من الخلف الية الحفر، تجاوزت الفورد واتجهت في طريقها الى الامام.
"حسنا مهدي، لقد وصلت الحفارة، اين نحفر؟"، قال ماهر.
"سيدي"، اجاب مهدي، "هل ان معدات اللحام وقطع الحديد موجودة بشكل مؤكد؟".
"نعم، لقد تأكدت تواً من وجودها في الحفارة نفسها".
"حسنا"، قال مهدي، "سأخبرك الان بمكان الحفر" .

طغى سكون ثقيل على الاجواء داخل السيارة قبل ان يتحدث مهدي عن مكان الكنز، اشار بيده باتجاه النهر وقال: "اترون ذلك الطمى هناك على جانب النهر؟"، تفاجأ الجميع بسؤاله، صدمهم اكثر عندما قال: " ان حاوية حديدية تحتوي الذهب موجودة تحته!".

تعمـل اليات كـري الانهار على مدار السـنة علـى تنظيف الانهار مـن الطمى و الادغـال، وتقـوم في احيان كثيرة بتكديسـه في جانب النهـر الى جهة الجرف، وتترك هنـاك لتصـبح لاحقا متنزهـات ومواقع ترفيهيـة، الا ان هذا الكدس القديم من الطمـى، كان قـد بقي على حاله منذ زمـن المختار، لقد اصر الرئيس على ابقاءه هكذا حتى اخر ايام حكمه الذي انتهى منذ اشـهر دافنا فيه اعظم كنز في تاريخ البلاد ينقذها من انهيار العالم المرعب.

مترددا مما قال مهدي، اعطى ماهر الامر لمسـاعديه عبر الهاتف بالبدء بحفر الارض المتكونـة من طمـى الى جانب النهر بواسـطة الـة الحفر، بعد دقائق، بـدأت الالة بالاستعداد لمد مجرفتها من الجرف الى تراب الطمى الاكثر انخفاضا.

بدأ بصـيص نور الصـباح بالبزوغ من جانب الشرق، فيما كانت السـاعة تشير الى السادسة وعشر دقائق، مع ذلك النور الصامت، كان صوت هدير الية الحفر يتعالى، لقد بدأت بازالة التراب عن المكان، بدأت تحفر بشكل اعمق، فيما كانت عيون من في سيارة الفورد تترقب ما سيظهر من تحت التراب.

كانت المجرفة تعمل كبندول الساعة القديمة، رائحةً عائدة، وهي تزيح الطمى عن بعضه..

حتى صدم اسنانها شئ صلب، مصدرا رنينا حديديا عاليا.

"اياكـم و الاضرار بهـا، احفروا بحذر، هنـاك حاوية من الحديد في الاسـفل احفروا من جهة بابها فقط". قال اللواء عبر الهاتف لاحد مسـاعديه، وبينما تكشف نور الصـباح اكثر، كانت الالة تزيـل التراب عما بدت بوابة حديدية لحاوية مسـتطيلة الاضلاع مدفونة هناك.

خفق قلب مهدي بشدة، يجب ان تكون الكاميرات تصور الان مايجري من مخابئها..

لا يمكن للكنز ان يذهب ادراج الرياح.

الفصل 100

السادسة و النصف صباحا بتوقيت بغداد.

ساعة ونصف على موعد المظاهرات.. *فقط* .

بعد دقائق من الحفر، رأى كل من في سيارة الفورد الباب الحديدية للحاوية الكبيرة المدفونة في الطمى وهي تتكشف بعد ان ازالت الة الحفر التراب عنها، لقد اصبحت الباب قابلة للفتح.

لم يتمالك ماهر نفسه، نظر من النافذة حول السيارة ليتأكد من تأمين افراده المكان بشكلٍ كلي، ثم استدار للنقيب فاضل في مؤخرة السيارة وقال له: "فاضل، هل لازال معكَ قناع الوجه؟"، رد فاضل: "نعم سيدي، هاهو"، واخرج من جيب درعه الواقي قناعه الاسود، تناوله ماهر وارتداه برأسه، ثم قال لمهدي ومها: "اتبعاني".

تبادل مهدي ومها النظرات، ماهر سيترجل من السيارة نحو الحاوية بعد ان اعطى اوامره بايقاف الحفر وهو يريدهما ان يذهبا معه، استعد مهدي للنزول، بينما ناولت مها تارا للدكتور حسام لتتبعهما، الا ان مهدي امسك بيدها وقال: "بل ستبقين هنا انت!"، هزت مها رأسها بالرفض كطفلةٍ عنيدة وقالت: "ابداً .. معك !"، حاول مهدي منعها جاهدا، لكنها اصرت.

"اسرعا!"، صاح ماهر، ترجل الاثنان من السيارة وتبعا ماهر الذي لم يكن يبدو من وجهه غير عينيه نحو الجرف، نزل الثلاثة الى ارضية الطمى، نادى ماهر على امر القوة، حدثه على انفراد بكلمات غريبة، كانت تلك الكلمات كشفرة يستخدمانها بينهما، تأكد امر القوة بواسطة الشفرة من ان الشخص الذي يقف امامه مرتديا قناعه هو اللواء ماهر عبد الفتاح.

عـــاد ماهر ليقف امام الحاوية مع مهدي ومها، فيما صـــعـد كافة العناصر الاخرين الى الجـــرف بامر قائد القوة الذي اصـــعدهم بامر من ماهر. اصـــبح الثلاثة بمواجهة الباب الحديدي.

"الان عرفـــت يامهدي، لماذا ارســـلتَ بطلب مواد قطع الحديـــد و اللحام!"، قال ماهر. اجابه مهدي قائلا: "يفتح باجتماع عناصر الوجود الاربعة، الماء هو النهر، والتراب هو الطمى، والنار و الهواء هما الشـــعلة الحرارية التي ســـتذيب حافات الباب الحديدية لفتحها!".

نظر له ماهر بعينين فيهما الكثير من الكلام، نادى على امر الوحدة و امره باستقدام الات اللحـــام، نزل عنصران من الجرف وهما يحملان الالات، اوقدا رأس الشـــعلة وبدآ بصهر الحديد عند حافة باب الحاوية.

....

في الشعبة الخامسة، كانت حركة غريبة قد جرت هناك، لقد خرجت ثلاث عجلات شـــيفروليه امنية من مقر الشـــعبة وهي تتوجه الى مكان ما من بغداد، الى حيث اشـــارت وشاية شخص ما حدد فيها مكان احد المطلوبين للعدالة، وكان على رأس القوة الخارجة، احدى اهم الشخصيات المخابراتية.

....

اخيرا، اصـــبح الباب جاهزا للفتح، اعطى ماهر اوامره للعنصرين بالصـــعود مجددا الى الجرف، لقد عاد باب الحاوية يواجه ثلاثة افراد فقط يقفون امامه، ماهر .. ومهدي.. ومها .

بقي الثلاثة ينظرون الى ذلك الباب بانتظار ان يبرد بعد ان صـهرت حافاته شـعلة قطع الحديد، كانوا بانتظار ان يصبح قابلا للمسك.

ابحثي في ذاتك عن النجاة ..
لقد رميت لك الطوق..
فامسكيه بقوة ..

كان كل واحـد من الثلاثة غارقا بما يجول في ذهنه بتلك اللحظات، لقد كان مهدي يسـتذكر الطيف الذي رأى فيه الرئيس.. سـينهار كل شئ!، تذكر لقاءاته به قبل اغتياله، رغم ذكاء المختار المتقد ومكره السياسـي البالغ، لكنه كان رجلا سمحا بتعابير وجه باسـمة، لطالما اخلصـت عائلة مهدي له، لقد رحل تاركا هذا الشئ مدفونا هنا، واثقا من انتصار فكرته، لقد صنع المستحيل من اجل شعبه وبلاده ..

امـام تلك البـاب ايضـا، كان اللواء ماهـر يفكر بما سـيكون موجـودا خلف تلك البـاب الحديدية، لقـد دبر اغتيال المختار من اجل الحفاظ على الكنز، حتى فاضـل، اسـتخدمه لتنفيذ جريمته، قد يصـبح ذلك الضـابط الشـاب كبش فداء لانقاذ البلاد، لكن العراق يسـتحق المخاطرة من اجلـه، مر امامه شريط الاحداث منذ بدأ بمراقبـة مهدي حتى وقوفه الان على هذه البقعة مـن ارض تخالط مياه واحد من اعظم انهار العالم، وفي عاصمة بلاده التي طالما احبها ..

اما مها، فكان جل همها ان يجد مهدي الكنز هنا، ليس من اجل البلاد فحسب، لكنه ضحى كثيرا من اجله، وعانى المراقبة و المطاردات وحتى الاصابة، انه رجل وطني بحق، لم يشأ نسيان رسالة رئيسه، خاطر بحياته من اجل وعده للرئيس بكشف مافي الرسالة في الوقت المناسب، ايام قضاها في رعب وتفكير وتعب من اجل ايفاءه بالوعد .. من اجل هذه اللحظة!

داعب الهواء الصباحي البارد القادم من افق دجلة شعر مها الاشقر، كما كان يداعب العلم العراقي الكبير المنتصب اعلى بناية وزارة الصناعة في شارع النضال، لقد كانت بغداد تحبس انفاسها للمجهول، فيما لن ينقذها سوى ماخلف هذا الباب..

تقدم مهدي نحو الباب، لمسها باصابعه، كان الحديد قد برد خلال الدقائق الماضية، امسك عتلة الفتح وادارها، شد على مقبض الباب بكلتي يديه، وبينما اقترب ماهر ومها منه، سحبها لتفتح ..

تدفق نور الشمس القادم من الشرق الى داخل الحاوية، ليعكس اجمل منظر ممكن ان يتمنى بشر رؤيته، لقد كانت الحاوية مملؤة بـ..
سبائك الذهب !

قفزت مها طائرة من الفرح لما رأت، بينما هوى مهدي باكيا امام الحاوية على ركبتيه، وادار ماهر وجهه نحو الشرق ليخفي دموع فرحته..
لقد اوفى المختار بما وعد ..

رفـع مهدي عينــاه لينظر الى حديد الباب مــن الداخل، قاوم غشــاوة دموعه التي جعلــت منظر مايراه كمن ينظر من خــلال بلورة زجاجية، لقد ترك المختارعلى باب الحاوية من الداخل لافتة من القصدير الذهبي، كتب عليها باللون الاسود ..

ستدركين كم كنت على صواب..
عندما فعلت كل ما فعلت..
من اجل ان نحيا بالعيش الذي نريد ..
في وقتٍ ينهار كل شئ حولنا ..
بلا هوادة !

المخلص لك
محمـــد المـختار

لكم عشق هذا الرجل بلاده!

في ذلك الجو الذي يغمره الفرح، شقت اصوات سيارات الشرطة الاجواء، نظر الجميع من على ارض الطمى الى الجرف..
لقد وصــلت قوة امنية من ثلاث ســيارات شــيفروليه تبدو كانها تابعة للشعبة الخامسة، وقد رافقتها سيارات امن اخرى.
تفاجأ الجميع لما رأوا، وصعق اللواء ماهر عندما رأى العميد مدير الشعبة الخامسة يترجل من احدى السيارات، حاول افراد ماهر منعه من الاقتراب، لكنه اخرج ورقة من جيبه بدت كأمر قضائي واراها لهم، نزل الى الجرف مع ثلاثة من رجال الامن،

ادى التحية للواء ماهر ورفع امامه الورقة وقال: "سـيدي، لن ينفع الافلات بعد الان، اسمح لي باعتقالك، انت متهم بتدبير عملية اغتيال الرئيس محمد المختار".

لم يبـدُ ماهر مباليا، رفع القناع على وجهه، ثم القى نظرة الى سـيارة الفورد على الجرف، لقد حاصرها رجال الامن و انزلوا منها النقيب فاضل الذي يبدو انه مطلوب ايضا.

اقترب عنصران من اللواء ماهر، وامسـك احدهما بيديه ليثنيهما الى الخلف ويضع الاصفاد الحديدية في معصميه.

نظر ماهر الى مهدي بنصـف ابتسامة وقال له: "شكرا لما فعلت، انا اسف لكذبي عليكم، انا فقط من يريدني القضاء، لا انتم!".

اخذ عناصر الامن ماهر الى الجرف واصـعدوه الى احدى سياراتهم، وامر العميد قوة ماهر بالانسحاب قبل ان يعود لينظر الى حاوية الذهب..

ويصدم لما يرى ..

الفصل 101

بعد شهر ..

كان مهدي جالسا على سرير في غرفة بفندق فلسطين ميريديان ممسكا بجهاز الريموت كونترول وهو يشاهد الشريط المصور الذي تعرضه القنوات المحلية و العالمية للمرة الالف منذ بثته القناة التي طلب منها تصوير ما يحدث عند نهر دجلة.

لقد علم العالم بأسره بان العراق قد عثر على كميات هائلة من الذهب في عاصمته وانقذ نفسه من الانهيار العالمي الكبير، فقد قامت الحكومة العراقية بنقل الذهب الى خزائن البنك المركزي الحصينة، وبدأت برسم سياسة اقتصادية جديدة للبلاد بما يتماشى مع تغير حال الاقتصاد العالمي، اما المظاهرات، فقد وقعت ذلك اليوم، وكانت حاشدة للغاية، الا انها لم تكن ضد الحكومة، بل كانت مظاهرات فرح عارم خرج بها الناس بشكل عفوي، بعد ان اعلنت الحكومة على لسان متحدثها عن العثور على كنز كبير من الذهب ستخفض على اثره حدة اجراءات التقشف بشكل كبير.

لقد اعتقل اللواء ماهر عبد الفتاح و النقيب فاضل بتهمة اغتيال المختار، بعد ان عثر العميد مدير الشعبة الخامسة ورفاقه على شريط فيديو مخفي في احدى الحواسيب داخل غرفة المراقبة في الشعبة يظهر فيه وجه النقيب فاضل داخل الزنزانة 12 بعد تنفيذه عملية قتل الرئيس ببخاخ سام، ويبدو ان الضبع هو من قام بنسخه وحفظه في مكان ما داخل الحاسوب قبل قتله.

اما اختفاء البروفيسـور سـالم جرجيس، فلم تتوصـل التحقيقات بعد الى سبب واضح لاختفاءه، لكن الايام ستكون كفيلة بذلك، كما هي دائما .. بارعة في كشف الاسرار ..

كانت الابتسامة العفوية بادية على وجه مهدي وهو يتابع الاخبار، لقد نجى العراق من كارثة محققـة، وبينما هو يتابع التلفاز، فتح باب الحمام في جناح الفندق الذي يقطنـه، واندفـع البخار منه، لتظهر مها كبلورةٍ رائعة الجمال وهي تلف شـعرها وجسمها منشفتين زهريتين، سلب منظرها لب مهدي، اقتربت وجلست الى جانبه، طبعت على خده قبلةً حانية، وتلمسـت اصابعه لتتفقد حلقة الزواج بيده، قبّل كفها مغمضا عينيه، غائصا في بحر حب لم يستطع البوح عنه في الماضي.

"لقد اصبحت الفرحة ثلاث فرحات الان ياحفيدة حمورابي!".
ابتسمت وقالت: "الحمد لله، فوالدتي اصبحت احسن حالا بكثير الان في المنزل منذ عودتها، والعراق باحسن حال بعد ماحدث و ..." .
"ونحن باحسن حال الان وحدنا !!".

نهضـت مها ضـاحكة، ورمت بمنشفة شـعرها على الارض، اطفأت انوار الغرفة، لترمي منشفتها الاخرى، ويغوص الاثنان في ليلة دخلة رائعة.

الخاتمة

كانت الساعة الثالثة فجرا في تلك الليلة المقمرة من ليالي فبراير، وقف فيها مهدي يدخن سيكارة في شرفة غرفة الفندق بعد ساعات من العمر قضاها مع مها التي تغط الان في نوم عميق، كان ينظر الى دجلة بمياهه المترقرقة من الشرفة، لطالما كان هذا النهر مصدر حياة لهذه البلاد..

حتى حين ضم كنز المختار..

اخذ نفسا من سيكارته وهو ينظر الى النهر، فجأة، القت سفن افكاره المراسي عندما برق برأسه وهج امرٍ ما، رمى بسيكارته ودخل مسرعا نحو خزانة الملابس، اخرج من جيبه رسالة والده التي وضعها في حافظة نقوده، خرج الى الشرفة مجددا وقرأ السطر الاخير منها مستعينا بضوء القمر، السطر الذي لم يستطيعوا فهمه ..

او ستجدهُ غافيا عند غشاء الـ ...

نزع نظارته مبتسما، لقد تعمد والده اسقاط قطرات ماءٍ على الكلمة الاخيرة من السطر لتختلط بالحبر الازرق، وتصبح مائيةً لتقصد ..

النهر !

انفجر مهدي ضاحكا، وبدا دجلة كأنه يضحك معه .